الجزء الرابع　　　　المجلد الرابع والثلاثون

مجلة المجمع العلمي العراقي



ذو الحجة ١٤٠٢ هـ
تشرين الأول ١٩٨٢ م

مجلة المجمع العلمي العراقي





ذو الحجة ١٤٠٣ هـ
تشرين الأول ١٩٨٣ م

كلمة رئيس المجمع في افتتاح الجلسة الاولى من السنة المجمعية ١٩٨٣ - ١٩٨٤

السادة الزملاء أعضاء المجمع

نفتتح باسم الله الجلسة الاولى من هذه السنة المجمعية وبالدعاء من الله ان ييسر لنا عملنا في تحقيق اغراض المجمع بالمستوى اللائق الذي يتحقق بادراك كل عضو اهمية العمل وبذله في ذلك الجهد الذي تعززه الخبرات الواسعة والعمل الدؤوب والتعاون البناء لكافة العاملين .

لقد قام المجمع بمجلسه وهيئاته باعمال جديرة بالتقدير في مقدارها ومستواها ، متخطيا العقبات والمعرقلات التي فرضتها احوال نرجو الله ان تتبدل بما يوفر لابناء الامة العمل في البناء والتقدم بالوجهة التي ينشدها قادته الغيارى وبالمستوى الذي يصبو اليه المخلصون .

إن التقرير الذي قُدِّم في ختام الدورة السابقة يظهر ان تعريب المصطلحات كان الميدان الاكبر الذي عنيت به معظم لجان المجمع ،وقد تم فيه انجاز مقدار كبير في عدد من حقول المعرفة ، ومن المؤكد أن في نشرها فائدة للمعنيين وتيسيراً لعمل العاملين في التعريب .

اعداد المصطلحات واقرارها :

وللوصول الى المستوى العلمي الرفيع الذي يحرص المجمع على تحقيقه إرتؤى ان تعرض المصطلحات المعرّبة التي تعدّها اللجان على مجلس المجمع لتدقيقها واقرارها،وهو قرار نحرص على تطبيقه بالنظر الى ان المصطلحات تنشر باسم المجمع . وقد خصص مجلس المجمع جلسات نوقشت فيها

انجح الطرق في تدقيق المصطلحات واقرارها بما يضمن تخليصها من الشوائب مع الافادة من الزمن وتحاشى الانشغال في مناقشات قد تتشعب ويتحدد عدد المشاركين فيها، مما يؤدي الى بطء العمل وقلة الانجاز. وقد ختمت المناقشات في ذلك قراراتٌ متتابعة استهدف تعديل كل منها ضمان الدقة وتوفير الجهد وتسريع انجازه ؛ ويمكن اجمال ذلك بما يلي :

١- تعرض كل لجنة ما انجزته في حقل اختصاصها من مجموعة المصطلحات على المجلس مباشرة لقراءتها ومناقشة ما يرتأى اي عضو مجانفتها للدقة وهي طريقة تضمن مشاركة كافة الاعضاء في التدقيق وفي تحمل مسؤولية الاقرار ، غير انها غير تؤخر اقرار المقدار الكبير الذي اخذت تقدمه اللجان خلال الساعات المحدودة من الجلسات القليلة للمجلس ، فضلاً عن ان كثيرا من هذه المصطلحات هي في مواضيع اختصاصية دقيقة خارجة عن دائرة اهتمام كثير من اعضاء المجمع .

٢- توزع كل لجنة ما انجزته من مجموعة مصطلحات على اعضاء المجمع ثم تخصص جلسات من مجلس المجمع لمناقشتها . وبهذه الطريقة تتاح للاعضاء فرصة دراسة ماقدمته اللجان، وتتمهد افكارهم للمناقشة عند انعقاد الجلسة ، غير انها تتعرض عند المناقشة لنفس المتعثرات التي اعترضت الطريقة السابقة .

٣- تؤلف لجنة خاصة لتدقيق المصطلحات التي تقدمها اللجان ، وتضم اعضاء محدودي العدد ممن لهم اختصاص عام في العلوم وفي اللغة العربية وتوزع هذه اللجنة المصطلحات على اعضاء المجمع ليبدي كل عضو تعليقات مدونة على ما يرى وجوب تعديله او تغييره من المصطلحات ، وتدرس وتدرس اللجنة ما يقدم لها من مصطلحات وتعليقات ، وتناقشها مع مقرر اللجنة العلمية المختصة لادخال ما يتقرر تعديله او ابداله ، ثم تعرضها على مجلس المجمع بعد ان تذكر ما ادخلته من تعديلات ، او ما ترى

انه يتطلب البحث . وبهذه الطريقة تم ضمان مساهمة جدّية فعالة لاعضاء لهم عناية خاصة بالمصطلحات ، غير ان هذه الطريقة قد تؤدي الى تراكم العمل على لجنة تدقيق المصطلحات ، والى خلافات تتعمق في عملها .

٤- توزع كل لجنة المصطلحات التي تنجزها على اعضاء المجمع ليدرسوها ويقدموا الى مقرر اللجنة تعليقات مكتوبة على ما يرون عدم دقته ، ليعيد دراستها مع لجنته ، ثم تخصص جلسات خاصة يحدد موعدها مسبقا لمناقشة المصطلحات بعد ان تدخل اللجنة التعديلات التي تقرُّها ، ثم تجري في المجلس مناقشة حول المصطلحات التي هي مدار خلاف بين اللجنة وبين الاعتراضات المقدمة لها .

٥- وبالنظر لاهمية التعجيل في نشر المصطلحات ، وتحاشيا للمشاكل الناجمة عن الطباعة بالالة الكاتبة ، وتنفيذا للقرار السليم بنشر المصطلحات التي يقرها المجمع في المجلة وفي كتاب مستقل ، فقد ارتؤى طبع المسودة الاولى في المطبعة ، وتوزع على الاعضاء بعد تدقيق طباعتها ثم تدخل عليها التعديلات التي يقرها المجلس ، ويتم طبعها في فِصَل مستقلة وفي كتاب خاص .

وقد ضمن هذا العمل توفير الجهد والوقت لنشر المصطلحات ، ولكنه تطلب تحاشي تأخير اقرار المصطلحات ، لان هذا التأخير يؤدي الى تأخير اصدار المجلة في مواعيدها .

٦- إتبع المجلس في جلساته الالى التي خصصت لمناقشة المصطلحات في دورته السابقة الطريقة الاولى ، فكانت المصطلحات المقدمة اليه تقرأ ويناقش كل منها ، وكانت المناقشات في الغالب تقتصر على اعضاء محدودين ، وانها كانت تتشعب . ولا ريب ان لهذه المناقشات فوائد قليلة وكثيراً ما تعرض فيها اراء ومعلومات قيمة ، ولكنها كانت تستنزف كثيراً من الوقت ، فلم يتم في بعض جلساتها اقرار اكثر من بضع مصطلحات .

وبالنظر للمقدار الكبير من المصطلحات التي انجزتها اللجان ، والاخطار التي لا بد ان تنجم من تأخير دراستها واقرارها ، وحفاظا على حيويـــة المناقشات في المجلس فاني ارجو من مجلسكم الموقر ان يقرِّر ما يراه الأيسر في تدقيق المصطلحات واقرارها بالمستوى المجمعي اللائق مع توفير الوقت ومراعاة سرعة الانجاز ، إذ ان جهات علمية متعددة في بلاد الوطن العربي والبلاد الاخرى ستتلقى بالترحاب هذا العمل من المجمع بما في ذلك حسّابة المصطلحات التي يجري العمل في الرباط على ان تكون جاهزة خلال مدة لا تتجاوز السنتين .

ابحاث عامة في اجتماعات المجلس :

وقد خُصصت في السنة المجمعية الماضية جلسات للمجمع القي فيها زملاء من اعضاء المجمـــع ابحاثاً او دراسات او احاديث في مواضيـــع لها صلة باعمال المجمع واهتماماته ، ودارت بعد القاء كل منها مناقشات عرضت فيها معلومات وآراء مغنية ، وبالنظر لما لتلك الجلسات من فوائد في اتاحة المجال للزملاء الاعضاء في عرض افكارهم وخبراتهم في مواضيع مهمة ومتصلة بالحياة الفكرية للامة وبعمل المجمع ، فاننا نأمل في السنة الحالية متابعة تخصيص جلسات لمجلس المجمع يتحدث في كل منها عضو عن موضوع من اختصاصه وخبراته مما له صلة بعمل المجمع واهدافه . وستُعلم رئاسة المجمع الاعضاء مسبقاً عن اسم المتحدث وموضوع حديثه وموعد القائه ما يمهد افكار الزملاء عن الموضوع والاعداد لمناقشته . ونأمل تخصيص جلسات يتحدث فيها زوّار بارزون من العرب المعنيين بدراسة ما يدخل في نطاق اهتمام المجمع .

طباعة الـكتب :

يدرك المجمـــع اهمية نشر المطبوعات في عرض رسالة المجمع وتوسيع نطاق اثارها مما يعين على التعريف بالمجمع وعلى خدمته في توضيح معالم تراث الامة وتيسير العمل للباحثين والمتتبعين في ميادين الثقافة والتراث .

وقد بذلت جهود كبيرة لمعالجة المعوّقات المفاجئة لتنظيم العمل في المطبعة بما ييسر انجازها للعمل المطلوب وبالمستوى اللائق بالمجمع . والمأمول ان تزداد نسبة ما يطبع لاعضاء المجمع مما يقدمونه من انتاج يناسب المستوى المجمعي في مادته واسلوب عرضه . ويقوم الدكتور محمود الجليلي ، مقرر لجنة التأليف والترجمة والنشـــر بجهود جديرة بالثناء في متابعة وتنظيم اعمال المطبعة مراعيا في ذلك المصلحة العامة والمتطلبات الشاملة التي قد تقيد بعض المتطلبات الفردية .

المجلة :

وللمجلة مكانة خاصة في مطبوعات المجمع نظراً لانها تيسر نشر عدد كبير نسبياً من المقالات والابحاث ، فتعبر بذلك عن تتابع النشاط الفكري في المجمع والمفروض ان تعتمد المجلة بالدرجة الاولى على المقالات التي يقدمها اعضاء المجمع ، والمؤمل من الزملاء الافاضل زيادة الاهتمام بتقديم ما يجدر نشره مما يرفع مستوى المجلة ويحفظ مكانتها المرموقة .

وقد خصص مجلس المجمع جلسات لدراسة القواعد التي وضعتها لجنة المجلة واصدار المقرّرات ، وتقديم التوصيات لما يقربها من الكمال . وتتطلب التطورات المستجدة تخصيص المجلس جلسة شؤون المجلة وما تنشره ، وتنسيق النشر بين المجلة ، والاعداد الخاصة التي تصدرها كل من الهيئتين الكرديـــة والسريانيـــة .

الاستنساخ في الشعبة الفنية :

اوليت الشعبة الفنية عناية خاصة لتمكينها من انجاز الاعمال الكثيرة المطلوبة منها . غير ان الاحوال القائمة تفرض تحديد عملها وتنظيمه من اجل ضمان عدم تعطلها عن العمل ، وقد اقرّ مقررو اللجان اسساً لتحقيق ذلك ، واملنا من الزملاء الاعضاء مراعاة تطبيق هذه الاسس التي روعي في وضعها التوفيق بين متطلبات عمل المجمع وضمان استمرار الاجهزة المحدودة في الشعبة الفنية

تنمية المكتبة وتنظيمها :

ان الأهمية الخاصة للكتب والمطبوعات في عمل المجمع تتطلب عناية خاصة بتنمية المكتبة وتنظيمها بما ييسر الافادة منها . وتضم المكتبة حالياً الكتب ما ييسر للباحثين في معظم ميادين المعرفة التي يعنى المجمع بتنميتها . وقد ساعدت الكتب التي تصل المجمـع عن الاهداء والتبادل ، ومتابعة ادارة المكتبة اقتناء ما يرد الى مكتبات بيع الكتب على مواكبة المكتبة في نموها التطورات الحديثة في النشر . مما يكون ثروة كبيرة ومعينا للباحثين المتعمقين .

وقـد اضيفت الى المكتبة قاعة خاصة نقلت اليها كثير من المطبوعات باللغات الأجنبية وما يتعلق بالمصطلحات ، والمؤمل أن تنظم بما ييسـر متابعة الابحـاث التي تحضى بالعناية الخاصـة في عمل المجمـع ، بما في ذلك المصطلحات .

وتعمل شعبة الآلة الكاتبة ضمن امكانيتها بالاستجابة الى متطلبات الطباعة ، ونأمل ان يزيد حرص العاملين في هذه الشعبة على زيادة مقدار ما يطبع فيها وبالمستوى اللائق .

ان عمل الاعضاء هو الثمرة الناضجة للمجمع . وان الوظيفة الاساسية للامكانيات المادية المتوفرة في المجمع ، والواجبات على منتسبيه موضوعة كلها تحت تصرف اعضاء المجمـع لتساعدهم في اداء عملهم في تحقيق رسـالة المجمع . ومن الله التوفيق .

الدكتور صالح احمد العلي
رئيس المجمع العلمي العـراقي

ضبط عين المضارع الثلاثي

الدكتور
أحمد عبد الستار الجواري
(عضو المجمع)

بسم الله الرحمن الرحيم

إن من الأمور التي كثر فيها الجدال بين أهل العربية قضية ضبط عين الفعل المضارع الثلاثي . ومثلما يكثر فيها الجدال يكثر فيها احتمال الغلط والسهو ، ويشعر حتى المتخصصون المتقنون أنّ عليهم أن يتحرّوا فيها جانب الحذر والتحفظ لئلا يقع في نطقهم ما تنبو عنه الأسماع ولا تتقبله الأذواق . وإني لأذكر أنّا كنّا نستمع في ضيق وفي بـرَم إلى أحد من جلسنا منه مجلس الطلب وهو يلفظ مضارع (طلب) بكسر اللام فيقول يطلِب ، والمسموع المألوف ضم اللام كما تقرأ الآية الكريمة (. . . يغشي الليلَ النهارَ يطلُبه حثيثاً)[1] .

على أن لهذه المسألة قواعد يتفق أهل العربية على الجزء الأكبر منها . فهم جميعاً يقررون أن للفعل الثلاثي ستة أبواب : يكون الماضي في الباب الأول والثاني والثالث بفتح العين (فَعَل) . وفي المضارع بضمها في الأول (يفعُل) وبكسرها في الثاني (يفعِل) وبفتحها في الثالث (يفعَل) .

---

(١) الأعراف الآية ٥٤ .

أما الباب الرابع فإن ماضيَه بكسر العين (فَعِل) ومضارعه بفتحها (يفعَل) ، والخامس بضم العين في الماضي والمضارع (فَعُل يفعُل) . والسادس بكسر العين في الماضي والمضارع (فَعِل يفعِل) ، وأفعاله بضعة عشر فعلاً أغلبها يأتي من الباب الرابع أيضاً .

ومما ينبغي أن يراعى في هذه المسألة أن الأبواب الثلاثة : الأوّل والثاني والثالث : نصر ينصُر وضرب يضرِب وفتح يفتَح تكون للأفعال التي يتضح فيها معنى الحدث ويقوى ويغلب .

أما البابان الخامس والرابع : كَرُم يكرُم وفرِح يفرَح فإن معنى الحدث فيهما أقل وضوحاً ، بل إن الباب الخامس يكاد يكون خالصاً لمعنى الوصف أي اتصاف الفاعل بالفعل .

أما الباب الرابع فإنه يرد للوصف كثيراً ، وقد يرد لغير الوصف نحو عَلِم يعلَم وسَلِم يسلَم .

من أجل ذلك استقر في حكم علماء العربية أمر هذين البابين فليس في ضبط عين المضارع منهما خلاف ، فهو في الباب الرابع مفتوح (فَرِح يفرَح) وفي الباب الخامس مضموم (كَرُم يكرُم) .

أما الأبواب الثلاثة الأول فإنّ في حركة العين من مضارعها كلاماً بل تفصيلا لم يخل من خلاف . ولقد أوجز ذلك الفيومي في المصباح المنير فقال :

« الثلاثي إن كان على فَعَل بفتح العين فالمضارع إن سمع فيه الضم أو الكسر فذاك نحو يقعد ويقتل ويرجع ويضرب . وقد فتحوا كثيراً مما هو حلقي اللام نحو يسعى ويمنع . وفتحوا مما هو حلقي الفاء يأبى وما ذكر معه في بابه .

وإن لم يُسمع في المضارع بناءٌ فإن شئت ضممت وإن شئت كسرت ، إلا الحلقي العين أو اللام فالفتح للتخفيف وإلحاقاً بالأغلب »[٢] .

وممن ذهب هذا المذهب ابن القطاع في كتاب الأفعال . قال : « والثلاثي الصحيح ثلاثة أضرب فَعَل وفَعُل وفَعِل . فما كان على فَعَل من مشهور الكلام مثل ضرب ودخل فالمستقبل فيه على ما أتت به الرواية وجرى على الألسنة يَضرب ويدخُل . فإذا جاوزت المشهور فأنت بالخيار إذا شئت قلت يفعِل أو يفعُل ، هذا قول أبي زيد إلا ما كان عين الفعل أو لامه أحد حروف الحلق فإنه يأتي على يفعَل إلا أفعالاً يسيرة »[٣] .

ومن هذا ومما سيأتي بعدُ من كلام علماء العربية يتبين أن المشكلة تكاد تنحصر في ضبط عين المضارع من البابين الأول والثاني ، أو بعبارة أخرى من الأفعال التي ماضيها فَعَل بفتح العين ، ولا سيما ما لم تكن عينه أو لامه حرفاً من حروف الحلق .

ولقد فصّل ابن الحاجب المسألة بعض تفصيل فجاء على ذكر ما مرّ من استواء الضم والكسر في مضارع فَعَل إن لم يُسمع أحدهما ، ولكنه زاد على ذلك ما نقل عن بعضهم أن القياس الكسر ، وزعم أنه أكثر وأنه أيضاً أخف من الضم . إنه يقول :

« قياس مضارع فَعَل المفتوحِ عينه إما الضم أو الكسر . وتعدّى بعض النحاة – وهو أبو زيد – هذا فقال كلاهما قياس وليس أحدهما أولى به من الآخر ، إلا أنه ربما يكثر أحدهما في عادة الفاظ الناس حتى يطرح الآخر ويقبح استعماله ، فإن عرف الاستعمال فذاك وإلا استعملا معاً ،

---

(٢) المصباح المنير ص ١٠٦٤ .

(٣) كتاب الأفعال ج١ ص ٧ – ٨ .

وليس على المستعمل شيءٌ . وقال بعضهم بل القياس الكسر لأنه أكثر وأيضاً هو أخف من الضم . » [٤] أ . هـ .

فأما كثرة الفتح في الباب الثالث فَعَل يفعَل ، فلأن حروف الحلق ثقيلة ، فجنبوها — إن كانت هي عين الفعل — أو جنبوا ما يجاورها — وإن كانت هي لام الفعل — الحركة الثقيلة الضمة أو الكسرة ، واختاروا لها الفتحة أخف الحركات . يقول شارح الشافية : « والفتحة مع حرف الحلق للخفة لأن حروف الحلق ثقيلة .

ثم إن حروف الحلق سافلة في الحلق فيتعسر النطق بها فأرادوا أن يكون قبلها إن كانت لاماً الفتحة التي هي جزء الألف التي هي أخف الحروف فتعدل خِفّتُها ثِقَلَها ، وأيضاً فالألف من حروف الحلق أيضاً فيكون قبلها جزء من حرف من حيّزها » [٥] . أ . هـ .

وابن يعيش يزيد على ما مرّ ذكره أنه إذا عرف أن الماضي فَعَل بفتح العين ولم يعرف المضارع أي لم يسمع ويشتهر فالوجه الكسر في وسطه ، لأنه الأكثر والأخف [٦] .

ونقل ابن يعيش عن بعض النحاة أن الكسر والضم سواء في مالا يعرف. وهذا موافق لما سبق أن قال به غيره . ولكن الذي انفرد به ابن يعيش في هذه المسألة أنه وصلها متعدي الفعل وازومه فنقل أنه قيل : « إن الأصل في مضارع المتعدي الكسر نحو يضرب وأن الأصل في مضارع غير المتعدي الضم نحو سكت يسكُت ، وقعد يقعُد » [٧] . ولقـــد زعم أن ذلك

---

(٤) شرح الشافية ج ١ ص ١١٧ — ١١٨ .
(٥) شرح الشافية ج ١ ص ١١٨ — ١١٩ .
(٦) شرح المفصل ج ٧ ص ١٥٢ .
(٧) شرح المفصل ج ٧ ص ١٥٣ .

مقتضى القياس ، على أن القياس هنا غير ملحوظ ولا متصوّر ، فمقتضاه ساقط غير معوّل عليه .

إلا أنه يقرر في نهاية كلامه حقيقة قائمة على سند صحيح فيقول : وربما تعاقبا – الضم والكسر – على الفعل الواحد نحو عَرَش يعرِش ويعرُش وعكَف يعكُف ويعكِف . وقد قرئ بهما [٨] . ذلك قوله تعالى : (وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون) (٩) . وقوله تعالى (وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم) الآية [٩] .

ونعود إلى دعوى ابن يعيش أو دعوى من نقل عنهم أن الأصل في مضارع المتعدي الكسر نحو يضرب وأن الأصل في مضارع غير المتعدي الضم نحو سكت يسكت وقعد يقعد ، وقوله « إن هذا مقتضى القياس » .

إن الذي يلاحظ في أفعال الأبواب الثلاثة أنها مما يتضح ويقوى فيه معنى الحدث ، أما التعدي واللزوم فأمر ينبغي أن ينظر فيه نظرة تتجاوز الظاهر في نصب المفعول به أو عدم نصبه . ذلك أن حقيقة اللزوم في الفعل إنما هي لزوم الفعل فاعله فلا يتعداه الى مفعول يباشره فينصب أو يصل إليه بواسطة وهي حروف الجر . وذلك لا يصدق إلا في الأفعال الدالة على معنى الوصف كأفعال الباب الخامس (كرُم يكرُم) وأغلب أفعال الباب الرابع .

وإذن فان مناط الأمر ومداره على قوة معنى الحدث واتضاحه في الفعل ، فان الأفعال التي تصل إلى مفاعيلها بحرف الجر متعدية بالحرف وليست بلازمة كـ دخل في الدار ونزل إلى المدينة ونحو ذلك .

---

(٨) النحل (٦٨) ، الأعراف ١٣٧ .
(٩) الأعراف الآيتان ١٣٧ ، ١٣٨ .

ثم إن دعوى أن الكسر أكثر وأنه الأصل في مضارع المتعدي ، وأنه الأخف الذي يصار إليه إن لم يشتهر بالضم سماعاً ، إن هذه الدعوى تقتضي شيئاً من التأمل ، ذلك أن لخفة الحرف الواقـع عيناً للفعل وثقله دخلا في حركته فتحاً أو ضماً أو كسراً . وإن في كلامهم على الباب الثالث الذي وسطه أو آخره حرف حلق وأنه يفتح ليوازن الثقل في حروف الحلق ما يدل على الاعتداد بذلك والاحتكام إليه .

إنهم يقولون إن الضمة هي اثقل الحركات ، والكسرة أخف منها ، وإذن فينبغي من الوجهة النظرية الصرف أن تكون الأفعال الثلاثية المكسورة العين أكثرها عدداً لخفة الكسرة وأن تكون المضمومة العين أقل عدداً لثقل الضمة .وهذا أمر يقطـع بصحته أو عدم صحته الإحصاء والاستقصاء . ولكن الذي نلاحظه على العموم أن ضم عين الفعل الثلاثي يرد في بابين من أبواب الفعل الثلاثي المجرد ، وهما الباب الأول نصر ينصرُ والباب الخامس كرُم يكرُم و كبُر يكبُر .

أما مكسور العين في المضارع فلا يرد على وجه الاستقلال إلا في الباب الثاني ضرب يضرِب . أما الباب السادس حَسِب يَحسِب فأفعال معدودة يأتي أكثرها من الباب الرابع أيضاً مفتوح العين في المضارع .

ثم إن الفعل الثلاثي المضعّف يكون فيه المتعدي بنفسه مضموم الوسط نحو مدّه يَمُدّه والمتعدي بالحرف مكسور الوسط نحو حَنّ إليه يَحِنّ . هذا هو الغالب على أن ثمة بضعة أفعال تتعدى بالحرف جاء وسطها في المضارع نحو شحّ يشِحّ ويشُحّ ونمّ يَنِمّ ويَنُمّ . وهذا الضرب من الأفعال يتعاقب فيه الضم والكسر . وإذن فهذا لا يقدح في الظاهرة العامة الغالبة وهي أن ضم الوسط في المضعّف الذي ينصب المفعول متعدياً بنفسه هو الأعم الأغلب وأن الكسر في المتعدي بالحرف هو كذلك الأشيع الأشهر .

وأما ثقل الضمّ وخفة الكسر فأمر لا يصح التسليم به على إطلاقه ، كما أن الاستكثار من الكسر لخفته ،ولو سلمنا بها ، غير قائم عليه الدليل في الاستعمال .لأن الضم وهو علامة الرفع في الاعراب أكثر وأسير فهو يكون في الفاعل ونائب الفاعل والمبتدأ والخبر وما هو بمنزلتها وما يكون من توابعها . والكسر علامة الجر وهو يكون في المضاف إليه والمجرور بالحرف وتوابعهما . ولثقل الكسر في أسماء بأعيانها يعدل عنه إلى الفتح في باب الممنوع من الصرف .

ثم إن الرفع وعلامته الضمة يكون في الفعل المعرب ،ولا يدخله الكسر لأنه ثقيل لا يتحماه الفعل ولا يتحمل معناه .

من أجل ذلك كله يتّجه القول بأن ضم عين الفعل الثلاثي في المضارع صحيحه ومضعّفه لعله هو الأكثر سواء في ذلك المتعدي بنفسه الذي ينصب المفعول به والمتعدي بحرف الجر . ذلك في ما لم يسمع فيه ولم يشتهر الضم أو الكسر فان سمع فالحكم للمسموع . والله أعلم .



العَلاءُ بن الحَضْرَميّ

السفير القائد

اللواء الركن محمود شيت خطّاب

(عضو المجمع)

نسبه وأيامه الأولى

هو العلاء بن الحَضْرَمِيّ ، واسم الحضرميّ والد العلاء هو عبدالله بن عَبّاد بن أكبر بن ربيعة بن مالك بن عُوَيْف بن مالِك بن الخَزْرَج بن اياد ابن صُدَيّ بن زيد بن مُقَنّع بن حَضْرَمَوْت الحَضْرَمِيّ (١) ، ويقال في أبيه : عبدالله بن عِمَاد ، ويقال غير ذلك ، وفي نسبه بعض الاختلافات(٢) ، ولكنّهم لا يختلفون أنّ أباه من حَضْرَمَوْت(٣) ، فنسب إليها الحَضْرَمِيّ .

سكن أبوه مكّة المكرّمة ، وحالف حرب بن أُمَيّة والد أبي سُفْيَان بن حَرْب(٤) ، فهو حليف بني أُمَيّة (٥) .

وكان للعلاء عدّة إخوة ، منهم : مَيْمُوْن بن الحضرميّ صاحب البئر

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات (٣٤١/١) ، وانظر الاختلاف في نسبه في جمهرة أنساب العرب (٤٦١) .

(٢) انظر طبقات ابن سعد (٣٥٩/٤) والإصابة (٢٥٩/٤) وأسد الغابة (٧/٤) والاستيعاب (١٠٨٥/٣) .

(٣) الاستيعاب (١٠٨٦/٣) .

(٤) أسد الغابة (٧/٤) .

(٥) تهذيب الأسماء واللغات (٣٤١/١) .

التي بأعلى مكّة بـ (الأَبْطَح) (٦) ، يقال لها : (بئر ميمون) (٧) مشهورة على طريق أهل العراق إلى الحج ، وكان حفرها في الجاهليّة (٨) .

ومنهم : عمرو بن الحضرميّ ، وهو أوّل قتيل من المشركين في الإسلام ، وماله أوّل مال خُمِّس في الإسلام (٩) ، قتله المسلمون في سرية نَخْلَة بقيادة عبدالله بن جَحْش (١٠) التي كانت في شهر رجب من السنة الثانية الهجريّة (١١) .

ومنهم : عامر بن الحضرميّ الذي قُتل يوم (بَدْرٍ) كافراً (١٢) .

وأختهم : الصَّعبة بنت الحضرميّ التي كانت تحت أبي سُفْيان بن حَرْب ، فطلّقها ، فخلف عليها عُبَيْد الله بن عثمان التَيْمِيّ ، فولدت له طَلْحَة بن عُبَيْدالله (١٣) ، أحد العشرة المبشّرة بالجنّة (١٤) .

ولا نعرف شيئاً عن تاريخ العلاء في الجاهلية ، متى وُلد ، وكيف نشأ وترعرع ، وما هو نشاطه ، فقد بدأ تاريخ العلاء مع الإسلام ، فهو ابن من أبناء هذا الدين ، عُرف به وبفضله ، ولولا الإسلام لما عُرف أبدا ، أسوةً بأبيه وإخوته وغيرهم من أهله ومن غير أهله ، الذين لا نعرف من أخبارهم

(٦) الأبطح : كل مسيل فيه دقاق الحصى فهو أبطح ، والأبطح يضاف إلى مكة وإلى منى ، لأن المسافة بينهما واحدة ، وربما كان إلى منى أقرب ، أنظر التفاصيل في معجم البلدان (١ / ٨٥) .

(٧) بئر ميمون : بئر بالأبطح قرب مكة ، حفرها بأعلى مكة في الجاهلية ميمون بن الحضرمي وعندها قبر أبي جعفر المنصور ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٨) .

(٨) الإصابة (٢٥٩/٤) وطبقات ابن سعد (٣٥٩/٤) .

(٩) الاستيعاب ٣ / ١٠٨٦ ، وأسد الغابة ٤ / ٧ .

(١٠) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة النبي صلى الله عليه وسلم .

(١١) انظر التفاصيل في جوامع السيرة (١٠٤ - ١٠٦) وانظر الإصابة (٢٥٩/٤) .

(١٢) أسد الغابة (٧/٤) (١٣) طبقات ابن سعد (٣٥٩/٤) .

(١٤) انظر سيرته المفصلة في : طبقات ابن سعد (٢١٤/٣) وحلية الأولياء (٨٧/١) والرياض النضرة (٣٣٤/٢) وأسد الغابة (٥٩/٣) والإصابة (٢٩٠/٣) والاستيعاب (٧٦٤/٢) .

غير أسمائهم – مجرّد أسمائهم حسب ، إذا برزوا بين أقرانهم ، وإلاّ لم تُعرف حتى أسماؤهم ! .

لقد كان العلاء من عائلة عربية ، من قبيلة عربية ، سكنت عائلته مكّة المكرّمة ، وحالفت بطناً من بطون قريش : بنى أميّة بن عبد شَمْس بن عبد مَنَاف(١٥) .

وأسلم العلاء قبل فتح مكّة (١٦) ، فشهد مع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم غزوة فتح مكّة ، ويوم حُنَيْن وحصار الطّائف ، في السنة الثامنة الهجريّة .

وفي رواية أنّه أسلم قديماً (١٧) ، ولا دليل على ذلك ، إذ لم يرد ذكره في سرايا النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وغزواته ، ولا في الهجرة إلى المدينة والمؤاخاة والنشاط الاجتماعي للمسلمين قبل الهجرة وبعدها ، والصّواب أنّه أسلم قبل فتح مكة فبدأ نشاطه في السّلام والحرب مع المسلمين يظهر متأخراً عن المسلمين الأولين السّابقين إلى الإسلام .

وعلى كلّ حال ، نال العلاء شرف الصحبة وشرف الجهاد تحت لواء النبيّ صلّى الله عليه وسلّم .

السفير

١– بعث النبيّ صلّى الله عليه وسلّم العلاءَ مُنْصَرَفَه من (الجِعْرانَة)(١٨) إلى المُنْذِر بن سَاوَى العَبْدِيّ بالبَحْرَين ، وكتب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كتاباً إلى المنذر بن ساوى مع العلاء يدعوه فيه إلى الإسلام (١٩)

(١٥) طبقات ابن سعد (٣٥٩/٤) . (١٦) طبقات ابن سعد (٣٥٩/٢) .

(١٧) طبقات ابن سعد (٣٥٩/٤) .

(١٨) الجعرانة : ماء بين الطائف ومكة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٠٩/٣) .

(١٩) طبقات ابن سعد (٣٦٠/٤) وسيرة ابن هشام (٢٧١/٤) والبدء والتاريخ (١٠٢/٥) و (٢٢٩/٤) .

وخلّى بين العلاء وبين الصّدقة يجتبيها ، وكتب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم للعلاء كتاباً فيه فرائض الصَّدقة في الإبل والبقر والغنم والثمار والأموال يصدّقهم على ذلك ،وأمره أن يأخذ الصَّدقة من أغنيائهم فيردّها على فقرائهم(٢٠)

وقد بعث النبيّ صلّى الله عليه وسلّم العلاء إلى المنذر بن سَاوَى أخي عبدالقَيْس صاحب البحرين (٢١) سنة ثمان الهجرية ، فصالح المنذر : على أنّ على المجوس الجزية ولا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نساؤهم (٢٢) ، وأسلم المنذر وأسلم جميع العرب بالبحرين ، وكانت ولاية البحرين يومئذٍ للفرس . وأما أهل البلاد من يهود ونصارى ومجوس ،(٢٣) فإنهم صالحوا العلاء والمنذر على الجزية : من كلّ حالم دينار ، ولم يكن بالبحرين قتال ، إنما بعضهم أسلم وبعضهم صالح (٢٣) .

٢ـ وكان نصّ كتاب النبي صلّى الله عليه وسلّم الذي حمله العلاء إلى المنذر بن سَاوَى :

بسم الله الرحمن الرحيم

من : محمّد رسول الله .

إلى : المنذر بن سَاوَى .

سلام على مَنْ اتّبع الهُدَى . أما بعد : فإني أدعوك إلى الإسلام ، فاسْلِم تَسْلَم ، يَجعل اللهُ لك ما تحتَ يديك ، واعْلَمْ أنّ ديني سيظهر إلى مُنْتَهى الخُفّ والحافِر. (٢٤)

الله

علامـــة الختم رسول

محمـــد

(٢٠) طبقات ابن سعد (٣٦٠/٤) . (٢١) الطبري (٦٤٥/٢) .
(٢٢) ابن الأثير (٢٣٠/٢) . (٢٣) ابن الأثير (٢١٥/٢) .
(٢٤) انظر تفاصيل المصادر والمراجع في : مجموعة الوثائق السياسية (٧٩ - ٨٠) .

٣- وهذا نصّ كتاب آخر من النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى المنذر ابن ساوى :

بسم الله الرحمن الرحيم

من : محمّد رسول الله .

إلى : المنذر بن ساوى .

سلام عليك ، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله غيره ، وأشهد أن لا إله إلاّ الله ، وأنّ محمّداً عبده ورسوله .

أما بعد : فإني أُذكرك الله عزّ وجلّ ، فإنّه مَنْ يَنصح فإنّما يَنْصَح نفسه ، وإنّه مَنْ يُطِعْ رُسلِي ويَتّبع أمرهم فقد أطاعني ، ومَنْ نصَح لهم فقد نصح لي . وإنْ رسلي قد أثنوا عليك خيرا ، وإني قد شفّعْتُك في قومك ، فاترُك للمسلمين ما أسلموا عليه ، وعفوتُ عن أهل الذنوب ، فاقْبَلْ منهم . وإنك مهما تصلح فان نَعزلك عن عملك ، ومَنْ أقام على يهوديّته أو مجوسيته فعليه الجزية (٢٥) .

الله

علامة الختم رسول

محمد

٤- وكان نصّ جواب المنذر الى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم :

« أما بعد يا رسول الله ! فإني قرأت كتابك على أهل (هَجَر)(٢٦)

---

(٢٥) القلقشندي (٣٦٨/٦) وطبقات ابن سعد (٢٦٣/١) وزاد المعاد (٦١/٣ - ٦٢) ، وانظر تفاصيل المصادر والمراجع في مجموعة الوثائق السياسية (٨٠ - ٨١) حول نص هذا الكتاب النبوي الكريم واكتشاف أصل الكتاب في دمشق .

(٢٦) هجر : قاعدة البحرين ، وقيل : ناحية البحرين كلها هجر وهو الصواب ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤٤٥/٨ - ٤٤٧) .

فمنهم من أحبَّ الإسلام وأعجبه ودخل فيه ، ومنهم مَنْ كَرِهَه ، وبأرضي مجوس ويهود ، فأحدث في ذلك أمرك »(٢٧) .

٥- وكان نصّ جواب النبيّ صلى الله عليه وسلّم إلى المنذر :

بسم الله الرحمن الرحيم

من : محمد رسول الله .

إلى : المنذر بن ساوَى .

سلام الله عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو .

أما بعد ! فإنّ كتابك جاءني ، وسمعتُ ما فيه ، فمن صلّى صلاتنا ، واستَقْبَلَ قِبلَتنا ، وأكل ذبيحتنا ، فذلك المسلم الذي له مالنا ، وعليه ما علينا. ومَنْ لم يفعل فعليه دينار من قيمة المُعَافِريّ .

والسّلام عليكم ورحمة الله ، يغفر الله لك (٢٨) .

الله

رسول　　　　　　علامة الختم

محمد

٦- وكتب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم للعلاء الحضرميّ عن الزكاة كتاباً ، فيه فرائض الصدقة في الإبل والبقر والغنم والثمار والاموال يصدّقهم على ذلك،وأمره أن يأخذ من أغنيائهم فيردّها على فقرائهم(٢٩) ولم يُرْوَ نصّ الكتاب (٣٠) .

(٢٧) طبقات ابن سعد (٢٦٣/١) وانظر تفاصيل المصادر والمراجع في : مجموعة الوثائق السياسية (٨١ - ٨٢) .

(٢٨) انظر الطبري (٢٩/٣) والقلقشندي (٣٧٦/٦) ، وانظر تفاصيل المصادر والمراجع في مجموعة الوثائق السياسية (٨٢ - ٨٣) ، وانظر أيضاً : فتوح البلدان (١١٠) .

(٢٩) طبقات ابن سعد (٢٦٣/١) .

(٣٠) مجموعة الوثائق السياسية (٨٣) .

٧- وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقد كتب إلى العلاء بن الحضرميّ أن يقدم عليه بعشرين رجلاً من عبدالقَيْس ، فقدم عليه منهم بعشرين رجلاً ، رأسهم عبدالله بن عَوْف الأشَجّ ، واستخلف العلاء على البحرين المنذر بن ساوى (٣١) .

ولم يُرْوَ نصّ الكتاب (٣٢) .

٨- وكتب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى أهل هَجَر (البحرين) :

بسم الله الرحمن الرحيم

من : محمد رسول الله .

إلى : أهل هَجَر .

سِلْمٌ أنتم . فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو .

أما بعد ! فإني أوصيكم بالله وبأنفسكم ، أن لا تضلّوا بعدَ إذ هُدِيتم ، وأن تَغْوُوا بعدَ أن رَشِدْتُم .

أما بعد ! فقد جاءني وفدكم ، فلم آتِ إليهم إلاّ ما سرّهم . ولو أني اجتهدت فيكم جُهْدِي كلّه أخرجتُكم من هَجَر ، فَشَفّعْتُ غائبكم ، وأفضلتُ على شاهدكم ، فاذكروا نعمة الله عليكم .

أما بعد ! فإنّه قد أتاني الذي صنعتم ، وإنّه مَنْ يُحْسِنُ منكم لا أحمل عليه ذنب المُسيىء ، فإذا جاءكم أُمرائي فأطيعوهم ، وانصروهم على أمر الله وفي سبيله ، وإنّه مَنْ يعمل منكم صالحاً فلم يَضِلّ عند الله ولا عندي(٣٣)

الله

علامة الختم رسول

محمد

---

(٣١) طبقات ابن سعد (٣٦٠/٤) .

(٣٢) مجموعة الوثائق السياسية (٨٤) .

(٣٣) طبقات ابن سعد (٢٧٥/١ - ٢٧٦) وانظر تفاصيل المراجع والمصادر في : مجموعة الوثائق السياسية (٨٤ - ٨٥) ، وانظر أيضاً : فتوح البلدان (١٠٧ - ١٠٨) .

٩- وكتب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، إلى المنذر بن ساوى .

من : محمد رسول الله .

إلى : المنذر بن ساوى .

أما بعد ! فإنّ رُسُلِي قد حمدوك ، وإنك مهما تُصْلِحْ أُصْلِحْ إليك وأُثِبْكَ على عملك ، وتَنْصَحْ لله ولرسوله .

والسلام عليك (٣٤) .

الله

رسول — علامة الختم

محمد

وبعث النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بهذه الرسالة مع العلاء بن الحضرمي(٣٥)

١٠- وكتب عليه الصلاة والسّلام إلى المنذر بن ساوى في مجوس هجر ما نصّه .

اعرض عليهم الإسلام ، فإن أسلموا فلهم ما لنا وعليهم ما علينا ، ومَنْ أبَى ، فعليه الجزية من غير أكلٍ لذبائحهم ولا نكاح نسائهم (٣٦) .

١١- وكتب إلى المنذر بن ساوى أيضاً ما نصّه :

افرِض على كلّ رجل ليس له أرض ، أربعة دراهم وعباءة (٣٧) .

وكتب إلى المنذر بن ساوى أيضاً ما نصّه :

أما بعد ! فإني قد بعثت إليك قُدامَة وأبا هُرَيْرَة ، فادْفَعْ إليهما ما اجتمع عندك من جِزْيَة أرضك ، والسلام (٣٨) .

(٣٤) طبقات ابن سعد (٢٧٦/١) وانظر مجموعة الوثائق السياسية (٨٥) .

(٣٥) طبقات ابن سعد (٢٧٦/١) . (٣٦) طبقات ابن سعد (٢٦٣/١) وانظر المصادر والمراجع في مجموعة الوثائق السياسية (٨٦) .

(٣٧) انظر المصادر والمراجع في : مجموعة الوثائق السياسية (٨٦ - ٨٧) .

(٣٨) طبقات ابن سعد (٢٧٦/١) ، وانظر المراجع والمصادر في : مجموعة الوثائق السياسية (٨٧) ، وقدامة هذا الذي ورد ذكره هو قدامة بن مظعون ، انظر سيرته في : أسد الغابة (١٩٨/٤ - ٢٠٠) .

١٢– وكتب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، إلى العلاء بن الحضرمي :

أمّا بعد ! فإني قد بعثت إلى المنذر بن ساوَى مَنْ يَقْبَضُ منه ما اجتمع عنده من الجزية ، فَعَجِّلْهُ بها وابعث معها ما اجتمع عندك من الصدقة والعُشورِ ، والسلام (٣٩) .

الله

علامة الختم رسول

محمد

١٣– وكتب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى عبدالقَيْس ما نصّه :

من : محمّد رسول الله .

إلى : الأكْبَر بن عبدالقَيْس .

إنّهم آمنون بأمان الله وأمان رسوله على ما أحدثوا في الجاهليّة من القُحْم ، وعليهم الوفاء بما عاهدوا ، ولهم أن لا يُحْبَسوا عن طريق المِيرة ولا يُمْنَعُوا صَوْبَ القَطْر ، ولا يُحْرَموا حَريمَ الثمار عند بلوغه .

والعلاء بن الحضرميّ أمينُ رسول الله على برِّها ، وبَحْرِها ، وحاضِرِها ، وسراياها ، وما خرج منها . وأهل البحرين خُفراؤه من الضَّيم وأعوانُه على الظّالم ، وأنصاره في الملاحم ، عليهم بذلك عهد الله وميثاقه ، لا يُبَدِّلون قولاً ، ولا يُريدون فُرْقَةً ، ولهم على جند المسلمين الشّركة في الفَيْء ، والعدل في الحُكْم ، والقصد في السيرة ، حُكْمٌ لا تبديلَ له في الفريقين كِلَيْهِما ، والله ورسوله يشهد عليهم (٤٠) .

الله

علامة الختم رسول

محمد

(٣٩) طبقات ابن سعد (/٢٧٦) وانظر المصادر والمراجع في : مجموعة الوثائق السياسية (٨٧ – ٨٨) .

(٤٠) طبقات ابن سعد (٢٨٣/١)، وانظر تفاصيل المراجع في : مجموعة الوثائق السياسية =

١٤- و آخر هذا نص لكتاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى عبدالقيس:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من محمّد رسول الله ، لعبد القيس وحاشيتها في البحرين وما حولهـــا .

إنكم أتيتموني مسلمين ، مؤمنين بالله ورسوله ، وعاهدتهم على دينه ، فقبلتُ ، على أن تطيعوا الله ورسوله فيما أحببتم وكرهتم ، وتقيموا الصّلاة ، وتؤتوا الزّكاة ، وتحجّوا البيت ، وتصوموا رمضان ، وكونوا قائمين لله بالقسط ولو على أنفسكم ، وعلى أن تؤخذ من حواشي أموال أغنيائكم ، فتردّ على فقرائكم ، على فريضة الله ورسوله في أموال المسلمين (٤١) .

الله

رسول علامة الختم

محمد

١٥- كما كتب كتاباً إلى شبيب بن قُرّة (٤٢) من وفد عبدالقيس وصُحَار ابن العبّاس (٤٣) من وفد عبدالقيس أيضاً والمُشَمْرَخ بن خالد السّعدي (٤٤) من وفد عبدالقيس أيضاً .

ولم تُرْوَ نصوص هذه الكتب (٤٥) .

= (٩٤ - ٩٥) ، والأكبر بن عبد القيس لا يعرفه أهل الأنساب ، ولعل الصواب : الأكبر من عبدالقيس . ولعل الصواب في : حريم الشمار ، هو : جريم الشمار ، والجريم والصريم والجديد كله التمر إذا صرم ، يريد أنهم ينتفعون بثمارهم حين الجذ ، ولا ينتظرون مجيء المصدق إلى بلادهم ، ويؤدون الزكاة بالأمانة . (نقلا من : مجموعة الوثائق السياسية ص ٩٥ و ٤١٣) .

(٤١) عمر الموصلي - الجزء الثامن - ورقة ٣١ - ٣٢ ألف ، نقلا عن : مجموعة الوثائق السياسية (٩٥) .

(٤٢) الإصابة (٣/١٩٣)

(٤٣) الإصابة (٣/٢٣٥ - ٢٣٦) .

(٤٤) أسد الغابة (٤/٣٦٧ - ٣٦٨)

(٤٥) انظر : مجموعة الوثائق للسياسية (٩٦) .

١٦- لقد بدأت قصّة العلاء مع البحرين سفيراً للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم وداعياً من دعاته إلى الإسلام ، فنجح في سفارته ودعوته أعظم النجاح ، واستطاع أن يستنقذ البحرين من السيطرة الفارسية بإسلام عامل الفُرس عليها المنذر بن ساوى الذي أسلم وحسن إسلامه حتى توفّاه الله بعد التحاق النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بالرفيق الأعلى وقبل رِدَّة أهل البحرين ، والعلاء عنده أمير لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم على البحرين (٤٦) ، ثمّ أصبح عامل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على الصَّدقات في البحرين (٤٧) ، فنجح أعظم النجاح أميراً وجابياً كما نجح سفيراً وداعياً .

١٧- ويبدو من دراسة الرّسائل النبويّة إلى العلاء وغيره من حكّام البحرين وقادتها ، ومن الاجراءات المتخذة من قِبَل الذين تسلّموا تلك الرّسائل تنفيذاً وعملا ، النظامُ السائد الدقيق في الناحية التطبيقية للدولة الإسلامية الوليدة ، بالإضافة إلى الناحية الإنسانية الرفيعة في التنفيذ والتطبيق عدلاً ورحمة ، فما يؤخـــذ من أموال أغنياء البلد ، يعود إلى فقراء البلـــد ، مما يؤدي الى التواصل والتراحم والتعاون على هدى وبصيرة .

انّه التطبيق العمليّ لتعاليم الإسلام في الحكم والإدارة ، فهو عدل السماء لا عدل الأرض ، وهذا العدل المطلق هو الذي جعل المنذر بن ساوَى وأمثاله ينحازون إلى الإسلام ديناً ويتخلّون عن أديانهم القديمة ، وإلى نبيّ الإسلام قائداً ويتخلّون عن حكّامهم القدامى ، بالرغم من صعوبة التخلي عن الدين القديم إلى دين جديد بالنسبة للنفس البشرية ، وعن أكبر دولة عالمية في حينه هي دولة الساسانيين ، إلى حكم جديد غير معروف ولا مضمون في حينه هو دولة الإسلام .

(٤٦) سيرة ابن هشام (٢٤٣/٤) والدرر (٢٧٢) وجوامع السيرة (٢٤) وابن الأثير (٢٩٨/٢) .
(٤٧) سيرة ابن هشام (٢٧١/٤) والطبري (١٤٧/٣) وابن الأثير (٣٠١/٢) .

ولكنّه الحق إذا جاء ، فإنّه يزهق الباطل ، ثم هو هدى الله ، يهدي به مَنْ يشاء من عباده .

ومهما يقال عن ضعف الإمبراطورية الساسانية وانحلال السلطة المركزيّة للأكاسرة حينذاك ، إلاّ أنّ ذلك لا يسوّغ استبدال دولة ناشئة غير مضمونة بدولة عريقة مضمونة ، وانتقال ولاء من دولة ذات كيان إلى سلطة مجهولة ليست ذات كيان .

ولكنّه الإيمان الذي يكتسح العقبات والصعاب ، ويقلب الحسابات المادية إلى حسابات غير ماديّة .

وما حدث يناقض كلّ المقاييس الماديّة ، ويناقض حسابات الحكّام بخاصة ، ولكنّه حدثَ عملياً كما هو معروف .

لقد كان العلاء موضع ثقة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم سفيراً وداعياً ، وأميراً وجابياً ، وكانت ثقة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بالعلاء في موضعها كما أثبتت أعماله والأحداث ومجرى الأحداث .

في ميدان الجهاد

١- جهاده في حرب المرتدين :

عقد أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه أحد عشر لواءً لحرب المرتدين ، أحدهم للعلاء وأمره بالبحرين (٤٨) لحرب المرتدين في تلك المناطق وما حولها.

وكان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قد مرض ، كما مرض المنذر بن ساوى أيضاً ، وكان مرضهما في شهر واحد ، فمات النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، ومات بعده المنذر بن ساوى ، فارتدّ أهل البحرين (٤٩) ، كما ارتدّ غيرهم

(٤٨) الطبري (٢٤٩/٣) وابن الأثير (٣٤٦/٢) .

(٤٩) الطبري (٣٠١/٣) .

في سائر أرجاء شبه الجزيرة العربية ، فعاد العلاء إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وقد سبقته ردّة أهل البحرين .

وكان بالبحرين خلق كثير من العرب : من عبدالقَيْس ، وبَكْر بن وائل ، وتَميْم ، مقيمين في باديتها ، وكان على العرب بها من قِبَل الفُرس على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المنذر بن ساوَى ، أحد بني عبدالله بن زيد بن عبدالله بن دارِم بن مالِك بن حَنْظَلَة ، وعبدالله بن زيد هذا هو : الأَسْبَذِيّ ، نسبة إلى قرية بِهَجَر يقال لها : الأَسْبَذ ، ويقال : إنّه نُسب إلى الأَسْبَذيين ، وهم قوم كانوا يعبدون الخيل بالبحرين(٥٠)، وهو ما نرجحه ونميل إليه ، إذ لا تعرف قرية باسم : الاسبذ بهجر .

وسار العلاء على رأس جيشه إلى البحرين على طريق (الدَّهْناء)(٥١) وهي صحراء مخوفة خالية من الماء والمرعى ، فلاقى العلاء ورجاله صعوبات ومشقّة عند قطعها ، حتى أصبحت حياته وحياتهم في خطر عظيم (٥٢) .

وكان الجارود بن المُعلّى العَبْدِيّ (٥٣) قد قدم على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فلما تفقّه في الدين ردّه إلى قومه عبدالقيس ، فكان فيهم . ولما مات المنذر بن ساوى ارتدّ بعده أهل البحرين ، فأما بَنو بكر فتمّت على ردّتها ، وأما عبدالقيس فإنّهم جمعهم الجارود ، وكان بلغه أنّهم قالوا : « لو كان محمّد نبيّاً لم يمتْ » ، فلما اجتمعوا إليه قال لهم : « أتعلمون أنّه كان لله أنبياء فيما مضى ؟ » ، قالوا: « نعم » ، قال : « فما فعلوا ؟ » ، قالوا : « ماتوا ! » ، قال : « فإنّ محمداً صلّى الله عليه وسلّم قد مات كما ماتوا ، وأنا أشهد أن لا إله إلاّ الله ، وأنّ محمّداً

---

(٥٠) فتوح البلدان (١٠٦ - ١٠٧) .

(٥١) الدهناء: صحراء اسعة بنجد في ديار بني تميم ، انظر تقويم البلدان (٨٤) .

(٥٢) ابن الأثير (٢-٣٦٩) .

(٥٣) انظر سيرته في أسد الغابة (١-٢٦٠) . والاصابة (١/٢٢٧) .

رسول الله » . فأسلموا ولاثبتوا على إسلامهم ، فحصرهم المرتدون حتى استنقذهم العلاء . واجتمعت ربيعة بالبحرين على الرِدّة إلاّ الجارود ومَن تبعه ، وقالوا : « نردّ المُلْك في المنذر بن النعمان بن المنذر» (٥٤) ، وجعلوا عليهم ابنا للنُّعمان بن المنذر يقال له : المنذر (٥٥) .

وخرج الحُطَم بن ضُبَيْعة أخو بني قيس بن ثعلبة في بكر بن وائل ، فاجتمع إليه من غير المرتدين مِمّن لم يزل مشركاً، حتى نزل (القَطِيْف) (٥٦) وهَجَر ، واستغووا (الخَطّ) (٥٧) ومن بها من الزُّط والسبابجة ، وبعث بعثاً إلى (دارِين) (٥٨) وبعث إلى (جُوَاثا) (٥٩) ، فحصر المسلمين الذين كانوا فيها ، فاشتدّ الحصر على مَنْ بها ، فقال عبدالله بن حَذَف ، وقد قتلهم الجوع :

ألاَ أَبْلِغْ أَبَا بَكْرٍ رسولاً وفتيانَ المدينةِ أجمعينَا
فهل لكُم إلى قوم ٍ كرام ٍ قُعُودٍ في جُوَاثا مُحْصَرِيْنَا
كأنّ دِماءهم في كلّ فجّ شُعَاعُ الشَمس يُغْشى النّاظِرينا
توكّلنا على الرحمن إنّا وَجَدْنا النّصْر للمتوكِّلينا

وكان العلاء على رأس جيشه في طريقه من المدينة المنورة إلى هدفه ، يجتاز (الدَّهْنَاء) ، صابراً على محمل أعباء اجتياز الصحراء ، متحمِّلاً معه من المسلمين في البحرين ، فأمر العلاءُ أن ينزل الجارود بعبدالقيس من

(٥٤) الطبري (٣/٣٠١-٣٠٣) وابن الأثير(٢/٣٦٨) .

(٥٥) فتوح البلدان (١١٤) . (٥٦) القطيف: مدينة بالبحرين ، وكانت قصبتها ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧/١٣١) (٥٧) الخط : أرض في سيف البحرين وعمان ، كانت تجلب إليها الرماح القنا من الهند ، انظر معجم البلدان(٣/٤٤٩)

(٥٨) دارين : فرضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند ، انظر معجم البلدان (٤/٢٥) .

(٥٩) جواثا : في معجم البلدان : جواثا ، بالضم ، وبين الألفين ثاء مثلثة ، وهو لعبد القيس بالبحرين ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/١٥٥-١٥٦) .

المشقّات بإيمان وصبر . حتى أدركوا الجارود بن المُعلّى العَبْدِيّ ومَنْ معه من المسلمين في البحرين ، فأمر العلاء أن ينزل الجارود بعبد القيس من قومه المسلمين على الحُطَم مما يليه ، وسار هو فيمن معه حتى نزل الحُطَم مما يلي هَجَر في منطقة جوَاثا .

واجتمع المشركون كلهم إلى الحُطَم إلاّ أهل دارِين ، واجتمع المسلمون إلى العلاء ، وخندق المسلمون على أنفسهم ، وخندق المشركون على أنفسهم أيضاً ، وكان المسلمون والمشركون يتراوحون القتال ويرجعون إلى خنادقهم ، فكانوا كذلك شهراً . وبينما هم كذلك سمع المسلمون ضوضاء هزيمة أو قتال ، فبعث العلاءُ عبدَالله بن حَذَف ليستطلع جليّة الأمر ، فعاد ليخبر المسلمين أنّ المشركين سُكارى ، فخرج عليهم المسلمون ، ووضعوا فيهم السيف كيف شاؤوا .وهرب المشركون ، فكانوا بين ناج ومقتول ومأسور . واستولى المسلمون على معسكر المشركين . ولم يفلت رجل من المشركين إلاّ بما عليه من ثياب ، وكان الحُطَم بين قتلى المشركين .

وطارد المسلمون المشركين الهاربين ، فأُسر المنذر بن النُّعمان بنْ المنذر الذي كان قد سوّده المشركون ، فأسلم المنذر (٦٠) .

وفي رواية أخرى ، أنّ العلاء سار بالمسلمين حتى نزل جُوَاثا ، وهو حصن البحرين ، فدلفت إليه ربيعة ، فخرج إليها بمن معه من العرب والعجم ، فقاتلها قتالاً شديداً . ثمّ إنّ المسلمين لجأوا إلى الحصن ، فحصرهم فيه عدوّهم . ثمّ إنّ العلاء خرج بالمسلمين ذات ليلة ، فبيّتَ ربيعة ، فقاتلوا قتالاً شديداً ، وقُتل الحُطَم (٦١) .

وفي رواية ثالثة ، أنّ الحُطَم أتى ربيعة بجُوَاثا ، وقد كفر أهلها جميعاً ، وأمّروا عليهم المنذر بن النعمان بن المنذر ، فأقام معهم . وحصرهم العلاء حتى فتح جُواثاً وقتل الحُطَم (٦٢) ، وكان ذلك سنة اثنتي عشرة الهجرية

(٦٠) الطبري (٣/٣٠٤-٣١٠) وابن الأثير (٢/٣٦٨-٣٧١) ، وانظر البدء والتاريخ (٥/١٥) . (٦١) فتوح البلدان (١١٤-١١٥) . (٦٢) فتوح البلدان(١١٥).

على عهد أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه (٦٣) .

والرواية الثالثة تقارب الرواية الأولى : المشركون في جُواثا ، والمسلمون خارجها ، وهذا ما أرجّحه ، لأنّ المرتدين أعلنوا ردّتهم قبل عودة العلاء إلى البحرين ، فلا بدّ أن يلجأوا إلى حصن حصين في البحرين ، يعينهم على الدفاع ويساعدهم على صدّ المسلمين ، فبادروا إلى حصن البحرين في جُواثا وتحصنوا في داخله قبل قدوم العلاء وجيشه ، فحاصرهم العلاء واستطاع إحراز النّصر عليهم .

وكانت معركة جُواثا بين المسلمين والمشركين معركة سَوْقيّة حاسمة بالنسبة لحرب المرتدين في البحرين ، وكانت المعارك التالية بين المسلمين والمشركين معارك تعبوية من معارك استثمار الفوز ، فأصبح النصر مضموناً للمسلمين على المشركين بعد اندحار المشركين في المعركة السّوْقيّة الحاسمة وهي معركة جُوَاثا .

واستُشهد بجُواثا عبدالله بن سُهَيْل بن عمرو (٦٤) ، أحد بني عامر بن لؤي ، ويكنّى : أبا سُهَيْل ، وأمّه : فاختة بنت عامر بن نَوْفَل بن عبد مَنَاف ، وكان عبدالله أقبل مع المشركين يوم بَدْرٍ ، ثمّ انحاز إلى المسلمين مسلماً ، وشهد بَدْراً مع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فلما بلغ أباه سهيل بن عمرو خبره قال : « عندالله أحتسبه » . ولقيه أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه ، وكان بمكّة حاجّاً ، فعزّاه به ، فقال سُهَيْل : « إنّه بلغني أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال : يشفع الشّهيد في سبعين من أهله ، وإني لأرجو أن لا يبدأ ابني بأحدٍ قبلي » ، وكان يوم استُشهد ابن ثمانٍ وثلاثين سنة .

---

(٦٣) معجم البلدان (١٥٥/٣) .

(٦٤) عبدالله بن سهيل بن عمرو : انظر سيرته في طبقات ابن سعد (٤٠٦/٣) وأسد الغابة (١٨٠/٣) والأصابة (٨٤/٤) والاستيعاب (٩٢٥/٣) .

واستشهد عبدالله بن عبدالله بن أبَيّ يوم (٦٥) جُواثا أيضاً ، وقيل استُشهد يوم اليَمَامَة (٦٦) .

ولم تذكر المصادر التي بين أيدينا عدد المسلمين الذين استُشهدوا في هذه المعركة الحاسمة ، ولكنّ بعض تلك المصادر ذكرت البدريين فقط الذين استشهدوا في جواثا ، مما يدل على أن هذه المعركة لم تكن سهلة التكاليف ، بل كانت معركة قاسية جداً . كما ويدل على أنّ المسلمين لم يباغتوا المشركين وهم سكارى ، بل قاتلوا المشركين وهم مستعدّون للقتال في معركة مدبّرة ، ولا يمنع أن يكون قسمٍ منِ المشركين كانوا سكارى ، ولكن لم يكن كلّ المشركين سكارى على كلّ حالٍ ، وإلاّ لما تكبّد المسلمون هذا العدد الضخم من الشهداء ولما تحملوا هذا النّصب الشديد لإحراز النّصر .

وقصد معظم الهاربين من المشركين يوم جُواثا إلى دارِين ، فركبوا إليها السُّفن ، ولحق الباقون ببلاد قومهم ، فكتب العلاء إلى مَنْ ثبت على إسلامه من بكر بن وائل ، منهم عُتَيْبَة بن النّهّاس (٦٧) والمُثنّى بن حارثة (٦٨) وغيرهما يأمرهم بالقعود للمنهزمين والمرتدّين بكل طريق ، ففعلوا . وجاءت رسلهم إلى العلاء بذلك . وندب الناس إلى دارِين وقال لهم : « قد أراكم الله من آياته في البر لتعتبروا بها في البحر ، فانهضوا إلى عدوّكم واستعرضوا البحر » . وارتحل العلاء وارتحلوا ، حتى اقتحم البحر على الخيل والإبل والحمير وغير ذلك ، وفيهم الراجل ، ودعا الله ودعوا ، فاجتازوا ذلك الخليج بإذن الله ، يمشون على مثل رملة فوقها ماء يغمر أخفاف الإبل ، وبين السّاحل ودارين يوم وليلة لسفن البحر ، فالتقوا

(٦٥) عبدالله بن عبدالله بن أبي : انظر سيرته في طبقات ابن سعد (٥٤٠/٣) وأسد الغابة (١٩٧/٣) والأصابة (٩٥/٣) والاستيعاب (٩٤٠/٣) .

(٦٦) فتوح البلدان (١١٦) .

(٦٧) عتيبة بن النهاس : انظر ما جاء عنه في : ابن الأثير (٢٧١/٢ و ٣٨٨ و ٣٩٢ و٤٤٧) و (١٤٧/٣ و١٨٧) و (٢٢٤/٤) وغيره من المصادر التاريخية .

(٦٨) المثنى بن حارثة الشيباني : انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح العراق والجزيرة (٢٩–٥٠) .

واقتتلوا قتالاً شديداً ، فظفر المسلمون وانهزم المشركون ، وأكثر المسلمون القتل في المشركين ، فما تركوا بها مُخْبِراً ، وغنموا وسبوا ، فلما فرغوا رجعوا حتى عبروا ، فثبت الإسلام في البحرين بالقضاء على المرتدين .

وكتب العلاء إلى أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه ، يعرّفه هزيمة المرتدين وقتل الحُطَم (٦٩) .

وفي رواية ، أنّ أحد الأدلاّء دلّ العلاء وجيشه على المخاضة إلى دارين ، فتقحم العلاء في جماعة من المسلمين البحر . فلم يشعر أهل دارين إلاّ بالتكبير ، فخرجوا . وقاتل المسلمون أهل دارين من ثلاثة أوجه ، فقتلوا مقاتلتهم ، وحووا الذراري والسبي (٧٠) .

ومهما يكن من أمر ، فقد استطاع العلاء استعادة فتح البحرين كافة عَنْوَة ، وخاض عدّة معارك (٧١) لاستعادة البحرين والقضاء على المرتدين ، وقد جعل قسم من المؤرخين استعادة فتح المناطق البحرانية بعد معركة جُواثا قد جرى سنة ثلاث عشرة الهجرية على عهد عمر بن الخطّاب رضي الله عنه (٧٢) ، ولكن سير حوادث القتال وتعاقب الأحداث تدل على أنّ استعادة الفتح جرى على عهد أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه ، وهذا ما تؤيده معظم المصادر المعتمدة .

وهكذا استطاع العلاء فتح البحرين صلحاً على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، واستطاع استعادة فتح البحرين عَنْوَة على عهد أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه ، وكان للعلاء أثر كبير في قتال المرتدين من أهل البحرين (٧٣) أيّ أثر .

---

(٦٩) الطبري (٣/٣١٠-٣١٣) وابن الأثير (٢/٣٧١-٣٧٢) ، وانظر تاريخ خليفة بن خياط (١/٨٣) .

(٧٠) فتوح البلدان (١١٧-١١٨) .

(٧١) انظر التفاصيل في : فتوح البلدان (١١٥-١١٨) وتاريخ خليفة بن خياط (١/٩٣-٩٤) .

(٧٢) تاريخ خليفة ابن خياط (١/٩٣-٩٤) وانظر فتوح البلدان (١١٧-١١٨) .

(٧٣) أسد الغابة (٤/٧) .

٢ – جهاده في منطقة فارس

فاز العلاء في قتال أهل الرِدّة بالفضل ، فلما ظفر سعد بن أبي وَقّاص بأهل القادسيّة وأزاح الأكاسرة ، جاء بأعظم مما فعله العلاء في حرب الرِدّة ، فأراد العلاء أن يصنع بالفُرس شيئاً ويحرز النصر عليهم كنصر سعد على الفُرس في القادسية التي كانت سنة أربع عشرة الهجريّة ، دون أن يفكّر في مغبّة المعصية وأهميّة الطاعة ، إذ كان عمر بن الخطّاب رضي الله عنه قد نهاه عن الغزو في البحر ، ونهى غيره أيضاً ، اتّباعاً لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأبي بكر الصدّيق رضي الله عنه ، خوفاً من أخطار ركوب البحر ، دون كفاية خاصة وتجربة طويلة بركوبه .

ولكن العلاء ندب الناس إلى فارس ، فأجابوه ، ففرّقهم أجناداً ، على أحدها الجارود بن المُعلّى ، وعلى الآخر سَوّار بن هَمّام ، وعلى الآخر خُلَيْد بن المُنْذِر بن سَاوَى ، وخُلَيْد على جميع الناس ، وحملهم في البحر إلى فارس ، بغير إذن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه .

وعبرت الجنود من البحرين إلى فارس ، فخرجوا إلى (إصْطَخْر) (٧٤) وبأزائهم أهل فارس ، وعليهم الهِرْبِذ ، فجالت الفُرْس بين المسلمين وبين سفنهم ، وقطعوا خطوط رجعة المسلمين إلى سفنهم ، فقام خُلَيْد في الناس ، فخطبهم فقال : « أما بعد ! فإنّ القوم لم يدعوكم إلى حربهم ، وإنّما جئتم لمحاربتهم ، والسفن والأرض لمن غلب : فـ(اسْتَعِيْنُوا بالصَّبْرِ والصَّلاة وإنّها لكَبِيْرَةٌ إلاّ عَلَى الخاشِعِيْن) (٧٥) ، فأجابوه إلى ذلك . ثم صلّى المسلمون الظهر وهاجموا الفُرس ، وقاتلوهم قتالاً شديداً بمكان

---

(٧٤) إصطخر : بلدة بفارس سعتها مقدار ميل ، وهي من أقدم مدن فارس وأشهرها ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١/٢٧٥–٢٧٧) .

(٧٥) الآية الكريمة من سورة البقرة (٢ : ٤٥) .

يدعى : (طاوُوس)(٧٦) ، فقُتل سوّار والجارود .

وكان خليد قد أمر أصحابه أن يقاتلوا الفُرس رجّالةً ، ففعلوا ، فقُتل من أهل فارس مَقتلة عظيمة . ثم خرج المسلمون يريدون البَصْرَة ، فلم يجدوا إلى الرجوع إلى البحر سبيلا ، وأخذت الفرسُ منهم طرقهم ، فعسكروا وامتنعوا باتّخاذ موضع دفاعيّ دافع عنه المسلمون دفاعاً مستميتاً (٧٧) .

وكان السّوَّار قد قاتل قتالاً شديداً قبل أن يُقتل ، وجعل يرتجز يومئذٍ ويذكر قومه ويقول :

يا آل عبد القَيْسِ للقِـــراع　　قد حَفَلَ الأَمْدادُ بالجِراع (٧٨)

وكلُّهـم في سَنَنِ المِصَـاع (٧٩)　　يُحْسِنُ ضَرْبَ القومِ بالقَطّاع

حتى قُتل عليه رحمة الله .

وجعل الجارود الذي قاتل قتال الأبطال قبل أن يُقتل يرتجز ويقول :

لو كانَ شـيئاً أممـا أكَلْتُهْ　　أو كان ماءً سادِماً جَهَرْتُه (٨٠)

لكنّ بحراً جاءنا أنكَرْتُهْ .

حتى قُتل عليه رحمة الله .

وجعل خُلَيْد يومئذٍ يرتجز ويقول :

يالَ تَميم أجْمعوا النُّزُول　　وكاد جَيْشُ عُمَرٍ يَزُولْ

وكُلّهم يَعْلَم ما أقول (٨١) .

وقال خُلَيْد في يوم طاووس :

---

(٧٦) طاووس : موضع بنواحي بحر فارس على سيف البحر ، انظر معجم البلدان (١٠/٦)

(٧٧) الطبري (٧٩/٤-٨٢) وابن الأثير (٥٣٩٨/٢) .

(٧٨) يقال : حفل القوم ، إذا اجتمعوا واحتشدوا . والجراع : جمع جرعة ، وهي الرملة الطيبة المنبت التي لا وعوثة فيها .

(٧٩) الماء السادم : المتغير . وجهرته : عرفته وكشفته .

(٨٠) المصاع : المجالدة والمضاربة .　(٨١) الطبري (٨٠/٤) .

بطاوس ناهبنا الملوك وخيلُنا عشية شَهْرَاك(٨٢) عَلَوْنَ الرواسيا
أطاحت جموعَ الفُرس من رأس حالقٍ تراه كمَوَّار السّحابُ مَناغيا
فلا يبعدنّ اللهُ قوماً تتابعوا فقد خضبوا يوم اللقاء العواليا (٨٣)

ولكن تفوّق الفرس الساحق على المسلمين ، جعل الخيار الوحيد أمام المسلمين هو الدفاع المستميت .

ولما بلغ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه صنع العلاء ، أرسل إلى عُتْبَة بن غَزْوان (٨٤) أمير البصرة ، يأمره بإنفاذ جندٍ كثيف من المسلمين إلى المسلمين المحاصَرين بفارس قبل أن يهلكوا ، وكتب إلى عُتْبَة : « انّ العلاء ابن الحضرمي حمل جنداً من المسلمين ، فأقطعهم أهل فارس ، وعصاني ، فخشيت عليهم ألاّ يُنْصروا وأن يغلبوا وينشبوا ، فاندب إليهم الناس وأضممهم إليك قبل أن يُجْتاحوا (٨٥) .

وأرسل عُتبة جيشاً كثيفاً من البصرة إلى فارس في اثني عشر ألف مقاتل ، فيهم عاصم بن عمرو التّميْمِيّ (٨٦) وعَرْفَجَة بن هَرْثَمَة البَارِقيّ(٨٧) والأحنف بن قيس التّميْمِيّ (٨٨) وغيرهم ، فخرجوا على البغال يجنبون الخيل ، وعليهم أبو سَبْرَة بن أبي رُهْم (٨٩) أحد بني عامرِ بن لؤيّ ،

(٨٢) شهراك : اسم قائد الفرس ، انظر الطبري (٨١/١٤) ، وجاء اسمه : شهراك في معجم البلدان (١٠/٦) .
(٨٣) معجم البلدان (١٠/٦)
(٨٤) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح العراق والجزيرة (٤٢١ – ٤٣٠) .
(٨٥) الطبري (٨١/٤) .
(٨٦) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح بلاد فارس (٢٧٧ – ٢٨٩) .
(٨٧) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح العراق والجزيرة (٣٨٧ – ٣٩٤) ، وكان العلاء قد بعث عرفجة بن هرثمة إلى أسياف البحر ، فقطع في السفن ، فكان أول من فتح جزيرة بأرض فارس واتخذ فيها مسجداً وأغار على باريخان والأسياف وذلك في سنة أربع عشرة الهجرية ، انظر طبقات ابن سعد (٣٦٢/٤) .
(٨٨) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح بلاد فارس (٢١٥ – ٢٤٦) .
(٨٩) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح بلاد فارس (١٥٥ – ١٦٠) .

فسار بالناس وساحل بهم لا يعرض له أحد ، حتى التقى أبو سَبْرَة وخُلَيْد بحيث أُخذ عليهم الطريق عُقَيْبُ وقعة طاووس . وكان قد ولِيَ قتالَ المسلمين الذين كانوا بقيادة خُلَيْد أهلُ إصْطَخْر وحدهم ومَنْ شذّ من غيرهم ، وكان أهل إصطخر حيث أخذوا الطريق على المسلمين ، فجمعوا أهل فارس عليهم ، فجاؤوا من كلّ جهة ، فالتقوا هم وأبو سَبْرَة بعد موضع طاووس وقد توافت إلى المسلمين امداداتهم ، وكان الفرس بقيادة شَهْراك (شَهرَك – سَهرَك) ، فاقتتل الجانبان : المسلمون والمشركون ، ففتح اللهُ على المسلمين وقتل المشركين وأصاب المسلمون منهم ما شاؤوا ، وهي الغزوة التي شرفت فيها نابتة البصرة ، وكانوا أفضل نوابت الأمصار ، ثم انكفأوا بما أصابوا ، وكان عُتبة كتب إليهم بالحثّ وقلّة العُرْجَة (٩٠) ، فرجعوا إلى البصرة سالمين (٩١) .

لقد استطاع جيش البصرة بقيادة أبي سَبْرة ، انقاذ جيش البحرين الذي أرسله العلاء إلى أرض فارس بقيادة خليد بعد قتال مرير ، وكان ذلك سنة سبع عشرة الهجريّة (٩٢) .

لقد فتح العلاء بالرغم من إخفاق حملته في هذه الغزوة ، أسيافاً (٩٣) من فارس (٩٤) ، كما ذكر بعض المؤرخين .

ومن الواضح أنّ قوات العلاء انسحبت من فارس بعد أن طوّقها العدو وضيّق عليها الخناق ، فاضطرّت على أن ترضى من الغنيمة بالإياب ، فقد كان موقفها حرجاً يائساً ، فما استطاعت أن تفتح شيئاً من فارس ، ولكنّ حملة العلاء قدّمت تجارب عسكرية جديدة للمسلمين الفاتحين ، فعرفوا منطقة فارس معرفة عملية ، وخبروا طاقات الفُرس وأساليب قتالهم ،

(٩٠) العرجة : المقام . (٩١) الطبري (٤/٧٩ – ٨٢) وابن الأثير (٢/٥٣٨ – ٥٣٩).
(٩٢) الطبري (٤/٧٩) . (٩٣) أسياف : جمع سيف بكسر السين ، وهو ساحل البحر .
(٩٤) المعارف (٢٨٤) .

ممّا هيّأ لهم أسباب فتح بلاد فارس بسهولة ويسر بعد مدّة قصيرة ، كما هو معروف .

وعلى هذا يمكن اعتبار حملة العلاء على أرض فارس ، إخفاقاً تعبوياً ونصراً سَوْقِيّاً (٩٥) ، والنصر السَّوْقِيّ أهم من الاخفاق التعبوي على كل حال .

الاداري

١- ولّى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم البحرين العلاء (٩٦) ليدعو أهلها إلى الإسلام أو الجزية ، فأسلم المنذر بن سَاوَى وأسلم جميع العرب هناك وبعض العجم . أما المجوس ، ويهود ، والنصارى ، فإنّهم صالحوا العلاء ، وكتب بينه وبينهم كتاباً هذا نصّه :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما صالح عليه العلاء بن الحضرميّ أهل البحرين ، صالحهم على أن يكفونا العمل ويقاسمونا التمر ، فمن لم يَفِ بهذا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . وأما جزية الرؤوس ، فإنّه أخذ لها من كلّ حالم ديناراً .

٢- وكتب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى أهل البحرين : « أما بعد ! فإنكم إذا أقمتم الصّلاة ، وآتيتم الزّكاة ، ونصحتم الله ورسوله ، وآتيتم عشر النّخل ، ونصف عشر الحَبِّ ، ولم تمجِّسوا (٩٧) أولادكم ، فلكم ما أسلمتم عايه ، غير أنّ بيت النار لله ورسوله ، وإن أبيتم فعليكم الجزية » . وكان العلاء يقول : « بعثني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى البحرين (أو قال هَجَر) ، وكنت آتى الحائط بين الأخوة قد أسلم بعضهم فآخذ

---

(٩٥) استراتيجياً . (٩٦) جمهرة أنساب العرب (٤٦١) وفتوح البلدان (١٠٧) .

(٩٧) مجس : مجسه تمجيساً – صيره مجوسياً . وتمجس : صار من المجوس ، كما يقال : تهود ، وتنصر .

من المسلم العشر ومن المشرك الخراج » ، ولم يكن بالبحرين في أيام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قتال ، ولكن أسلم بعضهم ، وصالح بعضهم العلاء على أنصاف الحب والتمر (٩٨) .

٣ــ وقد حمل العلاء من مال البحرين إلى بيت مال المسلمين مائة وثمانين ألفاً من الدراهم في رواية ، وثمانين ألفاً (١٠٠) من الدراهم في رواية ثانية .

٤ــ وبقي العلاء على البحرين حتى التحق النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بالرفيق الأعلى (١٠١) في رواية .

وفي رواية أخرى، أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بعث العلاء إلى البحرين، ثمّ عزله عن البحرين ، وبعث أَبان بن سعيد بن العاص (١٠٢) ، وقال له « استَوْص بعبد القيس خيراً وأكرم سَراتهم » (١٠٣) .

وفي رواية ثالثة ، أنّ العلاء كان على ناحية من البحرين منها القَطِيْف ، وأنّ أبان كان على ناحية أخرى ، فيها الخَطّ (١٠٤) .

وأكثر المراجع والمصادر المعتمدة ، تتّفق على أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم لم يعزل العلاء عن البحرين (١٠٥) ، والتحق النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بالرفيق الأعلى والعلاء لا يزال والياً على البحرين فأقرّه عليها أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه ، وهذا ما يؤيده المنطق السليم ، فما كان أبو بكر ليولي العلاء على البحرين بعد أن عزله النبيّ صلّى الله عليه وسلّم عنها ، ولا أن

---

(٩٨) انظر التفاصيل في : فتوح البلدان (١٠٦-١٠٩) .

(٩٩) البدء والتاريخ (٢٥/٥) (١٠٠) فتوح البلدان .

(١٠١) الطبري (١٣٧/٣) وابن الأثير (٢٩٨/٢) والبداية والنهاية (١٢٠/٧) وتهذيب الأسماء واللغات (٣٤١/١) .

(١٠٢) انظر سيرته في : أسد الغابة (٣٥/١ - ٣٧) والإصابة (١٠/١ - ١١) والاستيعاب (٦٢/١ - ٦٤) . (١٠٣) طبقات ابن سعد (١٦٠/٤ - ٣٦١) وفتوح البلدان (١١١)

(١٠٤) فتوح البلدان (١١١) والمجد (٢٦) .

(١٠٥) انظر مثلا : أسد الغابة (٧/٤) والإصابة (٢٥٩/٤) والاستيعاب (١٠٨٦/٣) .

يعقد له لواءً لحرب المرتدين في البحرين بعد أن عزله النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، وكانت سياسة أبي بكر في تولية الولاة معروفة : إقرار ولاة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم على ولاياتهم وتثبيتهم في عملهم .

ويبدو أن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، ولى أبان بن سعيد منطقة من مناطق البحرين ، فاشتبه ذلك على قسم من المؤرخين ، فحسبوا أن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم عزل العلاء عن البحرين ، وما عزله ولكن ولّى مَنْ يعينه .

٥ــ وقد أحسن العلاء في ولايته غاية الإحسان ، كما أحسن في تولي الصدقات ، وكان كاتباً من كتاب النبي صلّى الله عليه وسلّم (١٠٦) ، وهناك نصوص في بعض الكتب النبوية تذكر أنّ كاتبها هو العلاء (١٠٧) .

وكما كان العلاء من عمّال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فقد كان من عمال خليفته أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، فكان عامله على البحرين(١٠٨) حتى توفي أبو بكر ، فأقره عمر بن الخطّاب رضي الله عنه (١٠٩) .

ولما استعمل عمر بن الخطاب على البصرة عُتْبَة بن غَزْوَان سنة أربع عشرة الهجرية ، كتب إلى عُتْبَة فيما كتب : « يا عُتْبة ! إني قد استعملتك على أرض الهند ، وهي حومة من حومة العدو ، وأرجو أن يكفيك الله ما حولها ، وأن يعينك عليها . وقد كتبت إلى العلاء بن الحضرمي أن يمدّك بعَرْفَجَة بن هَرْثَمَة ، وهو ذو مجاهدة العدو ومكايدته ، فإذا قدم عليك فاستشره وقرِّبه (١١٠) . . . » ، مما يدلّ على أنّ العلاء كان ناجحاً في إدارة ولايته ، مكتفياً ذاتياً برجاله في إدارتها ، ولديه قوّات إضافية متيسِّرة ، يعاون بها الأمصار المجاورة عند حاجتها إلى معاونته .

(١٠٦) الطبري (١٧٣/٣) وابن الأثير (٣١٣/٢) وأنساب الأشراف (٥٣٢/١) .
(١٠٧) انظر مغازى الواقدي (٧٨٢/٢) .
(١٠٨) الطبري (٤٢٧/٣) وابن الأثير (٤٢١/٢) وتاريخ خليفة بن خياط (٩١/١) .
(١٠٩) تاريخ خليفة ابن خياط (٩١/١) .
(١١٠) الطبري (٥٩٣/٣) وابن الأثير (٤٨٦/٢) .

٦- وجاءت سنة سبع عشرة الهجرية ، والعلاء على البحرين ، وكان العلاء يبارى سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه ، فطار العلاء على سعد في الرِدّة بالفضل ، فلما ظفر سعد بالقادسية سنة أربع عشرة الهجريّة ، وأزاح الأكاسرة عن العراق ، وأخذ حدود ما يلي (السّوَاد) (١١١) ، واستعلىَ وجاء بأعظم مما كان العلاء جاء به ، سرّ العلاء أن يصنع شيئاً في الأعاجم ، فرجا أن يُدال كما قد كان أُديل ، ولم يقدِّر العلاء ولم ينظر فيما بين فضل الطاعة والمعصية بجدّ ، وكان عمر بن الخطّاب قد نهاه عن البحر ، فلم يقدِّر الطاعة والمعصية ، فحمل الناس في البحر إلى فارس بغير إذن عمر ، وكان عمر لا يأذن لأحدٍ في ركوب البحر غازياً ، يكره المخاطرة بجنده استناناً بالنبيّ صلّى الله عليه وسلّم وبأبي بكر ، لم يغزُ فيه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ولا أبو بكر ، فنكب المسلمون من جيش العلاء كما ذكرنا ، ولما بلغ عمر الذي صنع العلاء من بعثه ذلك الجيش في البحر ، اشتد غضب عمر على العلاء ، وكتب إليه بعزله ، وتوعّده ، وأمره بأثقل الأشياء عليه وأبغض الوجوه إليه ، بتأمير سعد عليــه ، وقال : « الْحَقْ سعــد بن أبي وقّاص فيمن قِبَلَك » ، فخرج بمن معه نحو سعد (١١٢) .

وفي رواية ، أنّ عمر بن الخطّاب كتب إلى العلاء وهو عامله على البحرين يأمره بالقدوم عليه ، وولّى عثمان بن أبي العاص (١١٣) الثّقفي البحرين وعُمَان ، فاما قدم العلاء المدينة المنورة ، ولاه البصرة مكان عُتْبَة بن غزوان ، فلم يصل إليها حتى مات (١١٤) .

(١١١) السواد : رستاق العراق وضياعها ، وسمى بذلك لسواده بالزرع والنخيل والأشجار ، لأنه حين تاخم جزيرة العرب التي لا زرع فيها ولا شجر ، كانوا إذا خرجوا من أرضهم ظهرت لهم خضرة الزرع والأشجار ، فيسمونه : سواداً . وحد السواد من حديثة الموصل طولا إلى عبادان ، ومن العذيب بالقادسية إلى حلوان عرضاً ، فيكون طوله مائة وستين فرسخاً ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥/١٥٩ - ١٦٤) .

(١١٢) الطبري (٤/٧٩ - ٨١) وابن الأثير (٢/٥٣٨ - ٥٣٩) .

(١١٣) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح بلا د فارس (٢٦٢ - ٢٦٩) .

(١١٤) فتوح البلدان (١١٢) .

وفي رواية ، أنّ عمر بن الخطاب كتب إلى العلاء وهو بالبحرين : « أن سِرْ إلى عُتْبَة ، فقد وليتك عمله » ، فسار العلاء، فمات بـ (تِياس) (١٥) من ارض بني تَمِيْم قبل أن يصل (١١٦) إلى البصرة .

وفي رواية ، أن عمر بن الخطاب ، ولاه البصرة بعد وفاة عتبة بن غزوان فمات قبل أن يصل إليها (١١٧) .

٧- وأرجِّح أن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، ولاّه البصرة بعد موت عُتْبة بن غزوان ، وعزله عن البحرين ، لان عمر لم يكن ليبقيه في البحرين بعد إخفاق حملته على أرض فارس ، ومخالفته لأمر عمر في ركوب البحر ، وهي مخالفة صريحة لأوامر عمر الجازمة في عدم ركوب البحر ، فكان عزله عن البحرين عقاباً له .

ولكنّ هذا العقاب لم يكن ليصل إلى حدّ كسر عزّة العلاء ، وتحميله من الأمر ما لا يطيق ، وذلك بجعله تحت إمرة سعد بن أبي وقاص المباشرة ، الذي كان العلاء ينافسه في خدمة الإسلام عن طريق الفتح ، فمن المعقول إذاً نقله من البحرين إلى ولا ية أخرى قريبة من البحرين هي البصرة ، فيكون ذلك العقاب عقاباً لا يرقى إلى درجة الإذلال والمهانة والانتقام ، التي كانت بعيدة كلّ البعد عن خلق السلف الصالح من أمثال عمر بن الخطّاب وعن خلق القرآن الكريم التي يلتزم به عمر بن الخطّاب .

كما أنّهم كانوا لا يحطِّمون المرء لزلّة من الزلاّت ، ضاربين بماضيه المجيد عرض الحائط ، ومتناسين أعماله في خدمة الإسلام والمسلمين ، بل كانوا يذكرون المرء بأحسن ما فيه ولا ينسون له ما قدّمت يداه من خير .

(١١٥) تياس : ماء للعرب بين الحجاز والبصرة ، وقيل : جبل بين البصرة واليمامة ، انظر معجم البلدان (٤٣٨/٢) .

(١١٦) تاريخ خليفة بن خياط (٩٦/١) والمعارف (٢٨٤) .

(١١٧) الاستيعاب (١٠٨٦/٣) .

لقد كانوا بحق يبنون الرجال، بعكس الحاكمين الذين يحطّمون الرجال ، بالقضاء عليهم دون رحمة بعد أوّل زلّة من الزلاّت ، غير مكترثين بماضي المرء وأعماله المجيدة .

فما أحرى حكام اليوم أن يتعلّموا كيف كان السّلف الصّالح يبنون الرجال ، فليس من مصلحتهم ولا من مصلحة أمتهم وأوطانهم تحطيم الرجال، حتى خلت الديار من الرجال ، وسادت العُمْلة الرديئة على العُمْلة الجيدة ، وأشباه الرجال على الرجال ! .

وقد أحسن العلاء سفيراً وقائداً ووالياً وجابياً غاية الإحسان ، وأخطأ مرة ، والحسنات يذهبن السيئات .

الإنسان

أصل العلاء من حَضْرَمَوْت ، سكن أبوه مكّة المكرّمة ، فولد بها العلاء ونشأ ، وتعلّم القراءة والكتابة فيها ، وكان الذين يحسنون القراءة والكتابة قليلين جداً في عرب الجزيرة العربية ، فأصبح أحد كتّاب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم (١١٨) في كتابة الوحي ورسائله النبويّة .

وأخباره إنساناً قليلة جداً في المصادر المعتمدة ، لا تتناسب مع ما بذله من جهد صادق أمين في خدمة الإسلام والمسلمين سفيراً وأميراً وجابياً ومجاهداً وقائداً ، فلا ندري متى ولد ، وكيف عاش ، وهل له عقب أم ليس له عقب ، ولا نعلم عن عقبه شيئاً .

وقد تحدّثت المصادر المعتمدة عن إيمانه العميق وتقواه وورعه ، ويقال إنّه كان مستجاب الدعوة (١١٩) ، كدليل على تقواه وورعه العميقين ، وكان الصحابيّ الجليل أبو هُرَيرة رضي الله عنه يقول : « رأيت من العلاء بن

(١١٨) ابن الأثير (٢/٣١٣) والسيرة الحلبية (٢/٣٦٤) .
(١١٩) الاستيعاب (٢/١٠٨٧) والمعارف (٢٨٤) وتهذيب الأسماء واللغات (١/٧٤٢) .

الحضرمي ثلاثة أشياء لا أزال أحبّه أبداً : رأيته قطع البحر على فرسه يوم دارين ، وقدم من المدينة يريد البحرين ، فلما كان بالدَّهْناء نفد ماؤهم فدعا الله فنبع لهم من تحت رَمْلَةٍ فارتووا وارتحلوا ، وأنسيَ رجل منهم بعض متاعه فرجع فأخذه ولم يجد الماء ، وخرجت معه من البحرين إلى صف البصرة ، فلما كنا بتياس مات ونحن على غير ماء ، فأبدى الله لنا سحابة فمُطِرْنا فغسّلناه وحفرنا له بِسيوفنا ولم نُلْحِد له ودفنّاه ومضينا ، فقال رجل من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : دفنّاه ولم نُلْحِدْ له ، فرجعنا لنُلْحِدَ له ، فلم نجد موضع قبره » (١٢٠) .

وذكرت تلك المصادر المعتمدة ، أنّ العلاء سَلك بجيشه الدَّهْناء في طريقه من المدينة إلى البحرين لحرب المرتدين في ردَّة أهل البحرين ، حتى إذا كانوا في بُحْبُوحَتها — بحبوحة الدَّهْناء — نزل وأمر الناس بالنزول في الليْل ، فنفرت إبلهم بأحمالها ، فما بقي عندهم بعير ولا زاد ولا ماء ، فلحقهم من الغمّ ما لا يعلمه إلاّ الله ، ووصّى بعضهم بعضاً ، فدعاهم العلاء فاجتمعوا إليه ، فقال : « ما هذا الذي غاب عليكم من الغم ؟ ! » ، فقالوا : « كيف نُلام ونحن إن بلغنا غداً لم تحمَ الشمس حتى نهلك ! » ، فقال : « لن تُراعوا ! أنتم المسلمون ، وفي سبيل الله وأنصار الله ، فأبشروا ، فوالله لن تُخْذَلوا ». فلما صلّوا الصبح ، دعا العلاء ودعوا معه ، فلمع لهم الماء ، فمشوا إليه وشربوا واغتسلوا . فما تعالى النّهار حتى أقبلت الإبل تُجمع من كلّ وجه ، فأناخت إليهم ، فسقوها . وكان ابو هُرَيْرَة فيهم ، فلما ساروا عن ذلك المكان ، قال لمِنْجاب بن راشد (١٢١) : « كيف علمك بموضع الماء ؟ » ، قال : « عارف به ! » ، فقال : « كنْ معي حتى تُقيمني عليه » ، قال : « فرجعت

---

(١٢٠) طبقات ابن سعد (٣٦٣/٤) .

(١٢١) وهو الدليل في رحلة العلاء والمسلمين في هذه المرحلة الصحراوية .

به إلى ذلك المكان فلم نجد إلا غدير الماء، فقلت له : والله لولا الغدير لأخبرتك أنّ هذا هو المكان ، وما رأيت بهذا المكان ماءً قبل اليوم (١٢٢) .

وكتب العلاء إلى أبي بكر الصدّيق : « أما بعد ! فإنّ الله تبارك وتعالى فجرّ لنا الدّهْناء فيضاً لا تُرى غواربه ، وأرانا آية وعبرة بعد غمّ وكرب لنحمد الله ونمجّده ، فادْعُ الله واستنصره لجنوده وأعوان دينه » .

فلما تسلّم أبو بكر الصدّيق كتاب العلاء ، حمد الله ودعاه ، وقال : « لا زالت العرب فيما تحدّث عن بلدانها ، يقولون : إنّ لقمان حين سُئل عن الدّهْناء: أيحتفرونها أو يَدَعونها ؟ نهاهم ، وقال : لا تبلغها الأَرْشيَة ، ولم تقرّ العيون ، وإن شأن هذا الفيْض من عظيم الآيات ، وما سمعنا به في أمّة قبلها . اللّهمّ أخلف محمّداً صلّى الله عليه وسلّم فينا » (١٢٣) .

هذا بعض ما جاء عن إحدى كرامات الرجل الصالح العلاء في الدّهْناء .

أما ما جاء عن كرامة من كراماته في استعادة فتح دارين ، من أنّه ندب الناس إلى دارين ، ثمّ جمعهم فخطبهم ، وقال : « إنّ الله قد جمع لكم أحزاب الشياطين وشُرَّدَ الحرب ،وقد أراكم من آياته في البرّ لتعتبروا بها في البحر ، فانهضوا إلى عدوّكم ، ثمّ استعرِضوا البحر إليهم ، فإنّ الله قد جَمعهم » ، فقالوا : « نفعل ولا نهاب والله بعد الدّهْناء هَوْلاً ما بَقينا » .

وارتحل العلاء وارتحلوا ، حتى إذا أتى ساحل البحر اقتحموا على الصّاهــل (١٢٤) والجامِل (١٢٥) والشّاحِج (١٢٦) والنّاهق والرّاكب والرّاجل (١٢٧) ، ودعا ودعوْا ، وكان دعاؤه ودعاؤهم : : « يا أرحم

(١٢٢) الطبري (٣٠٦/٣ - ٣٠٨) وابن الأثير (٣٦٩/٢) .

(١٢٣) الطبري (٣١٣/٣) .

(١٢٤) الصاهل : الفرس ، والصهيل صوته .

(١٢٥) الجامل : القطيع من الإبل .

(١٢٦) الشاحج : البغل ، والشحيج صوته .

(١٢٧) في الأغاني : فارتحل وارتحلوا حتى أتى ساحل البحر ، فاقتحموا على الخيل ، هم والإبل والبغال ، والراكب والراجل .

الراحمين ، يا كريم ، يا حليم ، يا أحَد ، يا صَمَد ، يا حيّ، يا مُحيي الموتى ، يا حيّ يا قيوم ، لا إله إلاّ أنت ، يا ربّنا » ، فأحازوا ذلك الخليج بإذن الله جميعاً يمشون على مثل رَمْلة مَيثاءَ ، فوقها ماء يغمُر أخفاف الإبل ، وإنّ ما بين السّاحل ودَارين مسيرة يوم وليلة لسُفُن البحر في بعض الحالات (١٢٨) .

وللمرء أن يصدِّق ما روته المصادر المعتمدة عن العلاء أو لا يصدِّق ، ولكن ذكر أمثال هاتين الكرامتين للعلاء إن دلّتا على شيءٍ فانّهما تدلاّن على ما كان يتمتّع به من إيمان عميق ، ولا شيء يُستَكثَر على المؤمن الحق . فطالما أثمر الإيمان الأعاجيب ، وليس من الصواب أن نقيس كلّ شيءٍ بالمقاييس المادية وحدها دون غيرها من المقاييس ، إذ هناك من القضايا المعنويّة ما يصعب قياسها بالمقاييس الماديّة ، فشتان بين المادة والروح .

ولئن حرصتُ على نقل هاتين الكرامتين للعلاء من المصادر المعتمدة ، فلكي أسرد كلّ ما جاء عن العلاء تحقيقاً للأمانة العلميّة ، ولكي أعطي صورة متكاملة عنه إنسانا .

لقد كان العلاء بالإضافة إلى ورعه وتقواه ، شهماً غيوراً ، صادقاً وفياً ، بمزايا الخلق الكريم ، وكان متفرغاً بكل طاقاته المادية والمعنوية لخدمة الإسلام والمسلمين ، فكأنّه نسى نفسه وأهله في تفرّغه لخدمة مصالح دينه وإخوته في الدين ، إذ لا نعلم أنّه ترك درهماً ولا ديناراً ، ولا متاعاً ولا دارا ، بل ترك هذا الذكر الحميد الذي هو أثمن من كل مال وعقار .

روى له البخاري ومسلم حديثاً واحداً ، وروى عنه السّائب بن يزيد وأبو هريرة (١٢٩) ، وروى أربعة أحاديث (١٣٠) في مجموع ما رواه من أحاديث .

(١٢٨) الطبري (٣/٣١٠ - ٣١١)

(١٢٩) تهذيب الاسماء واللغات (١/٣٤٢) .

(١٣٠) أسماء الصحابة الرواة - ملحق بجوامع السيرة (٢٩٠) .

وأخيراً انتهت حياة العلاء ، فتوفي في سنة أربع عشرة الهجرية (٦٣٥م) وقيل : سنة إحدى وعشرين (١٣١) (٦٤١ م) . وفي رواية أخرى : أنّه مات في سنة أربع عشرة الهجرية في أول سنة خمس عشرة الهجرية ، وقيل توفى سنة عشرين الهجرية (١٣٢) .

تلك نماذج من المصادر المعتمدة التي تردّدت في تاريخ وفاة العلاء ، ولكن هناك مصادر معتمدة لم تتردّد ، فقد نصت على أنّه توفى سنة إحدى وعشرين الهجرية (١٣٣) ، وهذا ما نرجّحه ، لأنّ العلاء غزا أرض فارس سنة سبع عشرة الهجريّة ، فلا بدّ من أن تكون وفاته بعد ذلك ، أي سنة إحدى وعشرين الهجرية ، وهي السنة التي تردّد قسم من المصادر المعنمدة في إثباتها سنةً لوفاة العلاء ، ولكنها ذكرتها دون البت في أمرها ، بينما لم يتردّد قسم آخر من المصادر في النصّ على أنّها سنة وفاة العلاء .

لقد كان العلاء بحق من أولئك الرجال الأفذاذ الذين عاشوا لعقيدتهم وماتوا في سبيلها فنسوا أوّل ما نسوا في غمرة التفرغ لخدمة تلك العقيدة أنفسهم ، فما نساهم الله ولا الناس ولا التاريخ ، وكانوا الأسوة الحسنة للذين يعملون لقلوبهم لا لجيوبهم ، وللمصلحة العامة لا للمصلحة الخاصة ، ولعقيدتهم وإخوتهم في العقيدة لا لأنفسهم وأهليهم في النسب والقُربى .

القائد

كان للعلاء أثر عظيم في قتال أهل الرِدَّة عند البحرين (١٣٤) ، فقد استطاع إحراز النّصر على المرتدين ، بالرغم من تفوّقهم السّاحق على المسلمين

(١٣١) أسد الغابة (٧/٤) والإصابة (٢٥٩/٤) والاستيعاب (١٠٨٦/٣) وتهذيب الأسماء واللغات (٣٤١/١ – ٣٤٢) والبداية والنهاية (١٢٠/٧) .

(١٣٢) فتوح البلدان (١١١ – ١١٢) .

(١٣٣) ابن الأثير (٢١/٣) والعبر (٢٥/١/) وجمهرة أنساب العرب (٤٦١) .

(١٣٤) تهذيب الأسماء والنغمات (٣٤٢/١) .

في العَدَد والعُدَد ، ونشوب القتال في عقر دارهم بعيداً عن قواعد المسلمين .
ولكنّه لم يكن مصيباً في قراره الخاص بعبور البحر إلى فارس ، لأنّ إطاعة الأوامر أساس من أقوى أسس الجنديّة في كلّ زمان ومكان .

ولست أشكّ بتاتاً ، في أنّ العلاء اجتهد فأخطأ ، وأنّ نيّته سليمة تتّجه بكلّ طاقاتها لخدمة الإسلام والمسلمين — ومن هذه الطاقات ، سلوك طريق التّنافس الشّريف في الفتوح — ، إلاّ أن ذلك لا يسوّغ مطلقاً مخالفته للأوامر الصّريحة الصّادرة إليه من عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، بعدم ركوب البحر ، خوفاً على المسلمين .

ولكنّ هذه المخالفة بالذات ، تدلّ على حبّ العلاء للمسؤوليّة وإقدامه على تحمّلها كاملة ، حتى تجاه قائد أعلى قويّ غاية القوّة ، مثل عمر بن الخطّاب .

لقد كان العلاء ينافس سعداً في ميدان الفتوح فأين ينافسه إذا لم يعبر البحر إلى فارس ؟ لقد كان العبور إلى فارس ، هو المسلك الوحيد الذي يستطيع العلاء سلوكه دون منافس ، ويستطيع من خلاله أن يحقّق فتحاً جديداً للمسلمين ، لأنّ العراق قد فتحه سعد فذهب بفخره وأجره . والبلاد العربية في جنوب البحرين تدين بالإسلام ويحكمها ولاةٌ مسلمون ، فليس للعلاء ميدان يظهر به جهاده وجهوده غير بلاد فارس . ولكن كان عليه أن يحصل على موافقة قائده الأعلى عمر بن الخطّاب في ركوب البحر إلى فارس ، وبخاصة وأنّ عمر أعرف بالظروف المناسبة لخوض المعركة في فارس ، وأقدر على استكمال ما تحتاج إليه تلك المعركة من أمور ماديّة ومعنويّة ، قبل خوضها لضمان النصر ، ثم المسؤول الأول عن إدارة المعارك لقادته كافة في جميع جبهات القتال .

لقد اجتهد العلاء فأخطأ ، وللمخطئ حسنة ، وللمصيب حسنتان .

وكانت له قابليّة متميّزة على إصدار القرارات السريعة الصحيحة ،

لذكائه وحرصه على الحصول على المعلومات عن العدو ، وحذره ويقظته ، ومعرفته المستفيضة بالأرض التي يقاتل عليها وبالعدو الذي يقاتله ، لأنّه أمضى ما يناهز الأربع سنوات في البحرين سفيراً وأميراً وعاملاً على الصدقات وداعياً إلى الله .

وكان يتحلّى بالشجاعة الشخصيّة النادرة ، فهو من قادة العقيدة الذين لا يبالون أوقعوا على الموت ، أم وقع الموت عليهم ، والشهادة في سبيل الله من أغلى أمانيهم ، وإنّما الجهاد بالنسبة إليهم يؤدي إمّا إلى النّصر أو الشهادة ، فهم يحرصون على الشهادة حرصهم على النّصر ، ومعنوياتهم العالية المرتكزة على الإيمان الرّاسخ هي من أهم عوامل شجاعتهم الشخصية .

وكان يتحلّى بالإرادة القويّة الثابتة التي لا تتزعزع ولا تتردّد ولا تنثنى ، ولعلّ أوضح دليل على إرادته القويّة الثابتة ، اجتيازه الدّهناء على رأس جيشه ، وليس اجتيازها بالأمر اليسير .

وسرّ إرادته القويّة ، ثقته العظيمة بالله ، واعتماده عليه وتوكّله على قدرته ، وإيمانه المطلق بأنّ الله لا يخزيه ما دام على الحق .

وكانت له نفسيّة لا تتبدّل في حالتي اليسر والعسر ، فالمؤمن بخير على كل حال ، إذا انتصر شكر ، وإذا اندحر صبر .

وكان يتمتّع بمزية سبق النّظر ، فيحسب لكل أمر حسابه ، ويتّخذ التدابير المبكّرة الكفيلة بما عسى أن يلاقيه من مشاكل وعقبات ، وبالحلول الناجعة المعقولة لحلّها .

وكان يعرف نفسيات رجاله وقابلياتهم ، لأنّه عايشهم في الحلّ والسفر وفي السلم والحرب ، مختلطاً اختلاطاً راسخاً بهم ، كأنّه فرد منهم ، له مالهم وعليه ما عليهم ، فكان يستخدم الرجل المناسب في المكان المناسب حسب كفايته وقابليته ونفسيّته ، وهذا هو سر نجاحه قائداً وإدارياً أو هو من أسرار نجاحه .

وكان يثق برجاله ثقة بغير حدود ، وكانوا يثقون به ثقة عمياء ، لأنّه كان يعمل لهم أكثر مما يعمل لنفسه ، بل نسي نفسه في غمرة العمل الدّائب لأصحابه ، فيؤثرهم على نفسه ولا يؤثر نفسه عليهم ، وبهذا استحوذ على ثقتهم المطلقة به قائداً وإدارياً وإنساناً .

وكان يحبّ رجاله ، ويبادلونه حبّاً بحب ، لأنّه يعطيهم من نفسه كلّ شيْ ، ولا يريد لنفسه منهم شيئاً ، ويسخّر نفسه لمصالحهم ، ولا يسخّرهم لمصالحه ، ويعطيهم ولا يأخذ منهم .

وكان يتحلّى بشخصية قويّة نافذة ، يفرض احترامه على رجاله بدون قسر ، فيطيعونه طاعة الواثق بمن يثق به والمحب بمن يحب ، فكان يعرف ما عليه من واجبات فيؤدّيها دون نقصان ، ويعرف ما على غيره من واجبات في خدمة الإسلام والمسلمين ، فيؤدي رجاله واجباتهم أداء الذين يجدون قائدهم يسبقهم في أداء واجباته ويحرص على تنفيذ أوامره شخصياً قبل أن يطالب غيره بتنفيذها .

وكان يتحلّى بالقابلية البدنية التي تعينه على تحمل المشّاق ، والدليل على تلك القابلية نجاحه في اجتياز الدّهناء وصبره الطويل على تحمل أعباء التنقل والقتال .

وكان له ماضٍ ناصع مجيد في خدمة الإسلام والمسلمين ، وبخاصة في فتح البحرين صلحاً بسفارته النبوية ، وأمجاده في الجهاد تحت لواء النبيّ صلّى الله عليه وسلّم معروفة .

وعند تطبيق عمليات العلاء العسكريّة على مبادئ الحرب ، نجد أنّه كان يطبّق مبدأ : اختيار المقصد وإدامته ، يضعه أمام عينيه ولا يحيد عنه ، وكانت معاركه : تعرضيّة ، لم يتخذ خطّة الدفاع ، فكان يؤمن بأنّ الهجوم أنجح وسائل الدفاع .

وكان في معاركه يطبّق مبدأ : المباغتة ، أهم مبادئ الحرب على الإطلاق : مباغتة بالمكان كما فعل بعبور صحراء الدّهناء ليصل إلى البحرين من أقصر طريق بأسرع وقت ممكن من اتّجاه لا يتوقّعه المرتدون - بالرغم من أخطار عبور هذه الصحراء ، ومباغتة في الزّمان ، كما فعل في مهاجمته المرتدين من أهل البحرين في وقت لا يتوقّعونه .

وكان يطبّق مبدأ : حشد القوّة ، فقد عقد أبو بكر الصدّيق له لواء على جيش في المدينة المنورة ، فزحف على رأس هذا الجيش الى المرتدين في البحرين ، وكان يستنهض المسلمين الذين يمرّ بهم في طريقه الى هدفه ، كما ضمّ إلى هؤلاء جميعاً مُسلمي البحرين الذين ثبتوا على الإسلام ولم يرتدوا ، فحشد طاقات المجاهدين كافة لحرب المرتدين .

ولكنّه كان يطبّق مبدأ : الاقتصاد بالقوّة ، فيخصّص القوات المناسبة لتحقيق أهدافه القتالية دون إفراط في الكميّة ولا تفريط فيها .

وكانت خططه التعبويّة مرنة ، يستطيع تبديلها أو تحويرها حسب الظروف والاحوال .

وكان يطبّق مبدأ : التعاون بين أقسام قوّاته المختلفة ، وبين مجموعة قوّاته والقيادة الإسلامية العليا في قاعدة المسلمين الرئيسة : المدينة المنوّرة .

وكان يطبّق مبدأ إدامة المعنويات ، فيرفع معنويات رجاله بإيمانه العميق وأسوته الحسنة وإحراز النصر ، وكان وجوده كافياً لرفع معنويات رجاله في أقسى الظروف والاحوال .

وكان يطبّق مبدأ : الأمن ، بإخراج المقدّمات والمجنبات والمؤخرات والسّاقات ومفارز الاستطلاع والحذر واليقظة والحصول على المعلومات المفصلة عن المرتدين .

وكان يطبّق مبدأ : الامور الإدارية ، فما علمنا أنّ قوّاته جاعت أو

عطشت أو شكت قلّة وسائط نقلها أو نقص الطبابة فيها . فكانت قضايا جيشه الإدارية جارية على أحسن وجه وبكفاية عالية متميزة .

إنّه كان يطبّق مبادئ الحرب كافة بكفاية واقتدار وحرص ، لذلك انتصر في جميع المعارك التي خاضها ، فهو من قادة المسلمين المتميّزين .

السّفير

كان نجاح العلاء في سفارته النبوية نجاحاً باهراً ، فقد أسلم المنذر بن ساوَى عامل كسرى على البحرين ، وأسلم معه من أهله وقومه كثير ، وأصبحت البحرين جزءً من الدولة الإسلامية الناشئة صلحاً بدون قتال ، فكان نجاح العلاء في سفارته النبوية أقصى ما يطمح إليه سفير ناجح في سفارته ، فما عوامل نجاحه سفيراً ؟

يمكن أن نعدّد خمسة عوامل لهذا النّجاح الباهر : الأول هو الانتماء والإيمان ، والثاني هو الفصاحة والعلم وحسن الخلق ، والثالث هو الصّبر والحكمة ، والرابع هو سعة الحيلة والدّهاء ، والخامس هو رواء المظهر .

أما العامل الأول ، وهو الانتماء والإيمان ، فقد كان العلاء مسلماً حقّاً في انتمائه ، لا يعرف إلا خدمة الإسلام والمسلمين ، كأنّه لم يخلق إلاّ لتحقيق هذا الهدف السّامي الرفيع .

وقد كاد تفرّغه الكامل من أجل هذا الهدف ، أن ينسى معه نفسه وما تحتاج إليه من رغبات في الحياة ، وما تصبو إليه من آمال في المستقبل القريب والبعيد .

وكان انتماؤه للاسلام عميق الجذور في نفسه ، أنساه كلّ انتماء آخر قبل إسلامه ، فتفرّغ لانتمائه الجديد .

وكان مؤمناً صادق الإيمان ، بل كان فذّاً في إيمانه ، برز على كثير

من المسلمين في ايمانه ، مع أنّ الذين برز بينهم هم من مجتمع الصحابة عليهم رضوان الله ، فوصف بأنّه : مستجاب الدعوة ، وأنّ له كرامات له المؤرخون وأصحاب السِّير والمؤلفون .

لقد كان في انتمائه إلى الإسلام ، وإخلاصه لهذا الدين ، وإيمانه الراسخ بما جاء به من عند الله ، والتزامه الثابت بكتاب الله وسنّة رسوله عليه الصّلاة والسّلام ، أسوةً حسنة لمن عاش معه ولمن جاء بعده من المسلمين ، ومثلاً أعلى يُحتذى به في الانتماء الحق الرّاسخ والإيمان الصادق المتين .

أما العامل الثاني ، وهو الفصاحة والعلم وحسن الخلق ، فمن المعروف أنّ العربيّ في أيام العلاء ، كان مشهوراً بفصاحته ، ونزول القرآن الكريم على المجتمع العربيّ حينذاك متحدياً ذلك المجتمع العربيّ الفصيح بفصاحته ، دليل قاطع على ما كان يتمتّع به المجتمع العربي يومئذٍ من فصاحة عالية وبلاغة رفيعة .

واختيار العلاء ليتولى إحدى السفارات النبويّة إلى منطقة عربية مشهود لها بالفصاحة ، دليل على أنّ العلاء كان متميِّزاً بفصاحته على أقرانه في ذلك المجتمع العربيّ الفصيح ، فما كان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ليختار سفيراً إلى بلاد عربية معروفة بالفصاحة والبيان ، إلاّ اذا كان متميزاً بفصاحته ، ليكلِّم الناس بأسلوب يؤثر في قلوبهم وعقولهم معاً ، ويدعو الفصحاء إلى الإعجاب بفصاحته .

وقد ذكرنا أنّ العلاء كان يحسن القراءة والكتابة في مجتمع أمّي يندر فيه مَنْ يُحسن القراءة والكتابة ، والطريق إلى العلم هو القراءة والكتابة كما هو معروف . وكان العلاء من رواة الحديث كما علمنا ، كما كان فقيهاً مما رشّحه ليكون أحد عُمّال الصدقات للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، وما كان ليتسنّم هذا المنصب المرموق لولا فقهه في الدين . كما أنّ النزاهة المطلقة هي

إحدى شروط تسنّم مثل هذا المنصب ، والنزاهة سمة من سمات حسن الخلق ، والإسلام جاء ليتمّم محاسن الأخلاق ومكارمها .

وقد كان حسن الخلق من سمات المسلم الحق ، ولا يزال حسن الخلق من سماته حتى اليوم ، وسيبقى من سماته ما بقي هذا الدين .

وقد كان مجتمع الصحابة عليهم رضوان الله ، مجتمعاً متميِّزاً بكثير من المزايا والصفات ، لعلّ من أبرزها حسن الخلق ، فكانوا قمّة في محاسن الأخلاق ، وكان العلاء فرداً من هذا المجتمع المتميِّز بمكارم الأخلاق ، وكان من أفضلهم خلقاً .

أما العامل الثالث ، وهو الصبر والحكمة ، فقد كان الصبر الجميل سمة من سمات الصّحابة ، وهو مزيّة من مزايا محاسن الأخلاق وصفة من صفات المؤمنين الصادقين .

وقد وردت مادة : (صَبَرَ) ومشتقاتها في مائة وثلاث آيات في القرآن الكريم حثاً على التمسّك بمزية الصّبر ، وهي مزيّة أمر بها الدين وحثّ على التمسك بأهدابها .

وما جزع العلاء في مفاوضاته أيام سفارته وقبلها وبعدها ، بل صبر على تبليغ الدعوة ، حتى حقّق هدفه المنشود .

وكان حكيماً في مفاوضاته ، ولم يكن فظّاً غليظ القلب ، فما انفض الذين حمل الدّعوة إليهم من حوله ، بل أحاطوا به إحاطة السِّوار بالمعصم ، وكانوا له أهله بعد أهله وإخوةً وأصحاباً .

ونجاحه الباهر في سفارته دليل حاسم على حكمته وأناته وسعة صدره وحلمه وصبره الجميل .

أما العامل الرابع ، وهو سعة الحيلة ، فإنّ النتائج التي حقّقها العلاء في سفارته النبوية ، تثبت أنّه كان على جانب عظيم من سعة الحيلة ، ولو

لم يكن ألمعيّ الذكاء ، راجح العقل ، قوي المنطق ، بعيد النظر ، حاضر البديهة ، صائب الرأي ، نقيّ الفكر ، لما كُتب له في مهمّته الصعبة التوفيق والنّجاح .

والعامل الخامس والأخير ، وهو رواء المظهر ، ولا نصوص على رواء مظهر العلاء في اقصادر المعتمدة المتيسِّرة التي ذكرته وتحدّثت عنه ، ولكن يمكن استنتاج ذلك من توليته السفارة النبوية ، فقد اختار النبيّ صلّى الله عليه وسلّم سفراءه بموجب شروط معيّنة واضحة ، منها رواء المظهر، فليس من المعقول أن يتحلّى سفراء النبيّ صلّى الله عليه وسلّم كافةً بهذا الرواء إلاّ العلاء ، فلا بدّ من أن تشمله شروط اختيار السفراء كافة كما شملت غيره من زملائه السفراء .

والعلاء وأبوه وإخوته وآل بيته حلفاء بني أُميّة ، وهم معروفون بالاهتمام بمظهرهم قبل الإسلام وبعده ، ومن المعقول أن يقتدي الحليف بحليفه ، وبخاصة وأنهم يعيشون بتماس شديد .

والصّعبة أخت العلاء ، كانت تحت أبي سفيان بن حرب ، وكان أبو سفيان سيد قريش وقائدهم حتى السنة الثامنة الهجرية ، حيث أسلم بعد فتح مكّة وتخلّى عن زعامته وقيادته لمن هو أحقّ بها منه من المسلمين الأولين ، فايس من المعقول أن يتزوج الصّعبة وهي ايست قرشيّة ويتخلّى عن بنات قومه قريش ، إلاّ إذا كان وراء زواجه بها جمالها غير الاعتيادي ، فأغراه بها جمالها الباهر ، واختارها حليلة له . فلما طلّقها خلف عليها عُبَيْد الله بن عثمان التّيميّ القرشيّ فولدت له طلحة بن عُبَيْد الله أحد العشرة المبشّرين بالجنة ، مما يدل على جمالها حتى بعد أن تخلّى عنها ريعان الشباب ، فما كسدت بعد طلاقها ، بل قبلها أشراف قريش .

وكان طلحة بن عُبَيْد الله رضي الله عنه، حسن الوجه، دقيق العِرْنين(١٣٥) ولا يستبعد أن يكون طلحة قد خوّل ، فورث الجمال عن أمّه وأخواله .

تلك هي مجرّد استنتاجات ، قد تصدق وقد لا تصدق ، ولكنها لا تغيّر حقيقة تفوق نجاح العلاء في سفارته النبوية ، إذ كان نجاحه في تلك السفارة باهراً فاق كل توقّع وحساب ، وهذا هو الواقع الذي لا يستطيع أن يمارى به أحدٌ من الناس .

العلاء في التاريخ

يذكر التّاريخ للعلاء ، أنّه كان سفير النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى البحرين ، فاستطاع فتح البحرين صلحاً بدون قتال ، ودخل أهل البحرين في دين الله أفواجاً .

ويذكر له أنّه أحد عمال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم على الصدقات وأحد أمرائه على البحرين .

ويذكر له ، أنه نال شرف الصُّحبة وشرف الجهاد تحت لواء النبيّ صلّى الله عليه وسلّم .

ويذكر له ، أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم التحق بالرفيق الاعلى والعلاء لا يزال على البحرين فأقرّه عليها أبو بكر الصِّديق ، وأقرّه عليها عمر بن الخطّاب بعد أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنهما .

ويذكر له ، أنّه كان أحد قادة أبي بكر الصديق رضي الله عنه في حروب رِدّة البحرين ، فكان له أثر عظيم في قتال أهل الرِدّة عند البحرين(١٣٦)

---

(١٣٥) طبقات ابن سعد (٢١٩/٣) ، والعرنين : ما صلب من عظم الأنف حيث يكون الشمم .

(١٣٦) تهذيب الأسماء واللغات (٣٤٢/١) .

ويذكر له ، أنّه كان أوّل قائد من قادة المسلمين ركب البحر ، ففتح جزءً من ساحل فارس الغربيّ ، ومهّد السبيل للمسلمين الفاتحين لفتح بلاد فارس وضمّها إلى الدولة الإسلاميّة .

ويذكر له ، أنّه أوّل قائد مسلم ، بعث قائداً مسلماً للفتح في البحر (١٣٧) ، فعرف المسلمون السفن وركوب البحر ، وكانوا لا يعرفون غير الإبل سفن الصحراء .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، السفير اللّامع ، الإداريّ الحازم ، القائد الفاتح ، المحدّث الفقيه ، العلاء بن الحَضْرَمِيّ .



(١٣٧) بعث عرفجة بن هرثمة البارقي لفتح بعض جزر الخليج العربي وبعض مناطق خوزستان، انظر التفاصيل كتابنا : قادة فتح العراق والجزيرة (٣٥٥ – ٣٦٣) .

القرآن الكريم

ونظرية الأدب بين الإغريق والعرب

الدكتور كامل حسن البصير

عضو المجمع والاستاذ المساعد

في كلية الاداب — الجامعة المستنصرية

المعروف في تاريخ الدراسات البلاغية والنقدية : أن من الباحثين العرب والمستشرقين فريقاً يجهد نفسه ويلتمس العلل لإثبات أنَّ ما ابتكره السلف الصالح من علمائنا في تلك الدراسات ، وما حرروه من مناهج في بحث فنون القول وألوان الأدب يرجع في جوهره إلى التأثير الأجنبي عامة ويصدر في جماهيره عما عند الإغريق خاصة ، ويقين أن هذه الدعوة فرية تنم عن مقاصد غير علمية وتهدف إلى مآرب لا تستقيم أمام منطق البحث ولا يسوغه عرف إنساني . وفي مذهبنا أن دحض هذه الفرية واقامة البرهان القاطع على ابطالها إنما يتأتى للباحث المنصف من آي الذكر الحكيم وتستجيب له دواعيه في ضوء القرآن المجيد ، ذلك لأن هذا الكتاب الكريم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا يشك أي من الغلاة في أنه أصيل في تمثيله للأمة العربية ، وانه عزيز على التحريف عن مواضعه عصراً واحداثاً . وفي هذا البحث نعقد العزم على أن نكشف عما للقرآن الكريم من علاقة بنظرية الأدب عند العرب وما كان له من تأثير مباشر أو غير مباشر في إرساء هذا الجانب أو ذاك من جوانب علوم البلاغة التي تدخل في هذه النظرية وتبنيها متميزة خاصة بالأمة العربية ثم تتكاتف معها في الاجابة عن اسئلة تستفسر عن ماهية الأدب وتلتمس مصدره وطبيعته وتشخص فنونه

وأهدافه وتبين تأثيره في النفس وما يتحمله منشؤه من اعباء اجتماعية وخلقية وما إلى ذلك من الاستفسارات التي واكب بعضه نشأة النظرية الأدبية قديماً ورافق بعضها الآخر تطورها حتى ايامنا هذه .

ولعلنا لا يصمنا بالمغالاة في منحانا هذا الذين يقصون القرآن الكريم عن المباحث العلمية والفنية لهذه التعلة أو تلك ، ذلك لأننا في منحانا هذا لا نأتي ببدعة ولا ننزع منزعاً مختلقاً وانما نتأمل آي الذكر الحكيم فيفتح لنا تأملنا هذا أبواباً من المعرفة انفتحت من قبل لسوانا من الباحثين وقادتهم إلى وضع اليد على الصلة الوثقى بين القرآن الكريم وبين العرب متذوقين لآيه الكريمات ودارسين لفنون أدبهم ومنشئين لجواهره البليغة : —

فقد تحدث العلامة ابن خلدون عن فهم العرب للقرآن الكريم أيام نزواه عليهم فقال : « وأما التفسير فاعلم أن القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم ، فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه » (١) .

ومعنى هذا أن ما أثاره القرآن الكريم في نطاق بحثنا هذا من مسائل أدبية وبلاغية ونقدية لم يكن غريباً على الفكر العربي في حينه بل كان يغذي هذا الفكر ويقوده ليخوض فيما جدّ من هذه المسائل خلال العصور التالية ، فتواصل بذلك ما كان لهذا الفكر من نظرات في هذا الباب ابان عصر ما قبل ظهور الإسلام .

وعليه فإن هذه النظرات إذا كانت قد ضاعت ولم تسلم من عاديات الزمان فإن في القرآن الكريم ما يدل عليها ويرشد اليها .

ويتجلى هذا التواصل في المنهج الذي حرره ابن المعتز في كتابه (البديع)، فغاية هذا المؤلف من كتابه ذاك تأكيد :

---

(١) مقدمة ابن خلدون ٤٣٨

ان الشعراء المولدين لم يخترعوا فنون البديع في اشعارهم اختراعاً ، ولم يبتدعوها ابتداعاً ، فهو يقول : « قد قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن واللغة وأحاديث رسول الله (ص) وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون البديع ليعلم أن بشاراً ومسلماً وأبا نواس ومن تقيلهم وسلك سبيلهم لم يستبقوا إلى هذا الفن، ولكنه كثر في اشعارهم فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم فاعرب عنه ودل عليه »(٢)

ولعل أهم فكرة يثيرها ابن المعتز بارجاع فنون البديع في شعر المحدثين إلى القرآن الكريم من بين ما أرجعها اليه من الآثار القديمة – هي تنبيه الأذهان إلى القرآن الكريم نصاً أدبياً تزخر آيه بفنون البلاغة . وهو في تنبيهه هذا يستوي في رأينا – أول من هيأ عقول الباحثين إلى التصنيف في بلاغة القرآن بمعناها الفني المحدد .

وقد كان الشعراء المبدعون انفسهم يدينون أيضاً بما للقرآن الكريم من أثر بالغ في ابداعهم ويقرون بتقليدهم لآياته البينات : –

وقد روي قديماً (٣) أن أحداً من الظرفاء المتحمسين لعمود الشعر العربي التقليدي قد جاء أبا تمام من بين اولئك المبدعين يوم نظم :

لا تسقني مـاء المـلام فانني　　　صب قد استعذبت ماء بكائي

فقدم له قصعة ، وقال . . اعطني قليلاً من ماء الملام .

فقال له أبو تمام لا أعطيكه حتى تأتيني بريشة من جناح الذل ، فأفحمه ، باحالته على قوله تعالى « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة » (٤) فأبو تمام

---

(٢) البديـع ص ١ .

(٣) الفوائد المشوقة الى علوم القرآن وعلم البيان / ابن قيم الجوزية ص ٥١ ، الطبعة الاولى ١٣٢٧ هـ مطبعة السعادة / مصر .

(٤) سورة الاسراء الآية ٢٤ .

في هذا الرد يريد أن يقرر : أنه لما كانت تلك الآية الكريمة قد جسدت الذل وبعثت فيه الحياة وصورته في هيئة طائر ، فإن له الحق في أن يجعل للملام ماءً ويخرج عما تقرره البلاغة التقليدية من قواعد جامدة تأخذ السبيل على من يبدع في فن القول على هدى من أسلوب القرآن الكريم ونهج آيه البينات .

ومن هنا فإن هذه الحقائق العقلية والنقلية وسواها توطىء لبحثنا هذا الطريق لا حباً ، فإذا نحن نجيز لأنفسنا فيه الوقوف بين يدي القرآن الكريم مستقرئين ما ورد في آيه من ألفاظ ومصطلحات تسهم مدلولاتها في بناء نظرية الأدب موازنين ما اسعفتنا النصوص الاغريقية بين هذه الأمة العريقة وبين العرب فـــي ملامح تلك النظرية .

واذن فما هي هذه المصطلحات وتلك الألفاظ ؟ وما هي المفاهيم التـــي رسختها في هذا المجال قواعد أصيلة في بناء هذه النظرية عند العرب ؟ ومـــا عسى أن تكون هذه المفاهيم لدى الاغريق ؟

الملاحظ : ان لفظة الأدب لم ترد في آي الذكر الحكيم كلمة حقيقية أو مصطلحاً مجازياً وأن ما ورد بديلاً عن مدلولها لفظة القول .

وهذه اللفظة جاءت بمعانيها الحقيقية المعجمية المعروفة وأتت بمدلـــولات مجازية واصطلاحية كما في قوله تعالى : « واذا رأى الذين أشركوا شركاءهـــم قالوا ربنا هؤلاءِ شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك فألقوا اليهم القول إنكم لكاذبون » (٥) .

فالقول هنا معناه السلم إذ أن ألقوا يعني الذين ظلموا ، والقاء السلم : الاستسلام لأمر الله وحكمه بعد الاباء والاستكبار في الدنيا (٦) .

ومن هذا المدلول المجازي وما شابهه إنتقلت لفظة القول إلى ميدان الدراسات

(٥) سورة النحل الآية ٨٦ .

(٦) واجع تفسير الكشاف للزمخشري ج٢/٦٢٧ .

الأدبية وفاضت بمدلولات اصطلاحية تتعلق بأجناس الأدب وأنواعه : —

من هذه المدلولات ورود لفظة القول بمعنى القرآن الكريم مثل آية : « أفلم يدّبّروا القول أم جاءهم مالم يأت آباءهم الأولين » (٧) .

فالقول هنا القرآن اذ المعنى : افلم يتدبروه ليعلموا أنه الحق المبين فيصدقوا به وبمن جاء به ، بل جاءهم ما لم يأت آباءهم(فلذلك انكروه واستبدعوه(٨).

ويبدو أن ما امتاز به القرآن الكريم من خصائص مضمونية وشكلية ميزته عن فنون القول المعروفة عند العرب في أيامه — قد أثار سؤالاً يستفهم عن طبيعة القرآن الكريم وماهية لونه التعبيري : أهو شعر أم نثر أم ليس بشعر ولا بنثر ؟

وحكى القرآن الكريم من هذا قائلاً : « وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين » (٩) .

فهذه الآية الكريمة تومىء في ضوء سبب نزولها إلى أن معارضي القرآن الكريم من المشركين قد زعموا أن الرسول الكريم محمد (ص) شاعر فيما يتلوه عليهم من كلام الله تعالى .

نقلت كتب التفاسير أن الذي زعم ذلك هو : عقبة ابن ابي معيط فافحمه الله تعالى قائلاً : « وما علمناه الشعر » أي : وما علمناه بتعليم القرآن الشعر ، على معنى : أن القرآن ليس بشعر وما هو من الشعر في شيء . وأين هو عن الشعر ، والشعر انما هو كلام موزون مقفى يدل على معنى ، فأين الوزن؟ وأين التقفية ؟ وأين المعاني التي ينتحيها الشعراء عن معانيه ؟ واين نظم كلامهم من نظمه وأساليبه ؟ فإذن لا مناسبة بينه وبين الشعر إذا حققت ، اللهم إلا أن هذا لفظه عربي ، كما أن ذاك كذلك . . ولما نفى الله تعالى أن يكون القرآن

---

(٧) سورة المؤمنون الآية ٦٨ .

(٨) راجع تفسير الكشاف ج ١٩٤/٢ .

(٩) سورة يس الآية ٦٩ .

من جنس الشعر قال (ان هو إلا ذكر وقرآن مبين) يعني : ما هو إلا ذكر من الله تعالى يُوعظ به الانس والجن (١٠) كما نفى الله تعالى أن يكون القرآن الكريم من سجع الكهان الذي هو نثر اذ قال عزّ وجل « إنه لقول رسول كريم * وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون * ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون»(١١).

فهذا القرآن (لقول رسول كريم) أي بقوله ويتكلم به على وجه الرسالة من عند الله (وما هو بقول شاعر) ولا كاهن (١٢) .

وفي رأينا أن هذه الآيات الكريمات التي تجادل المشركين وتفقه المؤمنين أيام الوحي الأولى في مسألة ما هي جنس القرآن الكريم بين أجناس الأدب — تؤكد من غير مراء أن أندية قريش ومجالس يثرب قد ترسخت في ندواتها منذ الف واربعمائة عام مفاهيم الشعر والنثر والسجع والنظم فأخذت بذلك نظرية الأدب عند العرب — بفضل القرآن الكريم — ملامحها الاصيلة الدقيقة ، ذلك لأنه ليس من الفرض إذا قلنا : ان العرب الذين اتهموا القرآن الكريم بانه قول شاعر وسجع كاهن كانت لهم حججهم الأدبية وبراهينهم المنطقية ، وأن القرآن الكريم حين دحض هذه البراهين وتلك الحجج بتلك الآيات البينات زود المؤمنين بحجج مضادة وبراهين مناقضة ، فالتحموا مع المشركين في حوار أشبه ما يكون بالدراسات النقدية والبلاغية أو أنه مهّد لهذه الدراسات منبتها العربي الأصيل الذي أثمر رأي العرب القدامى في أن القول باللغة العربية ثلاثة أضرب : أولها الشعر وثانيها النثر ومنه سجع الكهان وثالثها القرآن الكريم .

ويتجسد هذا الرأي لدى ابن خلدون الذي فصله قائلاً : « اعلم ان اسان

---

(١٠) راجع تفسير الكشاف ج٤/٢٦ و ٢٧ .

(١١) سورة الحاقة م ٤ الآية ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ .

(١٢) تفسير الكشاف م٤/٦٠٦ .

العرب وكلا مهم على فنين في الشعر المنظوم وهو الكلام الموزون المقفى ومعناه الذي تكون أوزانه كلها على روي واحد وهو القافية وفي النثروهو الكلام غير الموزون وكل واحد من الفنين يشتمل على فنون ومذاهب في الكلام فأما الشعر فمنه المدح والهجاء والرثاء وأما النثر فمنه السجع الذي يؤتى به قطعاً ويلتزم في كل كلمتين منه قافية واحدة يسمى سجعاً ومنه المرسل وهو الذي يطلق فيه الكلام إطلاقاً ولا يقطع اجزاء بل يرسل إرسالاً من غير تقييد بقافية ولا غيرها ويستعمل في الخطب والدعاء وترغيب الجمهور وترهيبهم .

وأما القرآن وان كان من المنثور إلا أنه خارج عن الوصفين وليس يسمى مرسلاً مطلقاً ولا مسجعاً بل تفصيل آيات ينتهى إلى مقاطع يشهد الذوق بانتهاء الكلام عندها ثم يعاد الكلام في الآية الأخرى بعدها ويثنى من غير التزام حرف يكون سجعاً ولا قافية) (١٣) .

ويقين ان هذا التفصيل قد انبسط قبل زمان ابن خلدون وبعده في كتب الاعجاز ، والبلاغة العامة وكتب بلاغة القرآن ووجد له مناهج في التحليل والتدليل والموازنة وانعقد على شواهد من أجناس فن القول العربي منذ عصر ما قبل ظهور الإسلام ، كل ذلك بفضل تلك الآيات البينات من القرآن الكريم .

ويبدو أن هذه المسألة النقدية ظلت محتفظة بأبعادها الأدبية والفكرية والمنهجية حتى أيامنا هذه ، فقد حكى الدكتور زكي مبارك تفصيلاتها بقوله « قلنا إنه كان للعرب نثر فني في الجاهلية ، ثم عدنا فأثبتنا أن شواهد ذلك النثر ليست صحيحة لأنها في جملتها من صنع الرواة ، فكيف يستقيم مع ذلك ما نراه من أنه كان للعرب نثر فني قبل الإسلام ؟ فليعلم القارىء إن لدينا شاهداً من شواهد

(١٣) مقدمة ابن خلدون ص ٥٦٧ .

النثر الجاهلي يصح الاعتماد عليه وهو القرآن .

ولا ينبغي الاندهاش من عدّ القرآن أثراً جاهلياً ، فانه من صور العصر الجاهلي اذ جاء بلغته وتصوراته وتقاليده وتعابيره ، وهو – بالرغم مما أجمع عليه المسلمون من تفرده بصفات أدبية لم تكن معروفة في ظنهم عند العرب – يعطينا صورة للنثر الجاهلي ، وان لم يكن الحكم بأن هذه الصورة كانت مماثلة تمام المماثلة للصور النثرية عند غير النبي من الكتاب والخطباء .

وقد قدمت هذا الشاهد للمسيو مرسيه الذي يرى أن النثر الفني يبتدىء بابن المقفع ، فأخذ يبحث عن مخرج ولكنه لم يهتد إلى الآن . أما الدكتور طه حسين فقد اهتدى الى مخرج لطيف ، وذلك إعلانه أخيراً في دروسه بالجامعة المصرية أن القرآن لا هو شعر ، ولا هو نثر ، هو قرآن » (١٤) .

ان ما يحكيه الدكتور زكي مبارك هنا يثير ثلاث معضلات نقدية : –
اولاها : تتعلق بجوهر القرآن الكريم فقد بينا الرأي في أن القرآن الكريم نفسه أبى أن يكون شعراً ورفض أن يستوي نثراً ، وأكد أنه (ذكر وقرآنٌ مبين). وعليه فإن الدكتور زكي مبارك ليس رأيه من الصواب في شيء حين يرى أن القرآن الكريم صورة للنثر الجاهلي ، ذلك لأن القرآن الكريم نسيج قائم بذاته في موضوعاته وصياغته وترتيبه وما إلى ذلك من خصائصه التي سلم بها الدكتور زكي مبارك نفسه وأنه لما اقتضت مشيئة الله أن تكون لغته لساناً عربياً ليبين للناس فإن اللسان العربي في ذلك كان مادته الخام التي صاغها تلك الصياغة المعجزة.

وثانيتها تلتوي على ما استنبطه السلف الصالح من علمائنا في تحليل أضرب فن القول باللغة العربية أيام نزول الوحي وقبل هذه الأيام بردح من الزمن ، فقد أشرنا إلى أن القرآن الكريم ميّز نفسه عن الشعر وعن سجع الكهان من النثر وأن

---

(١٤) النثر الفني في القرن الرابع ، د. زكي مبارك جـ١ ص ٣٧ مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٥٢ هـ – ١٩٣٤م .

ابن خلدون قد اعتمد على هذا التميز فحرر مذهبه في أن هذا الكتاب العزيز وان كان من المنثور إلا أنه خارج عن الوصفين وليس يسمى مرسلاً مطلقاً ولا مسجعاً .

ومن هنا فإن الدكتور زكي مبارك قد توهم كل التوهم حين رأى أن الدكتور طه حسين قد اهتدى الى مخرج لطيف في جعله القرآن خارجاً عن الشعر وعن النثر وذلك لان الدكتور طه حسين يتقيل في مذهبه هذا آي الذكر الحكيم ويقتفي خطا ابن خلدون .

وثالثتها : تتعلق بذاتية العرب الأدبية الخاصة فالمستشرق المسيو مرسيه عندما يرى أن النثر الفني العربي قد بدأ بابن المقفع مهد السبيل للدكتور طه حسين في ان يستغل آي الذكر الحكيم ومذهب ابن خلدون في استقبال القرآن الكريم فناً خاصاً ليس من النثر العربي الفني على الاطلاق ليقرر بعد ذلك أن النثر العربي الفني قد بدأ بعبدالحميد الكاتب وهكذا فقد أسهم مع ذلك المستشرق وغيره فيما يذهبون اليه من أن العرب لم تكن لهم ذاتية أدبية ، وانما أخذوا طرائق النثر الفني عن الاغريق . فالمعلوم ان الدكتور طه حسين ذهب إلى أن فن الرسالة من فنون النثر العربي قد ولد على يدي عبدالحميد الكاتب الذي تتلمذ لسالم الاغريقي مولى عبدالملك (١٥) وان هذا الفن قد انتهى بابن العميد .

وهكذا فإن ما وصل إلينا من هذا الفن باللغة العربية ولد – على زعم الدكتور طه حسين – يونانياً ومات اجنبياً .

والحقيقة في رأينا أن فنون النثر كافة من خطابة وسجع الكهان وحكايات وقصص ورسائل وكتب ترعرعت في البيئات العربية المتنوعة قبل ظهور الإسلام وان القرآن الكريم قد أشار في آياته البينات اليها ثم تطورت في ظل الاسلام .

وإذا أردنا أن نفصل القول قليلاً في بيان رأينا هذا نقف هنا مع فن الكتابة

---

(١٥) راجع كتاب من حديث الشعر والنثر : الدكتور طه حسين ص ٤٤ .

العربية التي زعم فيها الدكتور طه حسين زعمه ذاك ، فنشير إلى أن الاستاذ احمد زكي صفوت صاحب جمهرة رسائل العرب قد جمع اثنتي عشرة رسالة من عصر ما قبل ظهور الإسلام : ست منها صادرة من والى الحيرة التي هي حاضرة العرب في العراق ومركز المدنية العربية على تخوم الفرس :

اولاها : كتاب المنذر الاكبر إلى أنو شروان .

وثانيتها : كتاب عمرو بن هند إلى عامله بالبحرين .

وثالثتها : كتاب النعمان بن المنذر إلى كسرى .

ورابعتها : كتاب النعمان بن المنذر مع وفود العرب الذين أرسلهم إلى كسرى

وخامستها : كتاب عدي بن زيد العبادي إلى أخيه أُبَي .

وسادستها : كتاب جواب ابي عليه .

وثلاث رسائل صادرة من مكة :

اولاها : رسالة عبدالمطلب بن هاشم إلى أخواله بيثرب .

وثانيتها : رسالة عبدالمطلب إلى أخواله .

وثالثتها : كتاب التحالف بين عبدالمطلب بن هاشم وبين خزاعة .

وأما الرسائل الثلاث البواقي فهي متفرقات :

احداها : لعبدالعزى بن امرىء القيس الكلبي إلى قومه .

وثانيتها : رسالة اكثم بن صيفي الى طيء .

وثالثتها : كتاب اكثم ايضاً إلى النعمان بن خميصة البارقي (١٦) .

وقد لا يكون صاحب الجمهرة مستوفياً رسائل هذه الفترة كلها فهناك رسائل في هذا الباب أغفلها لأمر أو لآخر الا أن ما جمعه يكفي دلالة على ما ذهبنا اليه دلالة قوية تؤازره وتسانده حقيقة نتبناها في بحثنا هذا ، وهي أن

---

(١٦) جمهرة رسائل العرب ج ١/٢ ــ ٢١ .

هذا الفن نبت في بيئة مكة وتطور تحت ظلال الاسلام بتأثير القرآن الكريم في بيئة يثرب على يدي النبي (ص) وأبي بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم وعمالهم وقوادهم وأمراء جندهم حتى استوى فناً كاملاً في بيئة الكوفة وما اتصل بها من بيئات اخرى على يدي الإمام علي (رض) والذين كاتبوه في شؤون الدولة الإسلامية ومشكلاتها العامة والخاصة .

وأياً كان فإن لفظة القول كلمة حقيقية ومصطلحاً مجازياً في القرآن الكريم كشف لنا عن ملامح من نظرية الأدب عند العرب قبل ظهور الإسلام ، وتبين الوان هذا الأدب وتمتد عنصراً مشتركا بين هذه الالوان فإذا الشعر قول ، وسجع الكهان قول ، والقرآن الكريم قول ايضاً .

تأتي لفظة الحديث في آي الذكر الحكيم إلى جانب لفظة القول فإذا هي تدور على مدلولات يؤكد بعضها مدلولات لفظة القول ويرسخ بعضها الآخر مفاهيم جديدة .

فقد وردت لفظة الحديث مثل لفظة القول بمدلول القرآن الكريم في آية :
« أوَ لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق اللهُ من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديثٍ بعده يؤمنون » (١٧) فقوله تعالى (عسى أن يكون قد اقترب أجلهم) معناه كأنه قيل : لعل أجلهم قد اقترب ، فمالهم لا يبادرون إلى الايمان بالقرآن قبل الفوت ، وماذا ينتظرون بعد وضوح الحقّ . وبأي حديث أحق منه يريدون أن يؤمنوا .

وفي آية أخرى تأتي لفظة الحديث بمعنى القرآن الكريم ايضاً مقرونة بصفاته الموضوعية ومشفوعة بما تفصل تأثيره وهي قوله تعالى :
« الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون

(١٧) سورة الاعراف الآية ١٨٥ .

ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هُدى الله يهدي به من يشاء ومنْ يضلل الله فما له من هــادٍ » (١٨) فالفعــل نزل فيه تفخيم لأحسن الحديث ورفع منه ، واستشهاد على حسنه وتأكيد لاستناده إلى الله وأنه من عنده وأن مثله لا يجوز أن يصدر إلاعنه وتنبيهعلىأنه وحي معجز مباين لسائر الأحاديث ومتشابه مطلق في مشابهة بعضه بعضاً فكان متناولاً لتشابه معانيه في الصحة والإحكام والبناء على الحق والصدق ومنفعة الخلق ، وتناسب الفاظه وتناصفها في التخير والإصابة وتجاوب نظمه وتأليفه في الاعجاز والتبكيت ويجوز أن يكون (مثاني) بياناً لكونه متشابهاً : لأن القصص المكررة لا تكون إلا متشابهة والمثاني جمع مثنى بمعنى مردّد ومكرّر . ولما ثنى من قصصه وأنبائه ، وأحكامه ، وأوامره ونواهيــه ووعده ووعيــده ; ومــواعظه . ويقال : اقشعر جــلده من الخوف وقف شعره وهو مثل في شدة الخوف ، فيجوز أن يريد به سبحانه التمثيل تصويره لافراط خشيتهم وأن يريد التحقيق .

والمعنى : أنهم إذا سمعوا بالقرآن وبآيات وعيده أصابتهم خشية تقشعر منها جلودهم . ثم إذا ذكروا الله ورحمته وجوده بالمغفرة : لانت جلودهم وقلوبهم وزال عنها ما كان بها من الخشية والقشعريرة . (ذلك) اشارة الى الكتاب وهو (هدى الله يهدى به) يوفق به من يشاء يعني : عباده المتقين ، حتى يخشوا تلك الخشية ويرجوا ذلك الرجاء (١٩) .

فلفظة الحديث في هذه الآية الكريمة تسهم مع لفظة القول في بيان أن القرآن الكريم فن مخصوص في صفاته كلها ، مما نستطيع أن نؤكد هنا ايضاً أن القرآن غير الشعر وغير النثر كما أن لفظة الحديث تفصل نظرية الأدب عند العرب بعض التفصيل فتبين لما لفن الحديث والقول من أثر في بناء الشخصية وتوجيه

(١٨) سورة الزمر الآية ٢٣ .

(١٩) راجع تفسير الكشاف ج٤/١٢٣ .

النفوس وهداية العقول وما إلى ذلك من المهام الخلقية والاجتماعية والانسانية التي يرى نقادنا المعاصرون الملتزمون ان الأدب قادر على تحقيقه ومعنى هذا من الوجهة التاريخية ان القرآن الكريم قد سبق هؤلاء النقاد بقرون فيما يذهبون إليه ، وان العرب في عصر الرسالة قد وقفوا على هذه المسألة الجوهرية من مسائل نظرية الأدب .

ترد لفظة الحديث في القرآن الكريم مرادفة للفظة الحكاية والقصة وذلك في قوله تعالى : (هل أتاك حديثُ ضيف ابراهيم المكرمين) (٢٠) فحديث ابراهيم هنا حكايته وقصته ، ومما نلاحظه في التراث العربي وفي الاستعمالات المعاصرة : ان لفظة الحديث تستقر في معانيها على مدلول الحكاية والقصة وأن مادة حديث يستهل بها مؤلفو السير والحكايات والاحاديث والمقامات وما يروونه ويحكونه ، مما يدل ذلك على أن لفظة الحديث قد استقرت في معجم نظرية الأدب العربي مصطلحاً من مصطلحات فن التعبير .

وفي الجهة المقابلة لفن التعبير تتكرر لفظة الحديث في القرآن الكريم بمدلول الخوض في المسائل التي جاء بها القرآن الكريم والمجادلة حولها والطعن فيها كما في قوله تعالى : « وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم اذاً مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً » (٢١) ..

فالمنزل عليهم في الكتاب هو ما نزل عليهم بمكة من قوله : (واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره) وذلك أن المشركين كانوا يخوضون في ذكر القرآن في مجالسهم . . . فنهي المسلمون عن القعود معهم ما داموا خائضين فيه وكان احبار اليهود بالمدينة يفعلون نحو

(٢٠) سورة الذاريات الآية ٢٤ .

(٢١) سورة النساء الآية ١٤٠ .

ذلك وكذلك المنافقون فنهي المسلمون أن يقعدوا معهم .

وفي ضوء هذه الآية الكريمة ربما يصح لنا القول بأن لفظة الحديث تدنو في مداولها هنا من مصطلح البحث والأخذ والرد .

ومما يسوغ لنا هذا أن لفظة الحديث في القرآن الكريم قد وردت في معرض تحدي المشركين أن يأتوا بمثل القرآن وذلك في قوله تعالى : (أم يقولون تقوّله بل لا يؤمنون * فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين) (٢٢) .

فلفظة الحديث في هذه الآية الكريمة هي من مدلول القرآن الكريم فقد وردت فيما تخرص به المشركون حول هذا الكتاب العزيز ، فتحداهم الله تعالى أن يأتوا بحديث مثله .

واذن فالسياق الذي تقلبت عليه لفظة الحديث فيما مضى وفي هذه الآية هو لون من الوان المنازلة الكلامية والمحاجة العقلية والاحتكام إلى الشاهد والمثال .

ويبدو أن ما تقلبت عليه لفظة الحديث في هذا المنحى قد رسخ لها في نظرية الأدب ودراسته مدلول البحث العلمي أو ما هو قريب منه ، وآية ذلك أن باحثاً مثل الدكتور طه حسين قد سمى دراسته لألوان من النثر والشعر باسم الحديث وذلك في كتابيه من حديث الشعر والنثر وحديث الاربعاء .

تتكاتف مشتقات مادة كلمة (ك — ل — م) مع لفظة القول والحديث فترسخ معانيهما الحقيقية ومدلولاتهما الاصطلاحية المجازية ، وتأتي لفظة الكلام من هذه المادة في طليعة هاتيك المشتقات عموماً في أبنائه الذي هو اسم مصدر .

والملاحظ أن لفظة الكلام ترد في اي الذكر الحكيم منسوبة إلى الله تعالى كقوله تعالى : « أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون » (٢٣) .

---

(٢٢) سورة الطور الآية ٣٣ و ٣٤ .

(٢٣) سورة البقرة الآية ٧٥ .

كلام الله هنا هو ما يتلوه اليهود من التوراة .

وفي آيات أخر تأتي لفظة الكلام بمعنى القرآن الكريم ، مما نستطيع ان نقرر : أن الكلام في القرآن الكريم يدل على النصوص الدينية عامة والقرآن الكريم خاصة .

ويعني هذا أن الكلام في بعض استعمالاته القرآنية يثبت ما يدل عليه القول من آي الذكر الحكيم .

وقد كان هذا شأن لفظة الكلم في طائفة من استعمالاتها القرآنية كقوله تعالى « من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا لياً بألسنتهم وطعناً في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا واطعنا واسمعْ وانظرنا لكان خيراً لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً » (٢٤) فقوله تعالى (يحرفون الكلم عن مواضعه) معناه يميلونه عنها ويزيلونه ؛ لأنهم إذا بدلوه ووضعوا مكانه كلماً غيره فقد أمالوه عن مواضعه التي وضعها الله فيها ، وأزالوه عنها . وذلك نحو تحريفهم « أسمر ربعة » عن موضعه في التوراة بوضعهم « آدم طوال » مكانه (٢٥) .

ووردت لفظة (كلم) بمدلول أنسي عام ، كما في قوله تعالى : « من كان يريد العزة فللّه العزةُ جميعاً إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذابٌ شديد ومكرُ أولئكَ هو يبور » (٢٦) .

فالكلمُ الطيب الذي يرتقي الى الله تعالى من عباده لايمكن إلا أن يكون لوناً من القول الهادف الذي يستحق بمضمونه الخير صفة الطيب .

ولما كان المضمون الخير للكلم الطيب لاينفي أن يكون شكله فنياً رصيناً

---

(٢٤) سورة النساء الآية ٤٦ .

(٢٥) راجع تفسير الزمخشري جـ١/٥١٦ .

(٢٦) سورة فاطر الآية ١٠ .

في نظمه فصيحاً في ألفاظه وتراكيبه ، فليس من المنكر علينا أن ندخل فيه الأدب الملتزم ، ذلك لأن الكلم الطيب في هذه الآية الكريمة متسع في إطلاقه شامل في عمومه .

ومما يؤيد مذهبنا هذا ويوآزره أننا نلتقي بالشعر في أي الذكر الحكيم كما سنرى مملوحاً في ضوء مقاييس مضمونية وواقعية هادفة وملتزمة .

واذن فان لفظة الكلم بصفة الطيب توجه نظرية الأدب عند العرب في القرآن الكريم نحو أهـداف خلقية واجتماعية هادفة ويجعلها منذ ذلك التاريخ المبكر مدرسة لتنشئة الأدباء على خدمة جماهيرهم وتوظيف الكلم في سبيل مامن شأنه أن يحقق الاهداف الخيرة ويوطد المثل الرفيعة ويتأى عما عدا ذلك من التهاون في خدمة الخلق الرفيع وخلق المجتمع الفاضل ، كما أنها هيأتها لأن تغرس في نفوس الأدباء الشعور العميق بأنهم مسؤولون تجاه كلمهم أمام الله وأولي الأمر الذين ينفذون ارادة الخير والصلاح ممن لهم سلطان من أي نوع على ابناء مجتمعهم سواء أكان سلطاناً سياسياً عاماً او فكرياً تنظيمياً يختص بحرفة الأدب من النقاد وسواهم .

ومن مادة (ك، ل ، م) تأتي في القرآن الكريم لفظة كلمة مجموعة ومفردة :

أما إتيانها مجموعة فانها تدور في إطـار المعاني الدينية المحضة كقوله تعالى: « فتلقى ادمُ من ربه كلماتٍ فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم »(٢٧).

فمعنى تلقى آدم كلمات من ربه هو اسـتقباله بالأخذ والقبول والعمل بها حين علمها .

وكقوله تعالى: « وإذ ابتلى ابراهيمَ ربُّه بكلماتٍ فأتمّهن قال إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينالُ عهدي الظالمين » (٢٨) .

---

(٢٧) سورة البقرة الاية ٣٧ .

(٢٨) سورة البقرة الاية ١٢٤ .

فالكلمات ها هنا ايضاً هي الأوامر والنواهي التي اختبره الله تعالى بها (٢٩) .

وأما إتيانها مفردة فقد وردت بمدلولين :

اولهما : ديني صرف منسوب إلى لفظ الجلالة كقوله تعالى :

« وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنعُ فرعون وقومه وما كانوا يعرشون » (٣٠) .

وثانيهما: عام يصح أن يتعلق بالبشر ويصدر لفظه عن الناس كقوله تعالى: « ألم تر كيف ضرب اللهُ مثلاً كلمةً طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعُها في السماء * تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب اللهُ الأمثال للناس لعلهم يتذكرون * ومثلُ كلمةٍ خبيثةٍ كشجرةٍ خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار» (٣١) .

لقد حاول الزمخشري أن يحدد مدلول الكلمة الطيبة وما مثل به من الشجر في شيء من التردد وفي اطلاق العنان للاحتمالات فقال : « الكلمة الطيبة : كلمة التوحيد وقيل : كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة .

وعن ابن عباس : شهادة أن لا إله إلا الله . وأما الشجرة فكل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين والعنب والرمان وغير ذلك . . . وعن ابن عباس رضى الله عنهما : شجرة في الجنة ... والكلمة الخبيثة كلمة الشرك . وقيل : كل كلمة قبيحة . وأما الشجرة الخبيثة فكل شجرة لا يطيب ثمرها كشجرة الحنظل والكشوت(٣٢) ونحو ذلك . وقوله (اجتثت من فوق الأرض)

(٢٩) تفسير الكشاف ج١/١٨٣ .
(٣٠) سورة الاعراف الآية ١٣٧ .
(٣١) سورة ابراهيم الآية ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ .
(٣٢) قوله والكشوت في الصحاح : الكشوت نبات يتعلق بأغصان الشجر من غير أن يضرب بعرق في الارض .

في مقابلة قوله (أصلها ثابت) ومعنى (اجتثت) استؤصلت . . . (مالها من قرار) أي استقرار . . . شبه بها القول الذي لم يعضد بحجة . فهو داحض غير ثابت » (٣٣) .

وفي رأينا أن الزمخشري في منحاه هـــذا بين يدي تلك الآيات الكريمات يلوذ بالنقل ويجمع الروايات ولا يلتمس فحوى الكلمات القرآنية فيما تتبادر به من مدلولات واضحة ، ومن هنا ففي يقيننا أن الكلمة الطيبة بصفتها هذه وبصورتها مشبهة بتلك الشجرة الطيبة لايمكن أنتقتصرعلى ما أورده الزمخشري، وانما تفلك عقال المفسرين وقيودهم وتستوي مستودعاً لكل ما هو خير ومفيد وهادف من فن القول سواء أكانت كلمة التوحيد أو تسبيحة شكر أو إذعان للحق أو مواساة محتاج أو دفاع عن قضية أو هداية ضال أو نقد ظالم وما إلى ذلك من مضامين الكلمة الطيبة التي تترى فوائدها مدى الدهر مثل تلك الشجرة التي تضرب بجذورها في الارض وتسمق بفروعها في السماء حاملة قطوفها الدانية في كل حين وزمان .

كما أن هذه الكلمة الطيبة في صورة المشبه به تلك تتمثل ذكرى وتذكر لأولي الألباب وعليه فهي خالدة لما عليه من مصدرها وهدفها واساوبها .

وإذن ففي إعتقادنا أن الكلمة الطيبة فن من فنون الأدب أو هي الأدب ، وهي بصفتها تلك تدل على خلودها وعمق تأثيرها وعليه فإن وصف الكلمـــة الطيبة في القرآن الكريم على هذا النحورسخ فيبنية نظرية الأدب عند العرب مبدأ الخلود وأتاح للنقاد والبلاغيين فيما بعـــد أن يحرروا الفصول ويدبجوا المباحث في بلاغـــة هذا التعبير البياني وذاك وفي تجســـيم تأثيره في النفس وخلوده على الازمان وفي تصورنا أن عبدالقاهر الجرجاني مثلاً قد تأثر بهذه الآيات الكريمات يوم تكلم على مواقع التمثيل وتأثيره قائلاً : « واعلم أن مما

(٣٣) تفسير الكشاف ج٢/٥٥٣ .

اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في اعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه ونقلت عن صورها الأصيلة إلى صورته ، كساها أبهة وكسبها منقبة ، ورفع من أقدارها ، وشبّ من نارها ، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها ودعا القلوب اليها ، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفاً وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفاً .

فإن كان مدحاً كان أبهى وافخم ، وأنبل في النفوس وأعظم ، وأهز للعطف وأسرع للألف ، وأجلب للفرح ، واغلب على الممتدح وأوجب شفاعة للمادح ، وأقضى له بغر المواهب والمنائح ، وأسير على الألسن وأذكر ، وأولى بأن تعلقه القلوب واجدر (٣٤) ولعلنا نلمس في مذهب الجرجاني هذا نتفاً من صفة الكلمة الطيبة التي بينها القرآن الكريم وأشار إلى خصائصها في الافادة والبقاء .

وبهذا المقياس نستطيع أن نرى ان الكلمة الخبيثة تتسع ايضاً لهذا اللون أو ذاك من ألوان الأدب غير الهادف الذي يضر ولا ينفع كالشجرة الخبيثة التي لا ترتبط بالأرض مصدر حياتها وقوام وجودها ولا تؤتي ثمراً ولا تترك أثراً .

ومن هنا فإن صفة الكلمة الخبيثة في هذه الصورة القرآنية تحرر معايير الحكم على الأدب الذي لاطائل تحته غير مداجاة الظالم وطمس الحق واغفال الضال والتحلل من أن تكون له قضية .

واذن فإن تلك الآيات الكريمات تسهم عندنا في بناء مسألة الالتزام وغير الالتزام في بنية نظرية الأدب عند العرب وتدلل على أن هذه النظرية قد سبقت مدارس النقد الأوربي كما سنرى في الدعوة إلى الالتزام في فن القول .

ومهما يكن فمما لامراء فيه أن : لفظة الكلمة قد صارت مصطلحاً يدل على القصيدة في كتب التاريخ القديمة .

---

(٣٤) اسرار البلاغة / عبدالقاهر الجرجاني ش ٩٢ ط الرابعة في سنة ١٣٦٧ هـ — ١٩٤٧ م .

من ذلك ما نقل ابن هشام من (كلمة لكعب بن مالك في يوم بدر وكلمة لطالب بن ابي طالب يمدح فيها رسول الله ويبكي أصحاب القليب من قريش وكلمة لضرار بن الخطاب يرثي فيها أبا جهل) (٣٥) (وكلمة لحسان بن ثابت يعير فيها قريشاً بجعلهم اللواء مع غلام أبي طلحة

فخرتم باللواء وشرٌّ فخرٍ لواءٌ حين رُدَّ إلى صؤاب)(٣٦)

وهذه الدلالة وان لم تستقر في نظرية الأدب عند العرب إلا أنها تسوغ لنا أن نستقبل مصطلح الكلمة في طائفة من آي الذكر الحكيم على أنه يدل على لون أو آخر من ألوان فن القول ، وأنه قد جسد أثر هذا اللون وخلوده وبين مضامينه ان خيراً فخير وان شراً فشر . ومما يدل على هذا : أن لفظة الكلمة القرآنية قد فرضت نفسها على المفاهيم النقدية المعاصرة ، فأضحى نقادنا المعاصرون يتعارفون عليها مصطلحاً مرادفاً للخطبة التي تلقى في المحافل ودالاً على الحديث الرئيس في الصحف والمجلات وما إلى ذلك من المدلولات المعبرة عن هذا الفن أو ذاك من فنون الأدب .

ان لفظة القول ولفظة الحديث ولفظة الكلمة القرءانيات — كما رأينا — تدور حول الأدب وتعبر عن جوانبه النظرية في شيء من العموم والاطلاق ومع هذا فإن في القرآن الكريم ألفاظاً تتخصص في الدلالة على فنون الأدب وتستقر عليها وتنهض مصطلحات تؤدي عنها وفق مفاهيم راسخة لدى الباحثين والنقاد .

ولعل عرض هذه الألفاظ في نسق فني نقدي يقتضي أن نتناولها في مجالي النثر والشعر اللذين يتفق الباحثون على تفريع الأدب اليهما : — أما في مجال النثر ، فالملاحظ أن اللفظة المؤدية عنه مصطلحاً لم ترد في آي الذكر الحكيم وانما وردت لفظة المنثور في آيتين : —

---

(٣٥) راجع سيرة النبي : لابي محمد عبدالملك بن هشام ج٢ ص ٣٩٤ و ٣٩٦ و ٣٩٧ مطبعة حجازي بالقاهرة .

(٣٦) المصدر السابق ج٣ ص ٢٥ .

اولاهما : قوله تعالى : « وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا » (٣٧) .

فعمل هؤلاء القوم مشبه بالهباء المنثور « والهباء : ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار . وفي أمثالهم : أقل من الهباء (منثوراً) صفة الهباء ، شبهه بالهباء في قلته وحقارته عنـده . وأنه لا ينتفع به . ثم بالمنثور منه لأنك تراه منتظماً مع الضوء . فاذا حركته الريح رأيته قد تناثر وذهب كل مذهب (٣٨) وعليه فإن لفظة المنثور قد وردت في هذه الآية الكريمة بمعناها اللغوي الحقيقي.

أما الآية الثانية فقوله تعالى : « ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثورا » (٣٩) .

والمنثور هنا قد جاءت بمعناها اللغوي الحقيقي ايضـاً ، وان كنا نرى أن شيئاً من المدلول المجازي يشامم هذا المعنى ويمازجه ، ذلك : أن لفظة المنثور صفة للهباء تدل في سياقها على حقارة الهباء وضآلة شـأنها . أما لفظة المنثور في هذه الآية فإنها تؤدي عن الجمال وتدل على الحسن إذ أنها تصور اللؤلؤ الذي شبه به الغلمان في صورة جميلة أخاذة .

وفي اعتقادنا أن استعمال القرآن الكريم للفظة المنثور قد ترك بصماته على نظرية الأدب عند النقاد القدامى من جانبين : —

اولهما : ان لفظة المنثور قد جرت على أقلام اولئك النقاد وفشت في مصنفاتهم بدلاً من لفظة النثر التي تشيع في النقد العربي المعاصر ومعنى هـذا أن القرآن الكريم هو مصدر نظرية الأدب العربي الأصيل في تلقف لفظة المنثور واذارتها .

فابن رشيق القيرواني قد عقد في مطلع كتابه باباً في فضل الشعر واتكأ على

(٣٧) سورة الفرقـان الآية ٢٣ .
(٣٨) تفسير الكشاف جـ٣/٢٧٤ .
(٣٩) سورة الانسان الآية ١٩ .

لفظة المنثور مضاداً للشعر ومناقضاً اياه » (٤٠) . ونحا ابو القاسم محمد بن عبدالغفور الكلاعي منحى ابن رشيق القيرواني في ادارة مصطلح المنثور وعقد فصلاً في الترجيح بين المنظوم والمنثور (٤١) .

وثانيهما : ان استعمال المنثور تصغير اشأن الهباء وابراز جمال اللؤلؤ مشبهاً به للولدان في الآيتين المذكورتين كانا من العلل التي رسمت في نظرية الأدب عند العرب اتجاهين متناقضين : —

اولهما : اتجاه يفضل المنظوم على المنثور .

وثانيهما : يستحسن المنثور ويقدمه على المنظوم .

ومن اتباع الاتجاه الأول ابن رشيق القيرواني الذي قال : « وكلام العرب نوعان : منظوم ، ومنثور . اكل منهما ثلاث طبقات : جيدة ، ومتوسطة ، ورديئة فإذا اتفق الطبقتان في القدر وتساوتا في القيمة ولم يكن لاحداهما فضل على الأخرى كان الحكم للشعر ظاهراً في التسمية ، لأن كل منظوم أحسن من كل منثور من جنسه في معترف العادة ، ألا ترى أن الدر ، وهو أخو اللفظ ونسيبه ، واليه يقاس وبه يشبه اذا كان منثوراً لم يؤمن عليه ، ولم ينتفع به في الباب الذي له كسب ، ومن أجله انتخب ، وان كان أعلى قدراً وأغلى ثمناً ، فإذا نظم كان أصون له من الابتذال ، وأظهر لحسنه مع كثرة الاستعمال ، وكذلك اللفظ إذا كان منثوراً تبدد في الاسماع .

وتدحرج عن الطباع ، ولم تستقر منه إلا المفرطة في اللفظ وإن كانت أجمله والواحدة من الالف ، وعسى أن لا تكون أفضله ، فان كانت هي اليتيمة المعروفة ، والفريدة الموصوفة ، فكم في سقط الشعر من أمثالها ونظرائها ، لا يعبأ

(٤٠) راجع العمدة : ابن رشيق القيرواني ج١ ص ٧ مطبعة حجازي .
(٤١) راجع احكام صنعة الكلام : ابو القاسم محمد بن عبدالغفور الكلاعي ص ٣٦ دار الثقافة بيروت ــ لبنان .

به ، ولا ينظر إليه ، فاذا أخذه سلك الوزن ، وعقد القافية ، تألفت أشتاته ، وازدوجت فرائده وبناته ، واتخذه اللابس جمالاً ، والمدخر مالاً ، فصار قرطة الآذان ، وقلائد الأعناق ، وأماني النفوس ، واكاليل الرؤوس ، يقلب بالألسن ، ويخبأ في القلوب ، مصوناً باللب ، ممنوعاً من السرقة والغصب (٤٢) .

فابن رشيق القيرواني ها هنا يتنفس في جو الاستعمال القرآني للفظة المنثور ويقتفي أثر هذا الاستعمال في دائرته اللغوية الحقيقية ويرى أن المنثور من الكلام هو ما تناثرت الفاظه بالمعنى الحقيقي ، كما أنه حين يحاجج في تفضيل الشعر على المنثور يتحاشى لفظة اللؤلؤ التي مدحه الله تعالى بوصفه منثوراً ويدير بدلاً عنه لفظة الدر خوفاً من أن يخرج على الآية الكريمة (حسبتهم لؤلؤاً منثوراً) وعندنا ان ابن رشيق القيرواني والذين تقيلهم وأتوا بعده حين يفهمون من المنثور معناه اللغوي الحقيقي ينسون أن فن المنثور لا تتناثر الفاظه كالهباء وانما تجري في نظام عقلي وشعوري تزينه مهارة الفن وتنسقه عبقرية العقل .

أما من مقتفي أثر الاتجاه الثاني فهو الكلاعي الذي مال إلى التأثير الديني واستجاب لما شاع من رأي بعض المسلمين في الشعر فقال :

« ورأيي أن القريض قد تزين من الوزن والقافية بحلة سابغة ضافية ، صاربها أبدع مطالع ، وأصنع مقاطع ، وأبهر مياسم ، وانور مباسم . . . لكن النثر أسلم جانباً ، وأكرم حاملا وطالباً . وقد قال رسول الله (ص) : (لأن يمتلىء جوف احدكم قيحاً خير له من أن يمتلىء شعراً) ولم يقل كتابة ولا خطابة » (٤٣) .

فالكلاعي في مذهبه هذا يستجيب لمعنى لفظة المنثور القرآنية في دائرته اللغوية والحقيقية ويدين للمنظوم بحلة الوزن وحلية القافية ثم يعود فيفضل المنثور عليه متأزراً بما ينسب للرسول الكريم من حديث وما روي لبعض الصحابة والعلماء والشعراء من آثار في هذا الباب .

---

(٤٢) العمدة ج١ ص ٧ .

(٤٣) احكام صنعة الكلام ص ٣٦ .

وبين هذين الاتجاهين أشق اتجاه ثالث طريقه في ساحة النظرية العربية عن الأدب مستنداً إلى الفهم الصحيح لأي الذكر الحكيم التي تتجنب — كما سنرى — تقبيح الشعر لأنه شعر أو تفضيله لأنه منظوم غير منثور ، فرأى مشايعوه أن المنظوم والمنثور كليهما يتمتعان بمنزلة رفيعة في الأدب ، وأن لكل منهما مرحلته ودوره : فالمنظوم هو لغة العاطفة وصوت الشعور وروح البداوة والاصالة ، أما المنثور فهو لسان العقل ولغة التفكير وقوام الحضارة والتمدين .

لقد وردت في القرآن الكريم طائفة من المصطلحات المؤدية عن فنون النثر الدالة عليها تسميات منها مصطلح الخطاب .

والملاحظ أن هذا المصطلح لم يرد في آي الذكر الحكيم فعله الثلاثي خطب ، وانما جاء فعله الرباعي خاطب ماضياً ومضارعاً ، من ذلك قوله تعالى في تكليف سيدنا نوح (ع) : (واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون) (٤٤) .

والفعل تخاطب هنا لا يقتصر في مدلوله على معنى التكلم ، وإنما يتسع عن هذا المعنى ويفيض عليه ويمتد ويتعمق ليدل على الدعوة ورجاء الشفاعة إذ المقصود من قوله تعالى « ولا تخاطبني في الذين ظلموا » (ولا تدعني في شأن قومك واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك (إنهم مغرقون) إنهم محكوم عليهم بالإغراق) (٤٥) .

وبدهي : ان المخاطبة بهذا المدلول تستدعي لوناً من المهارة في التعبير وتستوجب الكثير من الحكمة في الالتماس وتلزم المخاطب أن يختار الحجج ويسوق البراهين لكي يؤثر دعاؤه وتستجاب شفاعته ، وخاصة في هذا الموقف الحرج الذي يقفه سيدنا نوح بين يدي ربه ومن ورائه قومه الظالمون يلتفت إليهم

---

(٤٤) سورة هود الآية ٣٧ .
(٤٥) تفسير الكشاف ج٢/٣٩٢ .

فيلمس آثار ظلمهم ومظاهر كفرهم ومع ذلك تتحرك فيه عاطفة الرأفة ببني جلدته فيشخص بتصره إلى رحمة الله فيرجو أن تنال قومه ، ويهم أن يخاطب الله جلّ وعز بالخطاب الذي يقدر على تحقيق غرضه بماله من خصائص شكليه ومضمونية ، بيد أن النهي الآلهي يصدعه : الا يخاطب .

وفي آية أخرى ورد الفعل خاطب مسنداً إلى الجاهلين ، وهي قوله تعالى : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوْناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً »(٤٦) .

وخاطب ها هنا يحتفظ بإيحاءات مداول مصطلح الخطاب ويتجاوز معنى الكلام غير المتفنن ذلك لأن اولئك الجاهلين حين يخاطبون المؤمنين ينالوا منهم لا بدّ أن يفرطوا في إدارة التعابير الجارحة ويتكلفوا القاءها غمزاً ولمزاً واثارة واساءة ، ومعنى هذا ان هذا الفعل ينم عن مقومات الخطاب والخطبة فناً قولياً غرضه التعبير والتأثير . واياً كانت صحة تحليلنا فان القرآن المجيد كريم بمده إيانا بمصطلح الخطاب في آية : « وشـــددنا ملكهُ آتيناه الحكمة وفصل الخطاب » (٤٧) ينعقد رأي المفسرين على أن فصل الخطاب الذي آتاه الله تعالى داود (ع) هو فن القول ذلك لأن الفصل (التمييز بين الشيئين . وقيل الكلام البين : فصل بمعنى المفصول كضرب الامير ، لأنهم قالوا : كلام ملتبس ، وفي كلامه لبس . والملتبس : المختلط ، فقيل في نقيضه : فصل أي مفصول بعضه من بعض ، فمعنى فصل الخطاب : البين من الكلام الملخص الذي يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه ومن فصل الخطاب وملخصه : أن لا يخطىء صاحبه مظان الفصل والوصل ، فلا يقف في كلمة الشهادة على المستثنى منه ولا يتلو قوله (فويل للمصلين) إلا موصولاً بما بعده ، ولا (والله يعلم وانتم) حتى

(٤٦) سورة الفرقان الآية ٦٣ .
(٤٧) سورة ص الآية ٢٠ .

يصله بقوله (لا تعلمون) و نحو ذلك ، وكذلك مظان العطف وتركه ، والإضمار والإظهار والحذف والتكرار وإن شئت كان الفصل بمعنى الفاصل : كالصوم والزور . وأردت بفصل الخطاب : الفاصل من الخطاب الذي يفصل بين الصحيح والفاسد والحق والباطل والصواب والخطأ ، وهو كلامه في القضايا والحكومات وتدابير الملك والمشورات ، وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه هو قوله : البينة على المدعي واليمين على المدعي عليه . وهو من الفصل بين الحق والباطل ، ويدخل فيه قول بعضهم : هو قوله : أما بعد لأنه يفتتح إذا تكلم في الأمر الذي له شأن بذكر الله وتحميده فإذا أراد أن يخرج إلى الغرض المسوق اليه : فصل بينه وبين ذكر الله بقوله : أما بعد ويجوز أن يراد الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار مخل ولا إشباع ممل ومنه ما جاء في صفة كلام رسول (ص) : فصل لا نذر ولا هذر) (٤٨) .

و لعلنا نلحظ أن هذا التفسير لفصل الخطاب بين يدي تلك الآية الكريمة يرسخ في نظرية الأدب عند العرب معظم مميزات فن الخطاب والخطبة ويبوبها على ثلاثة محاور :

اولها : محور مميزات الخطاب ، وثانيها : محور مميزات الخطبة .

وثالثها : محور مميزات الذين يخاطبون ، ومطابقة الخطاب لمقتضى أحوالهم ، فيلتقي مع ما نوهنا به من مدلول الخطاب في ضوء الآيتين الكريمتين السابقتين .

ومن هنا فلما كان القرآن الكريم قد أدار مصطلحات من مادة (خ ، ط ، ب) قبل اتصال العرب بالحضارات الاجنبية على نحو وثيق بنيف وقرنين ، فمن حقنا أن نقررهنا مطمئنين : أن العرب لم يكونوا مثلاً في حاجة إلى كتاب الريطوريقا (فن الخطاب) لأرسطوطاليس لكي يدرسوا هذا الفن من فنون النثر في الدراسات النقدية والبلاغية التي نضجت بعد القرن الثاني للهجرة وتكاملت مناهجها في رحاب القرآن الكريم يوم سعى أصحابها إلى تدوين إعجازه وتفصيل

(٤٨) تفسير الكشاف ج٤/ ٨٠ .

القول في بيان مصطلحاته وانما وجدوا هذا الكتاب العزيز نبراساً فيما نهضوا به .

ومن مصطلحات فنون النثر في القرآن الكريم مصطلح القصة الذي ورد من مادته في آياته البينات اربع عشرة لفظة تنوعت صيغها بين الفعل بشتى ازمنته وبين الاسم والمصدر ، فاحتل مساحة متميزة من بناء نظرية الادب عند العرب وفتح على هذه النظرية أبواباً من الدراسات النقدية والفنية .

اشار مصطلح القصة في القرآن الكريم إلى موضوعات هذا الفن وفصل بعضها في تنوع وتلون: ومن هذه الموضوعات ذكر الماضي وعرض صوره وابقاء هذه الصور حيةً في الأذهان كقوله تعالى : « كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكراً » (٤٩) .

ومنها رواية تاريخ الرسل والانبياء وتجسيد ما وقع لهم خلال نهوضهم بتبليغ رسالاتهم ، كما يظهر ذلك من قوله تعالى : « ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبلُ ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً » (٥٠)

ومنها سرد الاحداث التي وقعت للقرى والبلدان المبادة كقوله تعالى :

« ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيدٌ » (٥١) .

ومنها ابناء الامم ووقائع الشعوب وملاحم الأقوام كقوله تعالى :

« تلك القرى نقصُ عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبعُ الله على قلوب الكافرين. (٥٢) ومنها رواية السير والاخبار الخاصة والترجمة الذاتية كما يبين ذلك قوله تعالى حكاية عن النبي موسى : (فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف

(٤٩) سورة طه الآية ٩٩ .
(٥٠) سورة النساء الآية ١٦٤ .
(٥١) سورة هود الآية ١٠٠ .
(٥٢) سورة الاعراف الآية ١٠١ .

نجوت من القوم الظالمين » (٥٣) فهذه خمسة موضوعات للقصص القرآني تؤكد أن نظرية الأدب عند العرب غنية بهذا الفن وخصبة في آفاقه المضمونية قبل ان يتصلوا بالاغريق وغيرهم .

رسخ القرآن الكريم – بالاضافة إلى موضوعات قصصه هذه في نظرية الأدب العربي – مبدءاً نقدياً حول الغاية من فن القصة ، فبين ان هذه الغاية ، هي التفكر والتدبر كقوله تعالى : « ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون » (٥٤) .

كما بين أن هذه الغاية هي الاتعاظ واستخلاص العبر والتمثل بتجارب الآخرين والافادة مما وقع لهم كقوله تعالى : « وكلا نقص عليك من ابناء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين » (٥٥) .

وتتجسد غاية القرآن الكريم من قصصه في أن هذه القصص تسعى مجتمعة إلى خلق المجتمع الفاضل الذي يخشى لقاء ربه يوم القيامة فيتخلق أفراده بافضل الخلال ويتكاتفون في تعاطف وتراحم ، فيأخذ كل ذي حق حقه ، وتبدو هذه الحقيقة في قوله تعالى : « يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرّتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين » (٥٦) .

ويقين ان هذه الغايات العقلية والنفسية والاجتماعية لفن القصة لا تتحقق إلا إذا توفر لها المضمون المخصوص ، وقد فصل القرآن الكريم خصائص هـــذا

---

(٥٣) سورة القصص الآيـة ٢٥ .

(٥٤) سورة الاعراف الآيـة ١٧٦ .

(٥٥) سورة هـود الآيـة ١٢٠ .

(٥٦) سورة الانعام الآيـة ١٣٠ .

المضمون ، فبين أنه مضمون واقعي ينأى عن الافتراء والكذب ويتحزم بالصدق ويستقي من الحق ويدحض الباطل ، وينبض بتفاصيل الحدث .

وتتمثل هذه الخصائص في قوله تعالى : « لقد كان في قصصهم عبرةٌ لأولي الالباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمةً لقوم يؤمنون » (٥٧) .

وفي قوله تعالى : « نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى » (٥٨) .

ولما كان هذا اللون من المضمون رغم أهميته ورفعة قيمته لا يكفي وحده لجعل قصصه فنية تحقق غاياتها والا لا بدّ إليه من شكل جميل يؤدي عنه بناء فني ينبض به ، فان القرآن الكريم قد أشار إلى هذا المبدأ النقدي المقرر في أحدث الدراسات الجمالية المعاصرة وأكد ميزة قصصه مضموناً وشكلاً وبناءاً وأبرزها بلفظة أحسن في آية : « نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين » (٥٩) فلفظ أحسن — من غير شك — مصطلح نقدي يبين مميزات القصة الموفقة مضموناً وشكلاً متلاحمين ويزود الباحث في الدراسات القرآنية بحقه في أن يرى ان القرآن الكريم قد رسخ في نظرية الأدب عند العرب قبل اربعة عشرقرناً مبدأ الالتزام وفصل قواعده المضمونية والشكلية فإذا هذا المضمون ليس هادفاً حسب ، وانما هو هادف في صورة فنية .

وعليه فإن هذا الكتاب العزيز قد سبق المدارس النقدية الأوربية في الإجابة على استفسار يستفهم قائلاً : لمن يكتب الأديب؟وكيف يكتب؟ثم حسم خلافات هذه المدارس التي رأى بعضها أن غاية الأديب من الكتابة هي خدمة

---

(٥٧) سورة يوسف الآية ١١١ .

(٥٨) سورة الكهف الآية ١٣ .

(٥٩) سورة يوسف الآية ٣ .

المجتمع من غير الاهتمام بفنية عمله ، وذهب بعضها الآخر إلى أن الأدب ليست له غاية وانما غايته في انتاجه وان الأدب للأدب .

والسؤال بعد هذا كله ربما يسأل : وإذن فكيف يتوصل القاص إلى انتاج هذا اللون من القصص في موضوعاته تلك وخصائصه هذه ؟ يجيب القرآن الكريم على هذا السؤال في آية : « فلنقصنّ عليهم بعلمٍ وما كنا غائبين »(٦٠)

المعنى : « فلنقصن عليهم » على الرسل والمرسل اليهم ما كان منهم (بعلم) عالمين بأحوالهم الظاهرة والباطنة وأقوالهم وأفعالهم (وما كنا غائبين) عنهم وعما وجد منهم (٦١) .

إذن فالقاص فيتفسير هذه الآية الكريمة ونصها الصريح ينبغي أن يكتب عن خبرة وتجربة ويصدر في فنه بعلم ومعرفة ويلمّ بدقائق موضوعاته ما ظهر منها وما خفي .

وهكذ فإن القرآن الكريم قد فصل للعربي منذ أيام نزوله فن القصة وشرح شتى جوانبه وبين ماله من أهمية مما يحق لنا أن نستغرب هنا من مؤرخي تاريخ القصة العربية الذين يزعمون : أن هذا الفن طارىء على الأدب العربي غريب عن الأدباء العرب وأن هؤلاء الأدباء قد تلقفوه تلقفاً من الآداب الأوربية وأدخلوه في أدبهم تقليداً ومحاكاة إن هؤلاء المؤرخين إن لم يكونوا جاهلين في زعمهم هذا فإنهم بلا شك مغرضون ينكرون الحقائق التاريخية ويتخذونها ظهرياً .

ومن الفنون النثرية التي يمكن تلمس جذورها في القرآن الكريم فن الكتابة الذي ورد له فيه مصطلحان هما مصطلح الرسالة ومصطلح الكتاب : — أما مصطلح الرسالة فالواضح أنه يدور في آي الذكر الحكيم حول الشؤون الدينية

---

(٦٠) سورة الاعراف الآيـة ٧ .

(٦١) راجع تفسير الزمخشري ج٢/٨٨ .

وما يبلغه الانبياء والرسل إلى الناس من شرائع (٦٢) سماوية وانه لم يرد في هذا الكتاب العزيز للتعبير عن فن الرسالة المعهود في نظرية الأدب .

وعليه فإن هذا المصطلح قد تميز في القرآن الكريم في ذلك المدلول بجمعه على رسالات لا الرسائل كما أنه قد تميز بمرافقة مصطلح الرسول الذي يبلغ رسالة ربه شفاهاً .

وفي يقيننا ان الاستعمال القرآني لمصطلح الرسالة على هذا النحو قد رسخ في الأدب العربي طبيعته الشفوية حتى اوائل القرن الثالث للهجرة ، وآية ذلك ما نقله المبرد (من أن أهل البصرة كتبوا إلى أحد الولاة يهنئونه ولم يكتب له الاحنف ولكن قال أقرأوا عليه السلام وقالوا اه اني لك على ما فارقتك عليه . فلم يزل يقرأ الكتب ويلتمس في اضعافها كتاب الاحنف فلما لم يره قال لأصحابه : أما كتب الينا ؟ فقال له الرسول حملني اليك رسالة وأبلغه .

ففي ضوء هذا النص ندرك ان الرسـالة هو فن شفوي من فنون النثر العربي وان القرآن الكريم قد رسخ بناءه في نظرية الأدب عند العرب وانه مع مرور الأيام قد اتسع مفهومه ، فاشتمل على فن الكتابة ، فأصبحنا نعرف هذا الفن في هذه النظرية على ثلاثة أنواع هي فن الرسالة الاخوانية وفن الرسالة السلطانية وفن الرسالة الديوانية .

أما مصطلح الكتاب فقد ورد في آي الذكر الحكيم على مدلولات اتسعت للكتاب الديني (٦٤) والغرض (٦٥) وما يبرم بين الناس من عهود وعقود (٦٦)،

(٦٢) راجع سورة الاعراف الآية ٦٢ و ٧٩ و ٩٣ و ١٤٤ـوسورة المائـدة الآية ٦٧ والانعام الآية ١٣٤ وسورة الاحزاب الآية ٣٩ والجن الاية ٢٣ و ٢٨ حيث تكررت تعابير رسالة ربي ورسالته ورسالات الله ورسالات ربـهم ورسالاته ورسـالاتي .

(٦٣) الكامل في اللغة والأدب : المبرد جـ٢/١٩٩ .

(٦٤) راجع سورة البقرة الآية ٧٨ .

(٦٤) راجع سورة البقرة الآية ٢٣٥ . (٦٦) راجع سورة النور الآية ٣٣ .

وتخصصت للدلالة على فن المكاتبة والمخاطبة بين الناس كما هو واضح فيما ورد من قصة النبي سليمان (ع) مع الهدهد الذي أنبأه من سبأ بنبأ عن الملكة بلقيس .

فقد قص القرآن الكريم ذلك بقوله تعالى : (قال سننظر أصدقت ام كنت من الكاذبين * إذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون * قالت يا أيها الملأ اني إلقي الي كتاب كريم * إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم * ألا تعلوا عليّ وائتوني مسلمين) (٦٧) .

ومن تفسير هذه الآيات : (أن بلقيس قالت عندما تسلمت الكتاب من سليمان (ع) : (أيها الملأ اني القي الي كتاب كريم إنه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم * ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين) ان وصف ذلك الكتاب بكريم يعني حسن مضمونه وما فيه أو وصفته بالكرم . لأنه من عند ملك كريم أو مختوم قال صلى الله عليه وسلم : (كرم الكتاب ختمه ، وكان صلى الله عليه وسلم يكتب إلى العجم . فقيل له : انهم لا يقبلون إلا كتاباً عليه خاتم فاصطنع خاتماً . وعن ابن المقفع : من كتب إلى أخيه كتاباً ولم يختمه فقد استخف به . وقيل : مصدّر بسم الله الرحمن الرحيم : هو استئناف وتبيين لما ألقي إليها كأنها لما قالت : إني ألقي إليّ كتاب كريم ، قيل لها : ممن هو ؟ وما هو ؟ فقالت : إنه من سليمان وإنه : كيت وكيت .

ويروى أن نسخة الكتاب من عبدالله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبأ : السلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فلا تعلوا عليّ وائتوني مسلمين) (٦٨) .

ففي ضوء تلك الآيات الكريمات وما جرى بين يديها من تفسير يستطيع الباحث ان يقرر مطمئناً : أن فن الكتاب في الأدب العربي قد ترسخت تقاليده وثبتت مراسيمه ، فإذا هذه المراسيم والتقاليد تقتضي أن يبدأ الكتاب بالبسملة

(٦٧) سورة النمل الآيات ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ و ٣١ و ٣٢ .

(٦٨) تفسير الكشاف ج٣/٣٦٣ .

ويذكر اسم الكاتب والمكتوب إليه وتثبت التحية المناسبة ويتخلص إلى الغرض بتعبير أما بعد ثم يدون المضمون ويختم بختم الكاتب .

وعليه فإن هذه الآيات تقطع الشك باليقين وتقيم الحجة البالغة على أن هذا الفن عربي في نشأته وأن شتى مقوماته كانت معروفة لدى العرب منذ نزول الوحي وانه لا بدّ أن يكون متداولاً قبل نزول الوحي أيضاً كما بينا تفاصيله فيما مضى . وعليه ايضاً فإن من يزعم اغريقية هذا الفن وأجنبيته عن نظرية الأدب لا يملك أن يدفع تلك الحجة البالغة ويتجاوز القرآن الكريم إلى الفرضيات المموهة التي لا تغنى عن النص الصريح فتيلاً ولا يستقيم في منهج البحث قليلاً .

لقد نال الشعر في القرآن الكريم حظاً وافراً من الاشارات النقدية الصريحة ويبدو ذلك في تسمية احدى سوره الكريمات باسم سورة الشعراء وفي الآيات العديدة التي تناولت هذا الجانب أو ذاك من جوانبه المتعددة منزلة ومصدراً واسلوباً وغاية : —

أما منزلة فالظاهر أن محاججي الرسول الكريم من المشركين كانوا يسعون إلى اتهامه بأنه شاعر .

وفي يقيننا أن هذا الاتهام لا ينبغي تأويله على أن العرب لم يكونوا يرون للشعر منزلة رفيعة لان هذا التأويل تنقضه الآثار والأخبار المتواترة عن العرب في الاحتفاء بالشاعر واستقبال شعره خير استقبال لما لهُ من اثر كبير في حياتهم الأجتماعية والفكرية ولما لهُ من صولات في معترك هذه الحياة .

ويتجسد مصداق ما نذهب اليه في تدبر الآيات الكريمات التي تنقل إلينا هذه الاشارة النقدية ، وقد حكى القرآن الكريم في احداها قوله تعالى حكاية عن المشركين : « ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون » (٦٩)

(٦٩) سورة الصافات الآيـة ٣٦ .

وكذلك قوله تعالى : « أم يقولون شاعر نتربصُ به ريب المنون » (٧٠) فهم في هذه الآية الكريمة لا يمسون الشاعر بسوء وانما يقررون أن الرسول الكريم سيحين يوماً ما أجله مثل أي شاعر تنتظره المنون وتقعد له في مكمن من مراحل عمره .

وبهذا المقياس ينبغي أن نفهم قوله تعالى : « وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون » (٧١) .

فهذه الآية الكريمة لا تبخس الشاعر منزلته ولا تحط من شأنه وانما تنفي في ضوء مبدأ نقدي حول مميزات القرآن الكريم ان يكون هذا الكتاب العزيز من الشعر في شيء .

وهكذا فإن منزلة الشاعر عند العرب قبل ظهور الاسلام لا تصادف ما يهون من سموها في القرآن الكريم ، لأن هذا الكتاب العزيز لم يقوم الشعر لذاته ولم يتناول الشعراء لأنهم شعراء وانما نظر إلى هذا الفريق من الناس وإلى فنهم كما سنرى في ضوء مقاييس شكلية ومضمونية .

أما مصدر الشعر فقد تبين في قوله تعالى : « وما علمناه الشعر وما ينبغي له »(٧٢) مخبراً عن حال النبي الكريم وناقضاً زعم من قال من الكفار انه شاعر ، وان القرآن شعر .

ولو رجعنا إلى امهات كتب التفسير (٧٣) واستطلعنا آراء أصحابها في تفسير هذه الآية الكريمة ، لوجدناهم ينزعون في التماس حكمها منزعاً ضيقاً ،

(٧٠) سورة الطور الآية ٣٠ وراجع سورة الانبياء الآية ٥٠ .
(٧١) سورة الحاقة الآية ٤١ .
(٧٢) سورة يس الآية ٦٩ .
والجامع لاحكام القرآن لأبي عبدالله محمد بن احمد الانصاري القرطبي
والجامع لأضكام القرآن لأبي عبدالله محمد بن أضمد الانصاري القرطبي ج١٥/٥١ ـ ٥٥ دار الكاتب العربي للطباعة والنشر / القاهرة ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م .

فيعددون أوجهاً لتجنب الرسول الكريم نظم الشعر وعدم وزنه وكسره لأعاريض ما يتمثل به من الاشعار القديمة متناسين مداولات كلماتها وما توحي به في ضوء رأي فريق من العرب الجاهليين حول علاقة الشعراء بالجن واخذ الشاعر شعره من شيطانه الذي يلهمه ويلقي إليه مقاليد فن القول .

أما نحن فنتجنب هذا المنزع ونستهدي بلفظة الفعل (علم) ونفي هذا الفعل والفعل (ينبغي) ، فنبيح لأنفسنا أن نرى بين يدي هذه الآية الكريمة رأيين متلازمين في نظرة القرآن الكريم إلى مصدر الشعر : —

أولهما : أن القرآن الكريم كان يعتبر الشعر علماً وصنعة ، وأنه لم يكن يراه وحياً والهاماً .

وثانيهما : أنه قد سد في وجه النقاد والشعراء أبواب السماء وحجب الغيب طريقاً إلى تعلم الشعر وقوله واتقان صناعته .

ويقين أن هذين الأمرين يصوران نظرة القرآن الكريم الى الشعر نشاطاً انسانياً ، وهي نظرة قد تجسدت لدى طائفة كبيرة من النقاد المسلمين الذين تصدوا لارساء قواعد نظرية الشعر الأصيلة عند العرب فبعد نزول الوحي شاع بين هؤلاء النقاد مقولة عربية متأثرة بتلك الآية الكريمة تعتمد على مصطلح العلم وتؤكد : ان الشعر ديوان العرب وعلمهم الذي لم يكن لهم علم أصح منه .

لقد تفصلت هذه المقولة في أمهات كتب الدراسات النقدية والبلاغية العربية ، فاندفع مؤلفوها في ضوء نظرة القرآن الكريم إلى مصدر الشعر علماً في صورة قواعد معروفة وتفهم طبيعته نشاطاً آدمياً : من هؤلاء المؤلفين ابن سلام الجمحي الذي يقول : وللشعر صناعة وثقافة يعرفها اهل العلم ، كسائر اصناف العلم والصناعات » (٧٤) ومنهم ابن طباطبا العلوي الذي بلغ في هذه الغاية شأوها وانتهى بين مداها إلى المراد فاستقبل الشعر صناعة وقال تحت

---

(٧٤) طبقات فحول الشعراء ابن سلام الجمحي ص ٦ .

عنوان صناعة الشعر : « فاذا الشاعر اراد قصيدة محض المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثراً ، وأعد له ما يلبسه إياه من الالفاظ التي تطابقه ، والقوافي التي توافقه ، والوزن الذي يسلس له القول عليه ، فاذا اتفق له بيت يشاكل المعنى الذي يرومه أثبته ، وأعمل فكره في شغل القوافي بما تقتضيه من المعاني على غير تنسيق للشعر وترتيب لفنون القول فيه، بل يعلق كل بيت، على تفاوت ما بينه وبين ما قبله . فاذا أكملت له المعاني وكثرت الأبيات وفق بينها بأبيات تكون نظاماً لها وسليكاً بها معاً لما تشتت منها ثم يتأمل ما قد أداه اليه طبعه ونتجته فكرته، ويستعصي انتقاده ويرم قافيته قد شغلها في معنى من المعاني واتفق له معنى آخر مضاد للمعنى الأول ، وكانت تلك القافية أوقع في المعنى الثاني منها في المعنى الاول ، نقلها إلى المعنى المختار الذي هو أحسن ، وأبطل ذلك البيت أو نقص بعضه ، وطلب لمعناه قافيته، ويكون كالنساج الحاذق)» (٧٥) فها هنا يستقر مدلول مصطلح كون الشعر علماً وتترسخ قواعد صناعته عملاً هو نتاج الوعي وثمرة الادراك ونسيج السعي.

ويتجنب كل التجنب سبيل الوحي والالهام واللاوعي وما إلى ذلك من المفاهيم التي تربط الشعر بالاعمال غير الارادية .

وفي ملاحظتنا أن هذا الاتجاه في نظرية الشعر عند العرب يناقض اتجاه نظرية الشعر عند الاغريق :

فافلاطون الذي يعتبر مؤسس هذه النظرية ومقرر قواعدها الفلسفية يرى : « ان جميع الشعراء المجيدين سواء كانوا من اصحاب الملاحم أو الشعر الغنائي لا ينظمون اشعارهم الجميلة بوحي من الفن المدروس بل لأنهم ملهمون مأخوذون . وكما يرقص الكوربنتيون المعربدون وهم بلا وعي كذلك ينظم

---

(٧٥) عيار الشعر لابن طباطبا العلوي ص ٥ .

الشعراء الغنائيون أنغامهم الجميلة وهم غير واعين ايضاً . انهم يتلقون الالهام ويصبون كالمأخوذين اذا ما وقعوا تحت تأثير الموسيقى والوزن وهم أشبه بوصيفات باخوس اللواتي يرضعن اللبن والعسل من الانهار عندما يقعن تحت تأثير ديونيسس (٧٦) ولا يستطعن ذلك اذا كن مالكات اوعيهن التام »(٧٧).

فالشعر ها هنا وحي من الالهة وشطحة من اللاوعي ليس للشاعر منه جهد ولا نشاط لأنه كالقطعة الحديدية التي تجذبها قوة المغناطيس .

لقد خضع ارسطوطاليس لهذا الاتجاه ايضاً وأسهم في ارساء نظرية الشعر عند الاغريق على أسسه الميتافيزيقية الغيبية رغم ما يزعم من أنه كان واقعياً مخالفاً ارأي استاذه افلاطون ، فهو يتوهم الشعر قضاء وقدراً يفيض من نفس الشاعر ويسلك خطا تطوره في ضوء طبيعة هذه النفس لنستمع اليه يقول : « ان نبالة نفس الشاعر أو خساستها قد نشأ عنها شعر في المديح او الهجاء على التوالي،ثم تطور هذان الى شعر الملاحم ، او الشعر الساخر حتى آفضيا في نهاية التطور إلى المأساة والملهاة » (٧٨) .

وهكذا فمصدر الشعر وطبيعته في نظر القرآن الكريم الذي أقام أصالة نظرية الأدب عند العرب يختلف كل الاختلاف عن مصدر الشعر وطبيعته في نظرية الأغريق حول الشعر وعليه فهذه الموازنة بالنصوص تثبت انقطاع الصلة ما بين النظريتين وتدلل على أن العرب كانوا يمتلكون منهجهم الخاص بفضل القرآن الكريم في فهم الشعر نظرية وتطبيقاً ، وانهم لم يكونوا عيالاً على الاغريق في هذا الباب كما يزعم بعض الباحثين العرب المعاصرين

---

(٧٦) اله الخمر عند الاغريق .

(٧٧) محاورة ايون ضمن نصوص النقد الادبي في كتاب النقد/اسس النقد الادبي الحديث ترجمة السيدة هيفاء هاشم جا/٣٧ مطابع وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي / دمشق ١٩٦٦ .

(٧٨) فن الشعر ارسطوطاليس ترجمة عبدالرحمن بدوي ص ١١ مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٣ .

متقبلين أوهام طائفة من المستشرقين .

ويتجلى مذهبنا هذا في أن القرآن الكريم هو نبراس النقاد العرب باحثين للشعر في أن قدامة بن جعفر حين عرف الشعر أدار لفظة القول التي اعتمدتها آي الذكر الحكيم عنصراً مشتركاً بين فنون التعبير من القرآن الكريم وسجع الكهان فقال : حد الشعر « انه قول موزون مقفى يدل على معنى) (٧٩) .

فهذا الناقد العربي يستمد تعريفه للشعر صناعةً محسوسة ونشاطاً انسانياً ويستقرىء أركانه من النصوص بين يديه ، فيراه قولاً آدمياً لا وحياً إلـٰهياً ولا الهاماً غيبياً يتسم بالوزن ثمرة للصنعة ويتصف بالقافية نتيجة للادراك .

وهذا التعريف — من غير شك — يتجنب تعريف ارسطو طاليس للشعر الذي يصدر عن النظرة العامة للوجود ويفيض عن الكليات من غير استقراء للموجودات نفسها ومن غير تتبع لافراد هذه الكليات في نسق مستقل .

فالمعروف أن ارسطو قد تحدث عن الفنون جملة وألمح إلى تعريف الشعر قائلاً : « الملحمة والمأساة، بل والملهاة والديثرمبوس . وجل صناعة العزف بالناي والقيثارة هي كلها أنواع من المحاكاة في مجموعها، لكنها فيما بينها تختلف على انحاء ثلاثة : لأنها تحاكي إما بوسائل مختلفة ، أوموضوعات متباينة أو بأسلوب متمايز فكما أن بعضها (بفضل الصناعة أو بفضل العادة) يحاكي بالالوان والرسوم كثيراً من الاشياء التي تصورها ،وبعضها الآخر يحاكي بالصوت كذلك الحال في الفنون السالفة الذكر : كلها تحقق المحاكاة بواسطة الايقاع واللغة والانسجام مجتمعة معاً أو تفاريق . فالعزف بالناي مثلاً والضرب بالقيثارة وما أشبه هذا من فنون مثل الصَّفْر تحاكي باللجوء إلى الإيقاع والانسجام وحدهما، بينما الرقص يحاكي بالايقاع دون الانسجام ، وذلك لأن الراقصين يستعينون بالايقاعات التي تعبر عنها أشكال الرقص في محاكاة الاخلاق والوجدانيات والافعال.

(٧٩) نقد الشعر قدامة بن جعفر ص ١٢ مطبعة لبنان ١٩٥٨ .

أما الفن الذي يحاكي بواسطة اللغة وحدها نثراً أو شعراً (٨٠) فأين تعريف قدامة بن جعفر الشعر ذاك من تعريف ارسطوطاليس الشعر هذا ؟ !

ان بينهما بوناً شاسعاً وتمايزاً بعيد الغور ، ومع ذلك فرأي بعض الباحثين ينعقد على أن قدامة بن جعفر تلميذ لأرسطو طاليس في كتابه نقد الشعر : تقيل آراءه من كتابه فن الشعر الذي ترجم إلى العربية قديماً (٨١) أكثر من مرة على أية حال فانعقاد الرأي هذا ضرب من الفرض لا يغنى فتيلاً عن موازنتنا تلك بالنصوص وتتبع جذور الفكرة بين يدي القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

لقد ظهر إلى جانب مفهوم الشعر القرآني علماً وتجسده في الدراسات النقدية والبلاغية صناعةً مفهوم آخر في نظرية الأدب عند العرب ربما يظن بعضهم أنه بعيد عن الجو القرآني ، وانه أثر من الآثار الأجنبية الاغريقية أو سواها وهذا المفهوم هو ما شاع بين العرب من أن لكل شاعر شيطاناً .

المعروف في الآثار ان الاعشى كان شيطانه سحلاً (٨٢) ، والفرزدق

---

(٨٠) فن الشعر ارسطوطاليس ص ٥ .

(٨١) في كتاب الفهرست لابن النديم اشارات الى ترجمة كتاب الشعر لارسطو نفهم منها : ان هذا الكتاب قد ترجم اكثر من مرة ، وقد يعد من اقدم هذه الترجمات مختصر كتاب الشعر للكندي المتوفى ٢٥٢ هـ . ثم يأتي نقل اسحق ابن حنين المتوفى سنة ثمان وتسعين ومائتين للهجرة والمعروف ان هذا النقل وتلك الترجمة لم يصلا الينا وانما وصل الينا ترجمة ابي بشر متي بن يونس المتوفى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة للهجرة وهي ترجمة سقيمة فيها خروم وتصحيفات وتحريفات ، لذلك اعتمدنا على ترجمة الدكتور عبدالرحمن بدوي المعاصرة رغم انها لاتكشف عن حقيقة احتمال تأثير هذا الكتاب في النقد الادبي العربي .

(٨٢) راجع ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ـ الثعالبي ص ٥٥ .

شيطانه يدعى عمراً (٨٣)، وان هؤلاء الشياطين كانوا يوحون إلى شعرائهم في القريض ويلهمونهم روائع أشعارهم .

والمعروف أيضاً أن هذا المفهوم قد تسلل إلى بعض الحكايات المدونة عن حياة الشعراء في الآخرة .

فقد نقل المعري أن أحد الخزنة واسمه زفر يخاطب ابن القارح بعد أن مدحه الثاني بشعر كثير قائلاً : وأحب هذا الذي تجيئني به قرآن ابليس المارد ولا ينفق على الملائكة انما هو للجان وعلموه ولد آدم فما بغيتك ؟ (٨٤) .

ويستمر زفر بعد أن يعرف أن ابن القارح من أمة محمد صلى الله عليه وسلم : فيقول ذلك بني العرب ، ومن تلك الجهة أتيتني بالقريض لأن أبليس اللعين نفثه في اقليم العرب فتعلمه نساء ورجال (٨٥) .

مما لا مراء فيه ان هذا الحوار يستمد روحه وألفاظه من القرآن الكريم : فحكايته ترتبط بتصوير القرآن الكريم للجنة والنار وتعتمد على فكرة الملائكة والجن والمردة من الشياطين الذين نوهت بهم آي الذكر الحكيم ثم أن الشعر عند هذا الخازن هو قرآن إبليس وأن العرب قد تعلموه من نفث ابليس اياه في اقليمهم ولما كان الشياطين والجن كائنات مخلوقة تتراءى وتحاور من تتراءى لهم وان الشعر قد تعلمه رجال ونساء من نفث ابليس تعلماً فان هذا المفهوم في نظرية الأدب العربي لا يتفق مع مذهب افلاطون في ان الشعر الهام من الآلهة يستلهمه الشعراء من غير وعي ولا ادراك وانما يدور في نطاق مصطلح العلم القرآني الذي يؤدي عن الشعر نشاطاً محسوساً وفناً ملموساً . وينأى عن الأثر الأجنبي ويستوي خاصة من خصائص الفكر العربي .

تتمثل في هذه الدائرة القرآنية طبيعة الشعر أيضاً وتصدر عنهـــا فإذا هي

---

(٨٣) راجع الحيوان للجاحظ ص ٢٢٦/٦ .

(٨٤) رسالة الغفران المعري ص ٢٥٢ .

(٨٥) المصدر السابق الصفحة نفسها .

انعكاس عن سلوك الشعراء ومرآة لنزعاتهم . ويتجلى هـذا في قوله تعالى : « والشعراء يتبعهم الغاوون * الم تر انهم في كل واد يهيمون، وانهم يقولون ما لا يفعلون * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعدما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » (٨٦) فطبيعة الشعر بين يدي هذه الايات الكريمات ليست شراً بذاتها وليست خيراً بنفسها وانما منتجوه من الشعراء طائفتان .

اولاهما : طائفة تقود الغواة وتنافق وتقول ما لا تعمل، وشعرهم بسلوكهم هذا صناعة بائرة وفن لا يجدي .

ثانيتهما : طائفة مؤمنة تعمل الصالحات وتذكر الله كثيراً وتناضل ، وشعرهم صناعة رائجة وفن يمور بالخير .

إذن فالشعر مثل أي أثر يصدر عن الناس ربما يكون ضاراً وفق مقاييس وربما يصبح مفيداً وفق مقاييس أخرى .

ان هذا التحليل القرآني العميق لطبيعة الشعر لا يتفق معه مذهب افلاطون في استجلاء هذه الطبيعة ذلك لأن افلاطون يشد الشعر إلى نظريته عن الكون ويحكم على طبيعته في ضوء مرتبته من هذا الكون .

فالمعروف أن الكون عند أفلاطون ثلاثة عوالم : عالم المثل الذي هو مصدر الخير والكمال وعالم المحسوسات الذي هو مسرح صناعات الناس المفيدة وعالم الفن الذي هو ضلال وأوهام ويبتعـد عن عالم المثل والحقائق ثلاث مراحل .

والمعروف ايضاً أن افلاطون يحشر الشعر في عالم الفن ويجمع بينه وبين الرسم في الحكم عليه ويضرب مثاله المشهور في الأسرّة التي يراها ثلاثة :

احدها : كائن في الطبيعة ويمكننا القول إن خالقه هو الله اذ لا أحد

---

(٨٦) سورة الشعراء الآيات ٢٢٤ و ٢٢٥ و ٢٢٦ و ٢٢٧ .

غيره يستطيع أن يكون الصانع .

وهناك سرير آخر من صنع النجار – والثالث من عمل الرسام ويسأل افلاطون محاوره قائلاً :

وماذا نقول عن النجار أليس هو بصانع السرير ايضاً وما قولك بالرسام أندعوه بخالق صانع ؟

كلا بالطبع .

اذا لم يكن صانعاً فما هي علاقته بالسرير ؟

اظن انه يمكننا تسميته محاكياً لما يصنعه الآخرون .

حسناً ، اذن أندعو الثالث حسب تسلسله الطبيعي محاكياً ؟

بالتأكيد .

والشاعر التراجيدي محاك ايضاً وكغيره من المقلدين يبعد ثلاث مراحل عن الله وعن الحقيقة (٨٧) .

ولما كان الشاعر في نظر افلاطون محاكياً ومقلداً على هذا النحو فإن شعره كذب كله وخداع جميعه لا يمكن أن يجدي المجتمع ويفيد الناس على الاطلاق.

ويقين ان هذا التقويم لطبيعة الشعر يتجنب فهمه فناً آدمّي وصناعة بشرية وهو على أية حال يرسخ المفارقات العميقة بين نظرية الشعر عند الاغريق وبين نظرية الشعر عند العرب وهي النظرية التي تتكامل ملامحها عن طبيعة الشعر في ضوء تلك الآيات الكريمات التي تحسم القول في ضرورة التزام الشعراء تجاه امتهم والانسانية جمعاء يمحضون أشعارهم عن علم بحاجات الذين يلتزمون تجاههم وينظمون قصائدهم عن ايمان وعمل صالح وذكر لله ونضال في سبيل الغد الأمثل .

---

(٨٧) راجع نصوص من الجمهورية ضمن كتاب النقد / أسس النقد الادبي الحديث / ترجمة السيدة هيفاء هاشم ج١/١٦ – ١٨ .

أهذا ما يتعلق بألوان الأدب أما اسلوبه فقد أشار القرآن الكريم في مواضع عديدة منه إلى الاسلوب ورسخ مميزاته المنشودة من هذه المواضع قوله تعالى : « وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً او شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون » (٨٨) .

معنى زخرف القول في هذه الآيةالكريمة : (ما يزينه من القول والوسوسة والاغراء على المعاصي ويموّهه) (٨٩) .

وتزيين القول وتمويهه في الدراسات البلاغية العربية يقابل التصنع في الوان البيان والافراط في محسنات البديع المعنوية واللفظية .

ولما كان هذا الافراط وذلك التصنع مذمومين في القرآن الكريم وغير معول عليهما ، فقد وقفت في وجه مشايعيهما والداعين اليهما المدرسة الأدبية العربية في الدراسات البلاغية والنقدية . وهي المدرسة التي ينكر علماؤها التصنع والمبالغة ، والاغراق في فنون البيان والبديع ويؤثرون عمود الشعر العربي الذي يقوم على الملابسات والعلاقات الواضحة بين المشبه والمشبه به وبين المجاز والحقيقة والمستعار له والمكنى والمكنى عنه وما إلى ذلك من تلك الفنون .

والملاحظ أن البلاغة الأغريقية فيها جنف عما رسخه القرآن الكريم من منهج للمدرسة الأدبية العربية في الدراسات البلاغية والنقدية . وآية ذلك أن ارسطو طاليس يوم تحدث عن الوضوح والحلية في القول : أهمية المجازات قال : « والصفة الجوهرية في لغة القول تكون واضحة دون أن تكون مبتذلة . وتكون واضحة كل الوضوح إذا تألفت من ألفاظ دارجة ، لكنها حينئذ تكون ساقطة : كما هي الحال مثلاً في شعر قلاوفون وشعر اسثانلوس .

---

(٨٨) سورة الانعام الآيـة ١١٢ .

(٨٩) تفسير الكشاف ج٢/٥٩ .

وتكون نبيلة بعيدة عن الابتذال إذا استخدمت الفاظاً غريبة عن الاستعمال الدارج .

وأقصد بذلك : الكلمات الغريبة (الأعجمية) ، والمجاز ، والاسماء المحدودة (المطولة) ، وبالجملة كل ما هو مخالف للاستعمال الدارج . . . ولهذا يجب ان تكون (اللغة) مزيجاً من الالفاظ ، فتجنب الابتذال والسقوط يكون باستعمال الكلمات الغريبة والمجازات والمحسنات وسائر أنواع الأسماء التي ذكرناها بينما نظفر بالوضوح عن طريق الاسماء الدارجة » (٩٠) .

فأرسطو طاليس يقرن بين الوضوح والتعابير الدارجة ويرى أن نبل الأسلوب يتأتى من ألوان الحلية في فن القول ، وقد ترتب على رأيه هذا ايثار الغلو في ألوان الحلية لدى من جاء بعده وعاصره من السوفسطائيين ولدى علماء البلاغة الرومان الذين انعكست آراؤهم في كتاب فن الشعر لهوراس وكتاب سمو البلاغة المنسوب إلى لونجانيوس (٩١) .

كما ترتب عليه – حسبما نظن – ما فاض في المدارس النقدية الأوربية التي تستند إلى الدراسات البلاغية والنقدية الاغريقية عامة والارسطوطاليسية خاصة مثل المدرسة البرنانسية والسريالية والرمزية واللا معقول التي ربما يكون أتباعها الأوربيون قد نفضوا اليد منها ولكن هياجها قد أستعبد أفئدة طائفة من الشعراء العرب المعاصرين وسيطر على أقلام فريق من النقاد الذين يكتبون بلغة الضاد ويرتبطون فكرياً بما هو أوربي منقطعين عن تراث أمتهم العربية .

يرسخ القرآن الكريم بعد رفضه الزخرفة مقياس الحقيقة والصدق معياراً لتقبل الاسلوب ، ويبدو هذا في قوله تعالى : « الذين يظاهرون منكم من

---

(٩٠) فن الشعر : ارسطوطاليس ص ٦١ .

(٩١) عاش لونجانيوس في القرن الاول للميلاد ونشر نص كتابه مترجما في النقد/اسس النقد الادبي الحديث / هيفاء هاشم ج ٣٩/١ – ٧٦ .

نسائهم ما هنّ أمهاتهمإن أمهاتُهم إلا اللائي ولدنهم وإنهم ليقولون منكراً من القول وزوراً وإنّ الله لعفو غفور » (٩٢) .

فها هنا يتجسد مذهب المظاهر : منكراً من القول تنكره الحقيقة وتنكره الاحكامالشرعية وزوراً وكذباً باطلاً منحرفاً عن الحق .

ومصطلح المنكر ، ومصطلح الزور يمكن تعميمهما في ضوء معيار الحقيقة والصدق صفتين للمضمون الذي لا ترتضيه نظرية الأدب ولا يضمه اليه فن التعبير السليم .

ومما يتعلق بهذا المعيار ما رفضه القرآن الكريم ايضاً من افتعال القول وتكلفه كما يظهر في قوله تعالى : « ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل » (٩٣) .

فالتقول : افتعال القول ، كأن فيه تكلفاً من المفتعل . وسمى الأقوال المنقولة (أقاويل) تصغيراً بها وتحقيراً .

لم يدر القرآن الكريم في ترسيخ هاتيك المعايير المضمونية والشكلية مصطلح الاسلوب ، ولكنه ادار مصطلح لحن القول في آية : « ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم » (٩٤).

ولحن القول عند الزمخشري هو (نحوه واسلوبه . وعن ابن عباس : هو قولهم : ما لنا إن أطعنا من الثواب ؟ ولا يقولون : ما علينا إن عصينا من العقاب . وقيل : اللحن : أن تلحن بكلامك ، أي : تميله إلى نحو من الأنحاء ليفطن له صاحبك كالتعريض والتورية .

قال الشاعر :

ولقد لحنت لكم لكيما تفقهوا ... واللحن يعرفه ذوو الألباب

(٩٢) سورة المجادلة الآية ٢ .

(٩٣) سورة الحاقة الآية ٤٤ .

(٩٤) سورة محمد الآية ٣٠ .

وقيل للمخطي : لاحن : لأنه يعدل بالكلام عن الصواب (٩٥) وأياً كان فإن هذه الآيات الكريمات التي تنكر زخرف القول وترفض منكره وزوره وتأبى مفتعله وتثبت مصطلح لحن القول – قد رسمت في نظرية الادب عند العرب اتجاهاً فكرياً لا يرضى إلا بما هو صادق وحقيقي من فن التعبير .

فقد شاع في كتب البلاغة قولهم خير الشعر اصدقه وقول الشاعر :

وإن أحسن بيت أنت قائله ... بيت يقال إذا أنشدته صدقا

وقد فصل عبدالقاهر الجرجاني أسس هذا الاتجاه قائلاً : « فقد يجوز أن يراد به : أن خير الشعر ما دل على حكمة يقبلها العقل ، وأدب يجب به الفضل ، وموعظة ترفض جماع الهوى ، وتبعث على التقوى ، وتبين موضع القبح والحسن في الافعال ، وتفصل بين المحمود والمذموم من الخصال ، وقد ينحى بها نحو الصدق في مدح الرجال ، وكما قيل : « كان زهير لا يمدح الرجل إلا بما فيه » (٩٦) .

ولعل ما ينبغي تأكيده هنا : ان القرآن الكريم لم يكتف بما رسخه من معايير لمضمون الاسلوب وافكاره ، وانما أضاف إليه ما يتعلق بشكله وفنيته ، وتبدو هذه الحقيقة في الآيات التي كررت مصطلح المثل وضرب الأمثال سمتين للأسلوب الفني المتكامل مضموناً وشكلاً .

إن شرط التكامل بين مضمون الاسلوب حقيقة وصدقاً من المعاني وبين شكله جمالاً وكمالاً من الفن يتجسد في الغاية من الامثال . وهذه الغاية إما التذكر كما في قوله تعالى : « ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون » (٩٧) .

واما التفكر كما في آية : (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً

(٩٥) تفسير الكشاف ج٤/٣٢٧ .
(٩٦) اسرار البلاغة / عبدالقاهر الجرجاني ص ٢٣٦ .
(٩٧) سورة الزمر الآية ٢٧ وسورة ابراهيم الآية ٢٥ .

متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون » (٩٨) .

وعليه فإن جماليات شكل الاسلوب في نظر القرآن الكريم ليست إلا وسيلة تذكر الناس وتحملهم على التفكر، وقد كان لهذا المبدأ الفني صداه في الدراسات النقدية والبلاغية العربية وآية ذلك أن هذه الدراسات كانت تشترط للاسلوب البليغ والقول الفصيح مطابقتهما لمقتضى الحال من غير إفراط ولا تفريط في التزيين والتحسين ومع هذا فلا بدَّ أيضاً أن ننوه بنهج القرآن الكريم في صياغة الامثال وبنائها ونبين أن هذا البناء وتلك الصياغة كانتا في مستوى رفيع يليق بالعلماء في شؤون الحياة والفقهاء في قضايا الدين الذين هم قادة الناس وأولياء امورهم .

وقد بين القرآن الكريم هذه الميزة للأمثال في آية : « وتلكُ الأمثالُ نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون » (٩٩) .

وفي يقيننا : ان تأكيد القرآن الكريم لمستوى ضرب الأمثال على هذا النحو يثير في نظرية الأدب العربي مسألة نقدية خطيرة : فحواها أن الأديب الملتزم ينبغي له أن يكتب عن الناس ولا يشترط في كتابته ان تكون للناس ووفق مستواهم الفكري . وفي ضوء هذه المسألة يمكن أن نفهم تمثل أبي تمام لتلك الآيات حين سأله أبو العميثل لِمَ لا تقول ما يفهم الناس ؟ فأجابه ولم لا يفهم الناس ما أقوله .

واذا استقام ما يستقر في يقيننا هذا فمن حقنا أن نستنتج قاعدة قرآنية نقدية في قضية التزام الأدباء تقرر : ان الأديب الملتزم ليس له أن يفرط بجمالية شكل الاسلوب وفنية تعبيره متعللاً بصدق مضمونه وفائدته ، بل ينبغي له المزج بين هذه الفائدة وذلك الصدق وبين هذه الفنية وتلك الجمالية ويقدم

---

(٩٨) سورة الحشر الآية ٢١ .

(٩٩) سورة العنكبوت الآية ٤٣ .

لنا أسلوباً أشارت إلى ميزته هاتيك الآيات الكريمات .

ومما يتعلق بمستوى الاسلوب في آي الذكر الحكيم مسألة أخرى لها أهميتها الكبرى وهي مسألة التجديد في صياغة الصور وبناء الأمثال .

وقد أشار إلى هذه المسألة قوله تعالى : « إنَّ اللهَ لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضةً فما فوقهـا فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحقُّ من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد اللهُ بهذا مثلاً يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يضل به إلا الفاسقين » (١٠٠) .

وفي رواية أنه « لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب للمشركين المثل ، ضحكت اليهود وقالوا : ما يشبه هذا كلام الله ، فأنزل الله هذه الآية ».

ومذهب اليهود هذا وسواهم يدل على العجز في فهم هذه المسألة الأدبية النقدية التي رسخت في نظرية الأدب عند العرب اتجاه التجديد وتجنب التقليد ، ذلك لأن الحياة لا تنكفىءُ على حال ولا تدور في دوامة ، وانما تجري أحداثها كالنهر الخالد فيقتضي ذلك في نطاق الأدب أن يساير الأدباء هذه الحياة ويركب في كل قناة تنبت أصيلة سنان يبرق طريفاً .

إنَّ احتفاء القرآن بجمالية الاسلوب وفنيته فيما أورد من مثل وضرب من أمثال على هذه الشاكلة من بيان الغاية والتنويه بالمستوى وتأكيد التجديد ، قد تجلى في ان هذا الكتاب العزيز فصل أحياناً شرح المثل وبيان مضربه كما في آية : « أنزلَ من السماء ماءً فسالت أوديةٌ بقدرها فاحتمل السيلُ زَبَداً رابياً ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبدٌ مثلُهُ كذلك يضرب اللهُ الحق والباطل فأما الزبد فيذهبُ جُفاءً وأما ما ينفعُ الناسَ فيمكث في الأرض كذلك يضرب اللهُ الامثال » (١٠٢) .

(١٠٠) سورة البقرة الآيـة ٢٦ .
(١٠١) اسباب النزول للواضدي ص ١٤ .
(١٠٢) سورة الرعد الآيـة ١٧ .

فهذه الآية الكريمة تكاد تكون درساً في البلاغة العربية : تقدم الصورة البيانية شاهداً وتشرح دلالاتها ثم تبين من هذه الصورة ما يدل على الحق وما يدل على الباطل .

ويتمثل مصداق ما نذهب اليه في الفصول المستفيضة التي عقدها علماء البلاغة المسلمون في كتبهم البلاغية والنقدية حول المثل ومشتقاته فاذا فصل عن الأمثال وفصل عن التمثيل في التشبيه وفصل عن المجاز المركب وآخر عن الاستعارة التمثيلية وهؤلاء العلماء في فصولهم هذه بلا ريب يستلهمون آي الذكر الحكيم ويقتفون خطاها فيما بينا من بحث القرآن الكريم للاسلوب في نظرية الأدب العربي .

ولعلنا نستطيع أن نوازن بين نظرية الأدب عند الاغريق ونظرية الادب عند العرب في نطاق الاثر القرآني إذا ما اجتزأنا من تلك الفصول بمبحث المجاز

فالمعروف أن ارسطوطاليس في هذا المبحث يعرف المجاز ويحدد أضربه قائلاً : « والمجاز نقل اسم يدل على شيء إلى شيء آخر : والنقل يتم إما من جنس إلى نوع ، أو من نوع إلى جنس ، أو من نوع إلى نوع أو بحسب التمثيل » (١٠٣) .

يبدو من هذا النص أن ارسطوطاليس يعتمد على المنطق المجرد فيحصر أضرب المجاز في حدود ضيقة على أساس المقولات والكليات ، فيضيق الخناق على فن القول ويحبس الأدباء بين أربعة جدران أضرباً للمجاز الذي هو فسحة متسعة بين أيدي الخيال المبدع ليجسد معانيه ويشخص جماداته .

أما البحث العربي في المجاز فقد نحا منحى مغايراً للمنهج الاغريقي بفضل القرآن الكريم ، ويتمثل هذا عند أبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي المتوفى سنة ثلاث عشـــرة ومئتين للهجرة الذي نبه في مقدمة كتابه مجاز القرآن على

---

(١٠٣) فن الشعر : ارسطوطاليس ص ٥٨ .

سبعة وثلاثين (١٠٤) نوعاً ثم أخذ يلتمس ما نبه عليه بين دفتي القرآن الكريم في ضوء منهج استقرائي لا يتعثر بمنطق كلي ولا ينزوي بين مقولات عامة كما يتمثل لدى علماء البلاغة الذين رتبوا مباحث المجاز وصنفوها على مجاز مرسل ومجاز عقلي ومجاز بالاستعارة ، فأتاحوا بذلك للادباء المجال رحباً ليصوغوا المجاز الفني لأدنى ملابسة .

لقد افاض القرآن الكريم في وصف أضرب القول وألوانه محدداً لكل لونٍ وضرب مصطلحاً يؤدي عنه : من ذلك مصطلح المعروف في قوله تعالى : « قول معروف ومغفرة خير من صدقةٍ يتبعها أذى والله غني حليم » (١٠٥) ومصطلح الاعجاب في قوله تعالى : « ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألدُّ الخصام » (١٠٦) .

ومصطلح السديد في آية « وليخشَ الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً »(١٠٧) .

ومصطلح البليغ في آية «اولئك الذين يعلمُ الله ما في قلوبهم فأعرِض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً » (١٠٨) ومصطلح الأصدق في قوله تعالى : « والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جناتٍ تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبداً وعد الله حقاً ومن أصدقُ من الله قيلاً »(١٠٩)

ومصطلح العجب في قوله تعالى : « وان تعجب فعجبٌ قولهم أإذا كنا

---

(١٠٤) راجع مجاز القرآن لابي عبيدة جا/ص٨ و ص ٩ .
(١٠٥) سورة البقرة الآية ٢٦٣ .
(١٠٦) سورة البقرة الآية ٢٠٤ .
(١٠٧) سورة النساء الآية ٩ .
(١٠٨) سورة النساء الآية ٦٣ .
(١٠٩) سورة النساء الآية ١٢٢ .

تراباً إءِنا لفي خلق جديدٍ أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في اعناقهم واولئك اصحاب النارهم فيها خالدون » (١١٠) ومصطلح الكريم في آية : « وقضى ربك الا تعبدوا إلا اياهُ وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً » (١١١)

ومصطلح الميسور في الآية « وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمةٍ من ربك ترجوها فقل لهم قولاً ميسوراً » (١١٢) .

ومصطلح الثابت في قوله تعالى : « يثبت اللهُ الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء »(١١٣) .

ومصطلح اللين في آية : « فقولاً لهُ قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى»(١١٤)

ومصطلح المرضي في قوله تعالى : « يومئذ لا تنفع الشفاعةُ إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً » (١١٥) .

ومصطلح الطيّب في آية : « وَهُدُوا إلى الطيّب من القول وهدوا إلى صراط الحميد » (١١٦) .

ومصطلح الأحسن في قوله تعالى : « الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم اللهُ وأولئك هم أولو الألباب » (١١٧) .

---

(١١٠) سورة الرعد الآية ٥ .
(١١١) سورة الاسراء الآية ٢٣ .
(١١٢) سورة الاسراء الآية ٢٨ .
(١١٣) سورة ابراهيم الآية ٢٧ .
(١١٤) سورة طه الآية ٤٤ .
(١١٥) سورة طه الآية ١٠٩ .
(١١٦) سورة الحج الآية ٢٤ .
(١١٧) سورة الزمر الآية ١٨ .

ومصطلح الثقيل في آية : « إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً »(١١٨) .

ومصطلح الفصل في قوله تعالى : « انهُ لقول فصل » (١١٩).

فهذه خمسة عشر مصطلحاً تتناول مضمون القول وشكله سلباً وايجاباً وتبين المدى الرحب الذي يستطيع الأديب الانطلاق بخياله في آفاقه ولا يتوقف عند لونٍ دون لون أو يقتصر على ضرب دون سواه ، فيكون بذلك إلى جانب اتساع أساليب الصياغة متملكاً ازمام التعبير الفني السلس من غير عائقٍ من التقنين ومن غير عثرة من التفلسف الصوري .

والحقيقة أن نظرية الأدب العربي حين تلقت الأثر القرآني وخضعت لسلطان منهجه كانت متهيئة لذلك قبل ظهور الاسلام :

فالمقرر الثابت ان هذه النظرية قد ولدت بين الناس في الاسواق التجارية والمواسم الاقتصادية والأندية الاجتماعية التي كان يعرض فيها فن القول العربي منظوماً ومنثوراً ويجري تقويمه على أنه نشاط اجتماعي له مساس مباشر بحياة الانسان السوي واه علاقة بشؤون مجتمعه .

وهكذا فقد وصلت إلينا في هذا المناخ الواقعي طائفة من الأحكام النقدية والنظرات التقويمية منسوبة إلى شعراء بأعيانهم وصادرة عن حكام معروفين تاريخياً : كانوا يتذوقون الأدب ويفهمون أسراره فتناولوه ألفاظاً ومعاني وأنماط .

أما نظرية الأدب لدى الأغريق فانها قد فتحت عينيها في الأجواء الميثولوجية الاسطورية ؛ إذ المعروف أن أعياد المسرح الاغريقي الاثيني تقترن بشكل خاص بعبادة دايونيسوس في اثينا .

ومنها عيدان رئيسيان تمثل فيهما المسرحيات ، وهما عيد لينيا في اواخر

---

(١١٨) سورة المزمل الآية ٥ .

(١١٩) سورة الطارق الآية ١٣ .

كانون الثاني وعيد دايونيسيا في نهاية آذار...

وقد اقترن عيد لينيا بشكل خاص بالمسرحيات الكوميدية (الملهاة) في حين اختص عيد دايونيسيا بالتراجيديات (المأساة) (١٢٠)

وكانت حكومات اثينا تنظم مسابقات في هذه الاعياد وتؤلف اجاناً في كل لجنة عشـــرة أعضاء من المحكمين خاضعين في تحديدهم لنظام الاقتراع وكانت تمنح الجوائز للفائزين من الشعراء والممثلين بخمسة أصوات تختار من بين هؤلاء العشرة على أساس الاقتراع ايضا . والاحكام التي كانت تصدر من هذه اللجان لم تكن مسببة ومعللة من الناحية الفنية وكان يقلل من قيمتها في النقد نظام الاقتراع الخاضعة له ، على أن الجماهير كانت تؤثر في المحكمين بصيحاتهم وضوضائهم ومن الثابت تاريخياً كذلك أن الرشوة كانت تقدم أحياناً إلى هؤلاء المحكمين .

ومن هنا فان هذه الاحكام – بالاضافة إلى اجوائها تلك – لم تكن بأي حال من الاحوال علمية تمس ركناً من أركان الأدب المسرحي الاغريقي . ينعقد رأي بعض المؤرخين على أنه عند شـــعراء المسرح اليوناني – وبخاصة مؤلفي الملهاة منهم منذ القرن الرابع قبل الميلاد – اولى محاولات النقد الأدبي الاغريقي الجدية .

ولعل أعظم ما وصل إلينا منها شأناً – في رأي اولئك المؤرخين – ما نراه عنـــد شاعر الملاهي المسرحيـــة (أرستوفانيس) (٤٤٨ – ٣٨٠ ق .م في مسرحيته « الضفادع »، وقد مثلت لأول مرة حوالي عام ٤٠٥ ق .م) ، وموضوعها سخرية للمؤلف من شاعر المآسي المسرحية (يوربيدس)... وفي هذه الملهاة نرى رحلة (ديونيسوس) إله المسرح عند اليونان إلى الدار الآخرة

(١٢٠) راجع كتاب مدخل الى تاريخ الاغريق وأدبهم وآثارهم : تاليف آبتري ترجمة الدكتور يوئيل يوسف عزيز ص٩٧ مطبعة جامعة الموصل ١٩٧٧ .

رهاديس – ليعيد إلى الحياة يوربيدس) بعد موته (١٢١)

وعليه فان هذه المحاولة النقدية التي تعرض في المسرح الاغريقي مضموناً وشكلاً تتشكل ملامحها الجوهرية بعيداً عن المجتمع البشري وقواعد العلم لتقنع الباحث المنصف بما أشرنا إليه من خضوع نظرية الأدب الاغريقي اشطحات الاسطورة وتركها الزمام للغيبيات .

لذلك فان نظرات افلاطون ومن جاء بعده في تحديد مصدر الشعر وبيان قيمته وتمثل دوره قد جرت في المجرى نفسه كما رأينا .

تتجسد هذه المفارقة بين نظرية الأدب الاغريقي ونظرية الأدب العربي في آي الذكر الحكيم التي ألمحت إلى مسألة أو أخرى من مسائل هذه النظرية في جانبها التطبيقي العملي والعلمي .

فقد تناولت هذه الايات الكريمات موضوعات من تلك النظرية كما توارثها العرب قبل ظهور الاسلام وتعارفوا عليها نشاطاً اجتماعياً سوياً وتجنبت كل التجنب ربطها بالأمور الغيبية وتبدو هذه الحقيقة في إدارة تلك الايات لمصطلحات من مصطلحات علوم البلاغة العربية التي تكاملت أصولها وقواعدها خطوة فخطوة بين يدي القرآن الكريم وللتدليل على أعجازه وفقه سوره واتقان الأدب العربي الذي ظل يستمد منه منذ نزوله وحتى ما شـــاء الله من الزمن السرمدي .

من هذه المصطلحات مصطلح البلاغة التي تكررت مادتها في آيات كثيرات وترددت فعلاً مجرداً وفعلاً مزيداً ومصدراً واسم مصدر وأسم فاعل وصفة مشبهة .

ومما يعنينا من هذه المادة مصطلح البلاغ في قوله تعالى : « إن في هذا

(١٢١) راجع كتاب النقد الادبي الحديث : تاليف الدكتور محمد غنيمي هلال ص ١٨ الطبعة الخامسة ١٩٧١ ـ مكتبة الانجلو المصرية .

لبلاغاً لقوم عابدين» (١٢٢) .

وعند المفسرين البلاغ (الاشارة إلى المذكور في هذه السورة من الأخبار والوعد والوعيد والى المواعظ البالغة والبلاغ الكفاية وما تبلغ به البغية »(١٢٣) .

ومعنى هذا ان لفظة البلاغ التي أنثت عند علماء البلاغة للمبالغة والتوكيد أتت في القرآن الكريم ابان فترة الوحي بمداول مضمون القول وشكله المتحدين لتحقيق غرضين هما: الافهام والتأثير . وهذا المداول بلا شك هو جوهر مقاصد علوم البلاغة العربية ومدار أبوابها وأقسامها التي هي علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع .

ومما يوثق رأينا هذا ويسوغهُ مصطلح البليغ الذي ورد في قوله تعالى : « أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً » (١٢٤) .

فالثابت ان علماء البلاغة قد تلقفوا هذا المصطلح من القرآن الكريم واداروه صفة للمتكلم أو نعتاً للكلام فقالوا رجل بليغ وكلام بليغ ومن تلك المصطلحات مصطلح أفصح من مادة الفصاحة وهو مصطلح ورد في القرآن الكريم صفة لسلامة آلة النطق وقوة العارضة ووضوح التلفظ وما إلى ذلك من الصفات المقررة في كتب البلاغة مميزات للرجل الفصيح وقد ورد هذا المصطلح في قوله تعالى : (وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي رِدءاً يصدقني إني أخاف أن يكذبونِ) (١٢٥) .

فكلمة أفصح في هذه الآية الكريمة المسندة إلى هارون تصورهُ قادراً بلسانه

---

(١٢٢) سورة الانبياء الآية ١٠٦ وانظر سورة ال عمران الآية ٢٠ .
(١٢٣) تفسير الكشاف ج٣/١٣٨ .
(١٢٤) سورة النساء الآية ٦٣ .
(١٢٥) سورة القصص الآية ٣٤ .

على تصديق أخيه موسى وهذه القدرة – من غير شك – تمثل ملكة التعبير والتحقق من أثر فن القول .

وأياً كان فإن علماء البلاغة قد أقتبسوا مصطلح البلاغة ومصطلح الفصاحة من القرآن الكريم وقلبوهما في مباحثهم عصراً بعد عصر حتى أقاموهما علمين في بنية نظرية الأدب العربي وأجروا بينهما مفارقات تحدث عنها أبو هلال العسكري قائلاً : (تكون الفصاحة والبلاغة مختلفتين ؛ وذلك أن الفصاحة تمام آلة البيان فهي مقصورة على اللفظ ؛ لأن الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى ، والبلاغة انما هي إنهاء المعنى إلى القلب فكأنها مقصورة على المعنى » (١٢٦) .

وربما يكون هذا الحديث أقل شمولاً من حديث ابن سنان الخفاجي الذي فصل البحث في فصاحة الكلمة المفردة وبين شروط الكلام الفصيح ومميزات المتكلم الفصيح ، ولكنه على أية حال يمثل اقتفاءاً واضحاً لمعنى تلك الآية الكريمة وتقيلاً لمضمونها .

ويأتي مصطلح البيان فى القرآن الكريم لينضم إلى مادة البلاغة والفصاحة ويمد العلماء بالملامح العامة للعلم الثاني من علوم البلاغة فقد ورد هذا المصلح بمعنى الايضاح وحل الإشكال في قوله تعالى « فإذا قرأناه فاتّبع قرآنه ثم إن علينا بيانه » ١٢٧ .

وربما تستوي كلمة البيان هنا بمعناها اللغوي الحقيقي في اللسان العربي .

بيد أنها تتسع عن هذا المعنى في الاتجاه نفسه وذلك في قوله تعالى : « هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين » (١٢٨) .

---

(١٢٦) الصناعتين تصنيف أبي هلال الحسن بن عبدالله العسكري ص ٨ الطبعة الاولى ١٣٧١ هـ – ١٩٥٢ م .

(١٢٧) سورة القيامة الآيــة ١٨ و ١٩ .

(١٢٨) سورة ال عمران الآيــة ١٣٨ .

فالبيان ها هنا معناها بإيضاح لسوء عاقبة ماهم عليه من التكذيب ، يعني : حثهم على النظر في سوء عواقب المكذبين قبلهم والاعتبار بما يعاينون من آثار هلاكهم (١٢٩) .

ويقين ان الايضـــاح مع الحث والاعتبار الوان تلتقي في مصطلح البيان ليدل على التفنن في أساليب التعبير والتنوع في انماطه تحقيقاً لهذا تلاعتبار وذلك الحث .

ومما يعنينا من مصطلح علم البيان القرآني أنه يقترن بمصطلح التعليم في قوله تعالى : « الرحمن * علمَ القرآن * خلقَ الانسان * علمهُ البيان » (١٣٠)

وفي هذا – بلا ريب – برهان لايرد على ان ملكة البيان تتجسد في نظرية الأدب العربي مجموعة من الامكانات البشرية وطائفة من القدرات الآدمية التي تمكن المخلوق من ايضاح ماعنده من الأحاسيس والافكار بشكل يحقق غايتي الافهام والتأثير.

وعليه فإن هذه النظرية العربية حول الأدب تمتاز بفضل القرآن الكريم عن النظرية الأغريقية حول الأدب بأسسها الواقعية العلمية .

لقد استند علماء البلاغة العرب تلى هذه الأسس ففصلوا مباحثهم البيانية في ضوء استقراء آي الذكر الحكيم والنماذج الرفيعة للأدب العربي وشخصوا الأساليب المتعددة التي تتعاور على المعنى الواحد لتؤديه تشبيهاً ومجازاً واستعارة وكنايةً وتعريضاً .

أما العلم الثالث من علوم البلاغة العربية الذي هو علم البديع فقد ورد مصطلحه في آية « بديع السموات والارض وإذا قضى أمراً فإنما يقولُ له

(١٢٩) تفسير الكشاف جا/٤١٨ .

(١٣٠) سورة الرحمن الآيــة ١ و ٢ و ٣ و ٤ .

كن فيكون » (١٣١) .

وبدهي أن لفظة البديع في هذه الآية الكريمة لا تمت الى مدلولها الاصطلاحي بصلة مباشرة لأنها من قولهم بدع الشيء فهو بديع ، كقولك بزع الرجل (١٣٢) فهو بزيع .

و(بديع السموات) من إضافة الصفة المشبهة الى فاعلها أي بديع سماواته وارضه . وقيل البديع بمعنى المبدع (١٣٣) . بيد أن الزمخشري قد أجراه صفة للشعر حين فسر قوله تعالى : « بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكنْ له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيءٍ عليم » (١٣٤) .

ومن هنا فمما لامراء فيه ان لفظة البديع القرآنية هي التي هدت علماء البلاغة إلى أن يتخذوها مصطلحاً للعلم الذي يدرس المحسنات اللفظية والمعنوية من بين علوم البلاغة الثلاثة التي تكاملت في العصور المتأخرة .

ومهما يكن فلعلنا نلحظ جلياً أن علوم البلاغة العربية التي تستوي نقداً تطبيقياً في النظرية العربية حول الأدب تستمد مقوماتها من القرآن الكريم لتنضم الى سائر المصطلحات القرآنية التي حللناها مؤدية عن فنون الأدب قولاً وشعراً وسجعاً ومنثوراً وكلمة وقصة وخطابة ورسالة وكتاباً .

وفي ضوء هذا التحليل يمكننا أن نسترجع هنا ماأشرنا اليه من جوانب النظرية الأغريقة عن الأدب ونثبت اربع نتائج :-

اولاها : أن النظرية العربية والنظرية الأغريقية حول فن الأدب تتباينان

---

(١٣١) سورة البقرة الآية ١١٧ .
(١٣٢) (بزع الرجل) بزع بالزاي كظرف وزنا ومعنى .
(١٣٣) راجع تفسير الكشاف جـ١/١٨١ .
(١٣٤) سورة الانعام الآية ١٠١ .

كل التباين في تحديد مصدر هذا الفن الآدمي وبيان قيمته وتشخيص أهدافه .

وثانيتها : أن النظرية العربية حول الأدب تستمد أصولها من المجتمع العربي قبل ظهور الاسلام وتترسخ قواعدها في ضوء آياتٍ من الذكر الحكيم أشارت الى جمهور ملامحها وأرشدت العلماء العرب والمسلمين للتصنيف فيها نقداً وبلاغة .

وثالثتها : أن مايزعم من التأثير الأغريقي أو سواهُ في النظرية العربية حول الأدب تدحضه آي الذكر الحكيم وتبرهن على بطلانه نصوص وشذرات من الكتب التي يصور بعضهم مؤلفيها تلاميذ لأرسطو طاليس .

ورابعتها : أن التخبط الذي نلمسه في الأدب العربي ودراسته تاريخاً ونقداً وبلاغة لايمكن علاجه إلا بمنهج تاريخي علمي موازن يبدأ بتحليل آيات من الذكر الحكيم ويستشرف خلفيات هذه الآيات فيما وصل إلينا من روايات صحيحة عن هذه المسائل من عصر ماقبل ظهور الاسلام .



اللغة والشعر

الدكتور نوري حمودي القيسي

كلية الآداب ـ جامعة بغداد

رئيس معهد البحوث والدراسات العربية ـ بغداد

للغة العربية تاريخ طويل وعريق يمتد الى ازمان موغلة في القدم ، قدم الشعب العربي الذي حفظ لهـا خصائصها المميزة ، واستجاب لقدرتهـا في التطور ، ووهب لها من قدرته ما جعلها لغة دقيقة وقادرة ومستوعبة . ومكّنها من المشاركة في التعبير عن أحاسيسه وفكره بشكل دقيق وليس المجال في هذه المحاولة مجالاً لامتحان عراقة اللغة أوسبر اغوارها أوالوقوف عند مقارنتها باخواتهـا السامية وغيرها من اللغـات التي بقيت تعبر عن مشاعر الشعوب وتستجيب لنزعاتها المختلفة وتبرز انماط فعالياتها ، لأن المعروف في هذا المجال أنه لا يمكن ان تكون الحصيلة التي انتهت اليها اللغة إلا ثمرة من ثمار اجيال طويلة تعاقبت على استخدامها ، وواصلت تطوير أساليبها حتى اكتملت لغة متمكنة ومتميزة . تحفل باحكام الأعراب ، وتتميز بصيغ المشتقات . وتعرف باوزان الجموع المختلفة . وتحفل بالاوزان القياسية وتأخذ الحروف معانيها في الاستعمال ، والأفعال أزمانها في المباشرة والتحديد . ومن المعروف ان اللغة العربية التي استخدمها العرب قبل الإسلام كانت تمثل التوحد الفكري والعقيدي والثقافي بعد ان اصبح الناس ينهجون نهجها ، ويبتعدون عن بعض اللهجات التي بقيت عالقة بلغة التخاطب والاستعمال وهي محاولة أولى من محاولات الاحساس بالشعور الموحد الذي

يدخل الى نفس المتخاطبين حالة الارتياح والتواصل والتعاطف ، ولعلّ انتشار الاسواق وتجمع الشعراء والخطباء واقبال الناس من اطراف الجزيرة بمواسم تجارية وثقافية ولقاءات قومية تتقارب فيها المشاعر وتعرب النفوس عن دواخلها وتتقاسم همومها واحداثها . واقترانها بالاشهر الحرم التي يمنع فيها سفك الدماء وتناسي الاحقاد واسكات اصوات الشر ، كل هذه العوامل شاركت في خلق الجو المناسب لحياة فكرية موحدة ، وايجاد صيغة من التعامل الاخوي الذي تثيره العبارة الموحدة والفكرة المشتركة والصورة المتفق عليها .

وبقيت اللغة قادرة على تجديد مزاياها كلما احيطت بدراسة مستفيضة وتحليل مدروس وتعليل مقبول واجتهاد صائب ، وليس غريباً ان تقف الدراسات اللسانية والصوتية ومنذ العصور الأولى مبهورة امام عطائها الثر ، واسرارها الخفية ، وخصائصها الذاتية وان كثيراً من هذه الوجوه التي ظلت في نظر الباحثين شذوذاً أو نقصـــاً أو حاروا في تعليلهـــا كانت تكشف عن مزايا في اصولهـــا ، وخفـــايا مستقرة في جذورها ، ولوازم لا يمكـــن أن تكون بعيدة عن اسلوبها في الحديث أو الاستعمال .

فاللغة العربية كانت محوراً مركزاً من محاور التوحد ومقدمة من مقدمات الرسالة الإسلامية التي بشر بها الرسول الكريم صلوات الله عليه وفي الآية الكريمة « انا انزلناه قرآناً عربياً » [1] اشارة واضحة الى اعتماد اللغة العربية في مخاطبة العرب بلسان يعرفونه وأسلوب يألفونه وصور تعودوا على سماعها وصيغ استقرت اشكالها في استعمالهم ، وهي اللغة التي نظم بها الشعر وكتبت فيها القصائد الطوال ، وهي سليلة مجد لغوي عريق ، وامتداد ثقافي موغل في القدم ، ثبتت جذورها في الوجدان ، وترسخت قواعدها في البنية التكوينية ، واللغة العربية لغة قومية ، وعنصر اساسي لهويتها الثقافية ومظهر من مظاهر

(١) القرآن الكريم . سورة يوسف الآية (٢) .

تجلّي عبقريتها الخاصة في مراحل تاريخها واكبت ابداع الفكر العربي واستوعبته عبر هذا التاريخ الطويل واحسنت التعبير عن اوضاعه في مختلف الاجواء والتقلبات وعاشت وجوهاً من الصراع . واذا كانت فضائل اللغة العربية واضحة في الاستخدام المتنوع والتعبير الدقيق فان الحسّ الشعري الذي توافرت له الشروط العروضية الاخرى كان فناً متكاملاً آخر احكمتْ فيه اللغةُ صياغتَها ، وهيأت له تراكيبها .

والمعروف ان الشعر العربي تتداخل في صياغته اعداد التفاعيل والقافية والوزن وتلاحظ هذه العناصر في بحوره وابياته وهو ما تميزت به اللغة العربية فأصبح خاصيةً من خواصها ، ولوناً من ألوان قدرتها التعبيرية لارتباطها بالموسيقى اللفظية التي تؤديها مخارج الحروف والحركات الاعرابية التي تولدها تراكيب الكلمات ومقاطع الجمل واشكال النهايات فكان الشعر الذي تمثلتْ فيه مشاعر الناس منذ الأزل ووجدوا في اغراضه استجابة لنزعاتهم ، وتنفيساً عن هواجسهم وقد وُهب هذا الشعر من الاوصاف ما مكّنه من الاستعانة باجزائه عن كل حركة وباوزانه عن كل محاولة للاستعانة بايضاح التعبير أو التدليل عن الغرض أو تجسيد الفكرة ، وهو ما نراه في كثير من الاناشيد والاغاني والقصائد . فالأيقاع النغمي الثابت ، والاستمرار في الضغط على المقطع والوقوف عند حدود النهايات المختومة بالحرف أو الحرف والحركة أو الحرفين أو الثلاثة قد مهدت أمام الصوت فسحة للامتداد ، ومساحة للتعاقب والارتداد أو الاهتزاز . وهو ما نراه في اللزوميات التي تُصبح في بعض الأحيان تراتيل متوافقة ، وانغاماً متلاحقة تسحر القارئ عند قراءتها وتسبغ عليه من مقاطعها ما يجعلها قريبة من الأدوار الغنائية الرتيبة . وربما كان اختيار الشعراء للاوزان الطويلة وخاصة فيما يتعلق برواية الخبر المستفيض والحكاية المثيرة ، والواقعة التي توجب التفصيل في الجزئيات والحديث عن السيرة والملحمة من الأسباب التي حفظت لنا هذا الايضاح الذي ظل

يعطي ايقاع التغني بالمأثور التاريخي حجمه المطلوب ، ويحمل المستمع الى الانصات والاصغاء كما ينطوي تحته هدوء (التفعيلات) وتتوالى في اوزانه امتدادات الاصوات ، وانفساح الصورة المعبرة عن كل الدقائق المطلوبة في الحديث ، ورحابة الوزن التي وَسِعت كل المعاني المتداخلة وتركت المجال للتفكير يتداخل في تراكيب الصور المتراكمة من خلال هذه الرحابة والرتابة .

فالشعر له لغة حيّة ، تتوافق فيه المفردات ايحاءً ، وتنسجم تعبيراً لتأخذ مداها في تحديد الصورة وتوثيق الجانب الفني المعبر عن الدواخل النفسية الموحدة ، وتحتفظ الفاظه بمواصفات لا نراها في الحديث النثري ، فتظل دفقاتها تتكرر في قنوات المشاعر ، وتندفع عبر سلسلة السنين الطويلة لتحمل الود والاحساس والعواطف وتنقل الآمال والمطامح . وهي في كل مرة تعبر عن حالة ، وتوحي بمظهر وتؤكد صورة ، وقد مُنحت الاوزان العروضية قدرة على التعبير المتميز عند اجتماع التفعيلات ، وتوحُد المقاطع المتقاربة وايحاءات الانغام المقترنة بالعواطف والمصحوبة بالسلاسة والاضطراد .

فالوزن الشعري واللغة الشاعرة واللفظة المختارة تخلق الجو المناسب ، وتلهم الانسان احساساً متميزاً ، وتثير في دواخله ما يحمله على التعبير باشكال من الحركات ، والوان من الاشارات والترنم بما ينسجم مع الحالة الشعورية المثارة ، والظاهرة الانسانية المناسبة .

إن المقولة التي تؤكد ارتباط الغرض بالوزن لا يمكن أن تكون مقبولة في جمع الأحوال ، لأن الايحاء الذي تخلقه الحالة الحسيّة لا تقيِّدها في المرحلة الاولى قيود محدّدة ، ولا تحول دون التعبير عنها اوزان لها صياغات تتوافق وقدرة التعبير أو جوانب التأثر أو توافق النغمة ، لأن الانسان عندما تُلمُّ به حالة لها جوُّها المناسب ، ويتعرض لهزة عاطفية أو تأثرية وعندما تتحول العواطف الى موسيقى شعرية وألفاظ تعبيرية ، ومقاطع لها دلالاتها في نفسه

لا يمتلك هذا الانسان فرصة الانتظار للموازنة بين الحسّ والوزن وبين التعبير المتدفق والحالة الحادة وبين البحر الذي يستغرق تدفق هذه العواطف ، ولا يقدر على وضع نفسه في موضع الامتحان الذي يترك له الخيار في انتقاء القافية التي يريدها واهمال الأخرى التي لا يجد فيها جدوى التعبير المناسب ، وهي حالة يعرفها الشعراء وهم يعانون التجربة ، ويخوضون غمّار الاندفاع وراء اقتناص العبارة التي تستوعب عمق التجربة ، وتكون قادرة على تمرير هذا السيل الذي تراكم عاطفة ، واندفع حسّاً ، وتداخل صوراً وتراكيب ، وهي انسيابية منتظمة تتوالى فيها هذه المراحل المنتظمة التي أصبحت في عُرف الشاعر قاعدة لا تُخالف ، وحالة لا تتبدل ، واسلوباً من النمطية المتزنة في المعادلة الشعرية الصادقة . إن هذه الحالة هي التي تفرض نفسها على التجربة وتدفعها الى أن تأخذ المجرى المهيّء لها في العُرف الشعري . وهي التي خلقت الأعمال الجليلة ، والأبداع الفني المتميز ، والقصائد الخالدة التي عرفها الأدب العربي عِبرَ تاريخه الطويل .

وربما كانت بعض القصائد التي عُرفت في سياق المراحل التاريخية بموافقتها لأوزان معينة أو قواف محدّدة قد اثّرت في الحالة النفسية التي يعانيها صاحب التجربة الشعرية ، ووقعت في نفسه بايقاعاتها ووزنها وقافيتها وصورها موقعاً له دلالته ، وله تأثيره المباشر فتأتي التجربة الجديدة حافلة بالجوّ الذي تركته التجربة الأولى ، وتكون الحالة الثانية صدى للحالة الأولى ، ويُصبح الشاعر المتقدم هو المبدع ، وتتهاوى بقية التجارب الشعرية في دائرة الشهرة التي اكتسبتها القصيدة الأولى ، وهذا ما نراه فعلاً في بعض القصائد المشهورة في رثاء النفس كما هو الحال في قصيدة عبد يغوث بن وقّاص الحارثي ومطلعها [٢] .

ألا لا تلوماني كفى اللّوم ما بيا ... وما لكما في اللّوم خيرٌ ولا ليا
أيا راكباً إمّا عرضتَ فَبَلِّغَنْ ... نداماي من نجران أَلاّ تلاقيا

(٢) المفضل الضبي . المفضليات ١/١٥٤ — ١٥٥ .

جزى الله قومي بالكلاب مَلاَمَةً صَريحـُهم والآخرين المـواليا
أقول وقد شدّوا لساني بنسعةٍ أمعشرَ تيم أطاقوا عن لســانيا

الى أن يقول [٣] :

وتضحكُ منّي شيخةٌ عبشميّةٌ كأن لم ترَ قبلي أسيراً يمـانيا

وتأتي قصيدة مالك بن الريب التي دخلت بعض أبياتها في مداخل الاساطير ، واختلطت بنوازع النفس وهي تعاني الموت والغربة ، وتتوزع بين الشـوق والبعاد ، فتتناوح أصداء الحياة القاسية دفقات شعرية متناغمة ، وتتوالى صيحات الفروسية والبطولة اصداءً متباعدة في متاهات الغُربة والحنين . تأتي هذه القصيدة لتشترك في النغم الأيقاعي الموحد لقصيدة عبد يغوث ، وتتداخل في لحن العزيف المترامي فوق ساحة الموت المحدق [٤] .

ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلةً بجنب الغضا أُزجي القلاص النواجيا
فليت الغضا لم يقطع الركبُ عرضَهُ وليت الغضا ماشى الركاب لياليا
لقد كان في اهل الغضا لو دنا الغضا مزارٌ ولكنّ الغضا ليس دانيـا

وتأخذ أصداء هاتين القصيدتين بتلابيب الشاعر أفنون التغلبي ، فتندفع عواطفه حادّة ومريرة لتصب في هذا المجرى الذي تدفقت في طواياه عواطف عبد يغوث ومالك بن الريب ، فتأتي ابياته التي تدخل في اطار حدث الموت ومواجهته متوافقة وزناً وقافية وغرضاً فيقول [٥] :

ألا لستُ في شيءٍ فَروحـاً معاويا ولا المشفقاتُ إذْ تَبِعْنَ الحوازيا
لعمرك ما يدري امرؤ كيف يتقي إذا هو لم يجعل لــه الله واقيـا

ويستمر نفس الشاعر بهذه الانغام الحزينة التي اعطت هذا الضرب من القصائد رتابة الحزن المؤلم ، ورنّة الموت الشجية . ويقف جعفر بن عُلبة الحارثي

---

(٣) المفضل الضبي . المفضليات ١/١٥٦ .
(٤) شعراء امويون . القسم الأول /٤١ .
(٥) المفضل الضبي . المفضليات ٢/٦١ .

حفيد عبد يغوث بن وقّاص ليستذكر في أبياته فاجعة موت جده وهو ينوح ويتحسس قسوة الغربة التي عاشها وهو يجود بنفسه فاندفع ليكون في ذات التيار ويُصبح في نفس اللوّامة المريرة فيقول [٦] :

ألا لا أُبالي بعد يوم ٍ بسَحْبَل ٍ اذا لم أُعذّبْ أن يجيءَ حِماميا
تركتُ بأعلى سَحْبل ٍ ومَضَيقه ِ مُراقَ دم ٍ لا يبرحُ الدهرَ ثاويا
أحقاً عبادَ الله أن لستُ راتعاً صحاريّ نجد ٍ والرياحَ الذواريا
ولا زائراً شُمَّ العرانين أنتمي الى عامر يَحْلُلْنَ رَملاً مُعاليا
إذا ما أتيتَ الحارثيات فانْعِني لهُنّ وخبّرهِنّ أن لا تلاقيا

لقد أدّى هـذا النفس الشعري الواحد ، والتأثر الذاتي والانسجام النمطي في العاطفة الى تداخل القصائد واختلاط الأبيات ، وتدافع النسبة بينها وبين كثير من القصائد التي جاءت على هذا الوزن والقافية والغرض ، وهو تدافع قديم وتداخل عناصر المراحل الأولى من مراحل الأدب ، وان هذه الشهرة التي اكتسبتها قصائد عبد يغوث أو مالك بن الريب أو أفنون أو جعفر بن عُلبة أو غيرهما من الشعراء لا تعني أن قصائد الرثاء ذات القوافي اليائية المطلقة أصبحت اوزاناً صالحة للرثاء ، لاننا نعرف أن الشعر العربي قد استغرق هذا البحر والقافية في قصائد كثيرة عبّر فيها الشعراء عن اعجابهم بممدوحيهم ، وتحدثوا عن لواعج الشوق وما عانوه من فُرقة الأحبة ، ووجدوا فيه مسارب للتنّفيس عن كُربهم وهمومهم وضياع الوفاء في عصرهم واغترابهم .

وتكشف لنا فهارس الدواوين عن دخول معظم الأغراض تحت ظل هذه القافية والوزن ، وما أقوله في هذا الوزن يمكن أن أقوله في بقية الأوزان والأغراض التي حُشرت فيها أو وُضِعت لها ، لأن الأحساس بهذه النظرة ، والايمان بهذه المقولة تجرُّ على الشعر العربي نزعة التعقيد التي لا يمكن أن

(٦) او تمام . الحماسة (المرزوقي) ١/٣٥٦-٣٥٧ وفي روايتها وعدد ابياتها اختلاف .

تحصر فيها المشاعر ، وتُخضعهُ الى رتابة الصنعة التي تقتل فيه الأبداع الفنّي ، وتُصلّب في شرايينه تدفق الحياة الذي ظل نابضاً بها طوال حياته المديدة .

واذا كانت بعض المقولات قد حدّدت هذا الاتجاه ، وانتهت الى النتائج أو المُسلّمات فانني اعتقد أن الباحث المتأمل يجب ان يكون حَذراً في قبول هذا الرأي ، ومُتأنّياً عند التحدّث عنه ، لأسباب كثيرة منها ما يتعلق بعدم وجود إحصائية دقيقة تعطي هذا الأتجاه صحته في الدقة ، وتقدم للباحث كشفاً بما انتهت اليه كلُّ قافية ، وكلُّ وزن وكلُّ غرض ومدى الجودة التي اكتسبتها القصيدة في مسيرتها ومكانتها في موازين النقد وقبولها في التقويم النقدي ، وهذا وحده يمكن أن يكون بدايةً لدراسة تحليلية للمقولة التي يمكن أن تقال في هذا الباب ، أو اعتمادها اساساً في الدراسة ، لأن الذهابَ وراءَ هذه المقولات دون الوقوف على أصولها والقول بها دون التأكد من صحتها توقع الباحثين في مزالق خطيرة ، وتدفعهم الى أن يبنوا احكامهم على وفق اعتبارات غير منطقية، وهذا ما جرى العُرف عليه حتى اوشكنا أن نُعدَّ هذا الحديث من باب الأمور التي انتهت المناقشة بشأنها وأصبحت من البديهيات المعروفة ويبقى الشعراء في هذه الحالة مجرد أشخاص يُحسنون اقتناص الوزن المناسب الذي يجدون فيه ملاءمة ليحصُروا مشاعرَهم ويُسرّبوا من خلاله احاسيسهم .

وقد حاولت ان اقف عند وزن شعري تنتهي قافيته براء مضمومة ونظم فيه مجموعة من الشعراء وكانت قصائدهم على الرغم من اختلاف اغراضها متميزة وخالدة . . فأبو صخر الهذلي له قصيدته التي يقول فيها [7] :

أما والــذي ابكى واضحك والذي	امات واحيا والذي أمـره الأمر
لقد تركتني أغبطُ الوحش أن أرى	أليفين منها لا يَروعُهُمـا الذُّعر

(٧) ابو صخر الهذلي . شرح أشعار الهذليين ٢/٩٥٧ .

وصِلتُك حتى قُلتِ لا يَعرف القِلى ... وزُرتُك حتى قُلت ليس له صبرُ
صَدَقتِ أنا الصبُّ المُصابُ الذي به ... تباريحُ حبّ خامرَ القلبَ أو سحرُ
فيا حبذا الأحياءُ ما دُمتِ حيّةً ... ويا حبذا الأموات ما ضَمّكِ القبرُ

الى ان يقول (٨) :

ويا حُبّها زِدني جوًى كُلَّ ليلةٍ ... ويا سَلْوَةَ الأيامَ مَوعِدُكِ الحشرُ
عجبت اسعي الدهر بيني وبينها ... فاما انقضى ما بيننا سكن الدهرُ

وهي قصيدة لها صداها في نفوس المتذوقين من عشاق الأدب والدارسين الذين وجدوا في ابياتها عاطفةً لا تخبو وحالة لا تنتهي وصورةً لاتفنى ، فعلقت في النفوس ابياتاً خالدة ، وعاشت في القلوب حالة مستديمة يستشهد بها العشاق كل ما وجدوا المجال للاستشهاد لازماً والمرحلة لاختيار الابيات مناسبة . . . وينظم ابو تمام قصيدته في رثاء محمد بن حُيمد الطائي التي مطلعها . . . (٩)

كذا فَلْيَجِلَّ الخطبُ وَلْيَفْدَحِ الأمْرُ ... فليسَ لَعيْن لم يَفضْ ماؤها عُذْرُ
توفيت الآمالُ بعدَ مُحَمَّدٍ ... وأصبح في شُغْلٍ عَن السّفر السَّفْرُ
فتى كُلَّما فاضت عُيونُ قبيلة ... دماً ضَحِكَتْ عنه الأحاديث والذكر
فتى مات بين الضرب والطعن ميتةً ... تقوم مَقَام النصر إن فاته النصر
وما ماتَ حتى ماتَ مَضرِبُ سيفه ... من الضرب واعتلّتْ عليه القنا السمرُ

---

(٨) المصدر نفسه ، ٢/٩٥٨ .
(٩) ابو تمام . الديوان ٤/٧٩ — ٨٠ .

الى آخر الابيات التي تعد من غرُر المراثي وعيون الشعر العربي ، وقيل في روعتها ما قيل . ودرست ابياتها دراسات مستفيضة وقفت عندِ صورها واشارت الى تمجيد بطولة هذا القائد العربي الذي وجد فيه الشاعر رمزاً من رموز التحدي لكل الحركات المناوئة لسلطان الدولة العربية . وليس المجال هنا مجال تقويم لهذه القصيدة ولكن الصورة التي قدمتها وهي تنظم على وزن البحر الطويل وقافية الراء المضمومة التي نظمت عليها قصيدة ابي صخر الهذلي فكانت فريدة في بابها كما كانت قصيدة ابي صخر فريدة في غرضها وخلودها. ومثل هاتين القصيدتين كانت قصيدة ابي فراس الحمداني : [١٠]

ارَاكَ عصيَّ الدمع شيمتك الصبر أما للهوى نهيٌ عَليك ولا أمر

وهي قصيدةٌ لا أرى نفسي ملزماً بذكر أبياتها وقراءة غررها فقد اخذت حجمها في الموروث الشعري والغنائي والعاطفي واستشهد بها في مواضع عزيزة ونادرة . .

إن هذه النماذج الثلاثة التي اخترتها لاغراض ثلاثة تمثل خطورة الاعتقاد بان الاوزان الشعرية يمكن أن تتحكم في الاغراض أو ان القوافي يمكن ان ترسم طريق الاختيار للموضع الذي يريد ان يطرقه .

ان قدرة الكلمة التعبيرية وجرسَها الموسيقي الذي تؤديه منفردةً ومجتمعة قد وُهبت اللغة العربية خصائص اوشكت أن تجعل منها لغة شاعرة ، وتودع في مضامينها من الأبداع ما جعلها لغة موحية بحروفها وتراكيبها وتكرار الفاظها ، وتجدّد موسيقاها التعبيرية ومقاطعها التي تؤدي كل هذه الوظائف بنغمٍ وانسجام يوحي بالتناسق والتوافق والانتظام . واذا كانت اغراض الشعر نابعة من الوجدان ، ومعبرةً عن الذات الكامنة في اعماق الانسان فمن الطبيعي أن تكون هذه الأغراض كفيلة باختيار دلالات محدّدة ، ورهينة بالفاظ

(١٠) ابو فراس . الديوان / ١٥٧ .

وتعابير تتناسب مع الحالة التي يكون عليها الشاعر لتأتي العبارات مؤكذة الحسّ الشعري ، ومعبرةً عن الحالة التي يمر بها الشاعر أو تشعر بأنها أدّت المهمة التي تصاحب ولادة القصيدة عفوية إذا كانت معبرة وغير مقيدة مسبقاً بوزن ، أو مهيئة لتوضع في إطار قافية رُسم لها أن تكون حدوداً لنهاياتها . فالحالة الشعورية والدلالة اللفظية والمناسبة و الكلمات التي تتراكم في ذهن الشاعر ، وايحاءات الصورة التي تثير في دواخله الأحساس هي الحوافز الرئيسية التي تُحدّد له المسار ، وتضع المشاعر في طريق الابتداء ، وتترك لكثافة التعبير أن تتسرب احساساً ، وتتناغم وزناً وقافية لتعطي الصورة المطلوبة ابعادها المناسبة ، ولتترك للذات الشاعرة أن تكون قادرة على استيعاب الزخم العاطفي الذي خلقته حالات المعاناة الصادقة ، وحفزته مظاهر التواجد الداخلي لنزعات الشوق مهما كانت حالاتها ، وتَعدّدت مظاهرها .

فالعواطف هي التي تضع الشاعر على طريق القصيدة وتهيئ له من المناسبة والمقاطع النغمية المحكمة التي تحقق له التعبير المطلوب .

وشعر الحرب الذي امتزجت به كل العواطف ، وتحركت في داخله كل الاسباب ، المثيرة واستجابت له كل النوازع الحادة يمثل حالة من الحالات التي يمر بها الشاعر ، وتجربة من التجارب التي تصادفه وهو يواجه وضعاً انفعالياً مؤثراً ، ويقع تحت تأثير أسباب موجبة للتعبير او التأثر وبما ان حالة الحرب هي حالة غير طبيعية بسبب مضاعفاتها النفسية والاجتماعية وما تثيرها في النفس من أحاسيس ومشاعر وتخلقه من نتائج وتتعرض له من احداث فان الانفعالات التي تتولد من جرائها تكون رهينة بهذه النتائج وكفيلة بالتوقعات المنتظرة لكل حالة طارئة أو مفاجئة ، ولم تكن صورة الحرب واحدة في التأثر أو متشابهة في رد الفعل المعاكس ، لأن طبيعة الحروب تخلق اجواءً متفاوتة من حيث التعبير والأداء ، فالحرب التي تقوم على اساس الدفاع عن الارض والانسان وحماية الشرف والكرامة وصد الزحف وايقاف التجاوز الظالم واسقاط التحدي

الاهوج هي حرب لها صورتها الكبيرة في حياة الناس ولها تأثيرها الواعي في تصرفات الجماهير ، ولها ابعادها التي تتحرك فيها لخلق الوعي المناسب وتهيئة المستلزمات الضرورية لردّ الاعتداء ودفع المخاطر والتنبيه الى النتائج الوخيمة التي يمكن ان تخلقها مثل هذه الحرب ، والشعراء الذين يعيشون هذه الحالة لا ينفصلون عن مجتمعهم ولا يبتعدون عن الصورة الكبيرة التي تظل واضحة المعالم في عيون الجميع ، ولا يمكن أن يكونوا غرباء على هذه المواجهة التي تحرك في دواخل الجميع نزعات رد الاعتداء واستثارة اسباب المقاومة وتوثيب الدواعي الموجبة وتوجيه الحشد الجمعي لما ينفع المسيرة الكبيرة التي تضع هذه الجماهير في المحيط المرسوم لدورها الطايعي . وهذه الحالة تضع الادباء في الموضع الريادي لمهمة القيادة والتوجيه لأنهم يملكون الوسائل الكفيلة بالتحريك والقدرات الحافلة باسباب التهيؤ ، واذا كان شعر الحرب قد عبّر عن بعض الوجوه القليلة التي عايشها المقاتلون ، واذا كانت بعض الصور قد التقطت لمعارك حاسمة من تاريخ الامة ، واذاكان بعض الشعراء قد احسنوا صياغة اللوحة الحربية الدقيقة ، لانهم شاركوا مشاركة فعلية في تحديد ملامحها فان شعر الحرب الذي قدم خلال الفترة الزمنية التي يخوضها قطرنا المناضل ، كانت لوحة جديدة في كثير من ألوانها وزهوها ، تعابيرها والفاظها ، صورها وتراكيبها ، صدقها واحاسيسها ، لانها كانت لوحة حقيقية تعاونت على تخطيطها أيادٍ تمسك الزناد وتقود الدبابة وتطارد الفلول المنهزمة وتقاوم في الخندق المتقدم وتفترش الساتر الترابي أو ترصد الممر المائي أو تقود السمتية المطاردة والمقاتلة المنقضة والمدفع الحارق . والراجمة اللاهبة . . وان هذا التخطيط قد اعطى اللوحة عبارتها الدقيقة وصورتها المتطابقة وحركتها المناسبة حتى اوشكنا ان نفرد للحرب لغة متميزة ومقاطع متخصصة وايحاءات لم يسبق لنا أن وجدناها في شعر الحرب الذي تعودنا على سماعه . وان لغة الشعر هذه لم تعد مقتصرة على الابيات والقصائد وانما اصبحت

هي اللغة التي يكتب بها القاص قصته والباحث دراسته والصحفي مقالته وان هذه اللغة الموحدة التي عبرت عن حالة التضحية الفريدة والبطولة النادرة والقدرة الجريئة أصبحت مفرداتها مبثوثة في كل لوحة ادبية من لوحات التعبير وفي كل حالة من حالات الزهو الخالد الذي تعيش لحظاته في الضمير والوجدان والتصور ، واسهمَت في تداولها في كثير من مفردات الحياة ولغة الجمهور التي وحدت في تراكيبها صدىً لاحاسيسها وتلمست في تعابيرها متجاوباً مع ما تحسُّه من مشاعر . لأنها لغة الجميع الذين يشعرون بوحدة الوسيلة في التعبير ، ولغة المقاومة التي توحي بكل اشارة من اشاراتها الى وحـــدة المصير المشترك الذي يعطي المفردة دلالتها ويحدد لها مسارها في النص . . وهي لغة موحدة وضعت اطاراً موحداً للغة الأدب فكانت تأثيراتها مباشرة في ايصال الفكرة واستيحاء التأثير واستبطان الانفعالات التي تتسرب من خلال النص وقد مهدت هذه الوحدة اللغوية الى تقويم المشاعر ومشاركة الأدباء حالات المعايشة الحيّة لوقائع الحرب واوضاع المقاتلين الذين ترسخت في كثير من مفرداتهم أصوات اللغة الفصيحة وقدرة الألفاظ الأدبية التي هيأها النص . وان الشعر الذي قدم من خلال ادبيات الحرب التزم خطاً واحداً في تمجيد البطولة والاشادة بمـــآثر الرجال والتعبير عن المـــواقف الفذة في مجابهة العدوان وقدم هـــذا الضرب من الشعر صوراً جـــديدة وللواناً زاهية وزخر باغة لهـــا رنينها الموحي وموسيقاها النغمية النقية وقد استعملت كل البحور وإختارت معظم القوافي واستعارت الكثير من النماذج البلاغية وبقيت كثير منها فريدة في بابها رائعة في نماذجها حية في مواضع الاستشهاد بها .

ولغة الأدب الموحدة هذه بحاجة الى دراسة مستقلة تعطي المفردة استعمالها الزمني وتطورها التاريخي ودلالتها التي اكتسبتها من خلال الاستعمال ، ولا بد أن تنتهي مثل هذه الدراسة الى تقديم قائمة طويلة من المفردات التي دخلت لغة الأدب والصحافة وشاع استعمالها عند الجمهور بوضوح واتضحت قوتها

في كثرة التداول الذي اصبح سمة من سمات الحديث اليومي . ومن الطبيعي ان تكون حالة الحرب التي تعيش في وجدان كل انسان في العراق ، وصُورها التي يراها في جزئيات الحياة واثارها التي يُعبر عنها من خلال البيان العسكري أو صور المعركة أو أخبار الرجال الذين يقدمون اعزّ النماذج في البطولة والتضحية وقصص البطولة التي تروى عن تكريم الابطال من الصنوف المختلفة وهي المحفز الواضح في استمرار تنامي الوعي والتأكيد على روح النصر التي لازمت هذا الانسـان ووضعته في الموضع الذي أنهى اسطورة التخاذل والاستسلام واكدت في نفوس الآخرين القدرة على مجابهة التحدي والحفاظ على الشخصية المتميزة ، وتمكنه من حماية نفسه وايقاف التجاوز الذي حاول ويحاول استهداف وجوده . . ان هذه الحالة التي يعيشها المواطن في العراق كانت السبب الرئيسي في المعالجة التي نراها مرتسمة على كل وجه ، وواضحة في سلوك كل فرد ، ومقروءة في كل سطر من سطور التاريخ الخالد الذي يكتب فوق ربوع هذا التراب الطاهر .

ولغة الشعر التي توجهت هذا التوجـه واحتفظت بهذه الثروة اللفظية من المفردات هي لغة جديدة لم يعرفها الأدب العربي في مراحله المتقدمة ، ولم يتداولها الشعراء قبل هذه المعركة وبالصيغة التي ألفها الأدب في العراق ، وهذا وحده يشكل ظاهرة متميزة في هذا الباب ، ويعطي هذا اللون الأدبي خصائصه ويحدد له الجوانب المعنوية واللفظية التي أصبح مؤهلاً للتعبير عنها وفق الحالات الراهنة وفي اطار التعابير التي انفردت بها نصوصه ، وان هذه المحاولة في اثارة هذا الموضوع تترك الباب مفتوحاً للباحثين لأخذ أدوارهم في مناقشة كل محور من المحاور المشتركة ، والانتهاء الى صيغ نقدية جادّة تعطي هذا اللون الفني ما يستحق من عناية واهتمام .

أحمد بن أبي فنن

حياته وما تبقّى من شعره

الدكتور يونس أحمد السامرائي

كلية الآداب — جامعة بغداد

إسمه وكنيته :

هو أحمد بن صالح ، وكنية صالح أبو فنن ، ابن أبي معشر ، (١) وكنية أحمد أبو عبدالله (٢) .

نسبهُ :

أشار بعض مترجميه الى أنه مولى بني هاشم (٣) ، وأشار آخرون — وهم يتحدثون عن سلسلة نسبه — الى أنه مولى المنصور (٤) ، او الربيع بن يونس (٥) .

وأكبر الظن ان هذا الولاء جاءه عن طريق والده او جده ، ولنا على ذلك دليلان :

الاول : أن أكثر من أشار الى هذا الولاء كان يذكره بعد ذكره لوالده وجده (٦) .

---

(١) انظر : تاريخ بغداد ٢٠٢/٤ ، ونهاية الأرب ٩٣/٣ ، والوافي بالوفيات ٤٢٣/٦ ، جاء في الوافي ٢٢١/٥ : (انه احمد بن ابي فنن صالح بن سعيد) ، وانظر : البصائر والذخائر ٧٦٠/٢ فقد جاء فيه ان اسمه محمد ، وهو وهم .

(٢) انظر : طبقات الشعراء ٣٩٦ ، وأخبار الشعراء المحدثين (٧٤) ، وانظر : الديارات ١٢٥ ، فقد جاء فيه أن كنيته ابو عبدالرحمن .

(٣) انظر : تاريخ بغداد ٢٠٢/٤ ، ووفيات الاعيان ٧٥/٤ .

(٤) انظر : نهاية الارب ٩٣/٣ ، وفوات الوفيات ٧٠/١ .

(٥) انظر : سمط اللآل ٢٤٤/١ ، والوافي بالوفيات ٤٢٣/٦ .

(٦) انظر : مصادر الرقمين (٤ ، ٥) .

والثاني : أن وفاة المنصور كانت في سنة ١٥٨ هـ (٧) ، وهي سنة لانظن ان ابن أبي فنن قد ولد فيها ، او أنه كان في سن تؤهله ليكون في عداد موالي الخليفة .

ولادته :

ليس لدينا خبر يشير الى سنة ولادته ، ولا الى مسقط رأسه ، ولكن هناك أخباراً أو قرائن يمكن أن يستعان بها في الكلام على ولادته ، وان لم يكن الاستناد اليها دليلاً قاطعاً على ذلك ، ولكن على الباحث أن لايدع شيئاً يمكن أن يأخذ بيده الى توضيح أو تقريب كل مايتصل بحياة الرجل .

فقد أشار بعض أخباره الى أنه كان يجتمع مع عدد من شعراء العصر في كل جمعة في القبة المعروفة بهم من جامع المدينة في بغداد ، امثال : علي ابن الجهم ، ودعبل ، وأبي الشيص ، وقد ابصروا في أحد الاجتماعات (شاباً) ، في أخريات الناس ، فأنشدهم شيئاً من شعره فاستحسنوه ، وسألوه عن اسمه فأجاب انه (أبو تمام الطائي) (٨)

كما أشار بعض مترجميه الى انه بلغ سناً عالية ، وان وفاته كانت بين الستين والسبعين والمائتين (٩) .

وذكر انه قال في أبي الصقر اسماعيل بن بلبل بعد قتاه :

قف ياأبا الصقر فكم طائرٍ خرّ صريعاً بعد تحليقِ (١٠)

فالخبر الاول يشير الى ان ابا تمام كان شاباً عند اجتماعه بالشعراء ، واذا علمنا ان وفاته كانت في سنة (٢٣١) هـ (١١)، واذا افترضنا أن عمره عند

(٧) انظر : مختصر التاريخ (١٢٦) .

(٨) انظر : تاريخ بغداد ٢٤٩/٨ ، وشرح العيون ٣٢٥ ، وانظر (ابو تمام الطائي) للبهبيتي (٥٧) فقد شكك في الخبر .

(٩) انظر : فوات الوفيات ٧٠/١ ، والوافي بالوفيات ٤٢٣/٦ .

(١٠) انظر : الشعر الرقم (٤٤) .

(١١) انظر : ابو تمام ١٧٠ .

اجتماعه بالشعراء عشرون سنة ، فيكون ذلك الاجتماع قد حصل في سنة (٢١١ هـ) .

واذا افترضنا ان عمر ابن أبي فنن في ذلك الاجتماع كان عشرين سنة ايضاً ، وانه بلغ سناً عالية كما في الخبر الثاني ، وان هذه السن العالية قد بلغت تسعين سنة على سبيل الافتراض ، وانه هجا ابن بلبل الذي أطيح به في سنة ٢٧٨ هـ وصودر وسجن ومات في هذه السنة (١٢) ، فتكون ولادتهُ على الاغلب في سنة (١٨٨ هـ) ، أو في غضون العقد الثامن من القرن الثاني الهجري .

حياتهُ :

لانعرف عن أولية الرجل شيئاً ، فقد سكتت مصادر ترجمته عن ذلك تماماً ، فأخبار نشأته وثقافته ورعايته قليلة جداً ، ان لم تكن مجهولة . وتتحدث الأخبار عنه بعد أن قطع شوطاً بعيداً في مضمار الأدب ، واستوى شاعراً أهالته شاعريته ليكون في عداد شعراء العصر .

ولعل أقدم خبر عنه هو اجتماعه مع عدد من الشعراء في القبة المعروفة بهم من جامع المدينة في بغداد سنة ٢١١ هـ يتناشدون الشعر ، ويعرض كل واحد منهم على أصحابه ماأحدث من القول بعد مفارقتهم في الجمعة التي قبلها (١٣) .

ويشير أحد أخباره الى أنه مدح محمد بن يزيد بن مزيد الشيباني ، غير ان راوي الخبر قد شك في أن يكون المادح هو ابن أبي فنن (١٤) .

---

(١٢) انظر : شعر ابن المعتز ٥٣٧/١ الحاشية . والجدير بالذكر ان من جملة الشعراء الذين هجوا ابن بلبل ابن المعتز .

(١٣) انظر : تاريخ بغداد ٢٤٩/٨ ، وسرح العيون ٣٢٥ .

(١٤) انظر : وفيات الاعيان ٣٤١/٦ ، ٣٤٣ ، والوافي بالوفيات ٢٢١/٥ .

ومن الجدير بالذكر ان هناك اضطراباً في صلة ابن أبي فنن بمحمد بن يزيد ، فابن خلكان بعد ان ذكر ابياتاً في مدح محمد عزاها لابن أبي فنن وأبي الشيص عاد فذكر في (٣٤٣) بيتين عزا أحدها لابن أبي فنن في خالد بن يزيد ، ولم يفطن محقق الكتاب الى هذا الخلط . كما =

وتذكر أخباره انه اتصل بالفتح بن خاقان وزير المتوكل ، وأكثر من مدحه (١٥) حتى استفرغ شعره فيه (١٦) . ويبدو ان ضلته به أصبحت وطيدة ، فكان يتردد الى مجلسه ، ويخوض معه في المسائل الأدبية ، فقد روي عنه انه دخل مع البحتري على الفتح فأنشده البحتري قصيدة فأمر له بجائزة سنية ، ورمى الى ابن أبي فنن بتمثال في يده من ندّ وفأر مسك . . . (١٧) كما روي عنه أنه تناظر مع الفتح في منزله ، ايما الرجلين أشعر : أبو نواس أم ابو العتاهية فرجح ابن أبي فنن ابا العتاهية في حين فضّل الفتح ابا نواس ، ثم اتفقا على ان يكون الحكم في هذه القضية هو الحسين بن الضحاك الذي دخل عليهما في الوقت نفسه ، فحكم بتفضيل ابي العتاهية (١٨) .

وبعد ان وَطَّدَ علاقته بالفتح رأى ان يتقدم خطوة أخرى وهي الاتصال بالخليفة المتوكل ، فسأل الفتح ان يشفع له بتقديمه لولي أمره كما هي العادة الجارية في ذلك الوقت (١٩) ، وأنشده بهذه المناسبة :

إذا كنتُ أَرجو نَوالَ الإمامِ وفتحُ بنُ خاقانَ لي شافعُ

فقُلْ للغريمِ أتاكَ الغياثُ وللضيفِ منزلُنا واسعُ (٢٠)

ومن غير شك ان الفتح قد أغدق عليه منحه وعطاياه عند اتصاله به

= ان هناك اضطراباً في بعض أخبار محمد ، فابن حزم أشار الى ابناء يزيد بن مزيد فقال : (وابنه القائد المشهور خالد بن يزيد ، وآخر اسمه محمد ، ولي أرمينية بعد أبيه يزيد بن مزيد ، وهو ابن عشرين سنة) جمهرة أنساب العرب ٣٢٦ في حين أشار الطبري في تاريخه في حوادث ١٧٢ هـ الى ان الرشيد عزل يزيد بن مزيد عن أرمينية وولاها عبيدالله بن المهدي).

(١٥) تاريخ بغداد ٢٠٢/٤ . (١٦) سمط اللآلى ٢٤٥/١ .

(١٧) انظر : اخبار البحتري ٩٣ والجدير بالذكر ان النص يشير الى دخول الرجلين على المتوكل غير ان نهاية النص تشير الى الفتح ، مما يرجح – وهذا مامال اليه محقق الكتاب – انه هو المراد لا المتوكل . وانظر : شرح نهج البلاغة ٣٤٢/١٩ .

(١٨) انظر : الأغاني ١٠٧/٤ .

(١٩) انظر : البحتري في سامراء حتى نهاية عصر المتوكل ص ١١١ وما بعدها .

(٢٠) انظر : الشعر : الرقم (٣٧) .

وتردده إليـه في منزله واختلافه الى مجالسه ، فقد ذكر عن ابن أبي فنن عند التماسه من الفتح أن يشفع له بتقديمه الى المتوكل قوله :

(وكان الفتح يشرب فأمرني بالجلوس ، وقدّم اليّ النبيذ وأمرني بالشرب فقلت : ما أكلت شيئاً أيّها الأمير فجاءني بعض الخدم فأخذ بيدي الى خزانة وقدّم لي طعاماً فأكلت ، وعدت الى مكاني فجلست فقال لي الفتح : خذ ماتحت مصلاّك فنظرت فاذا بصرّتين فقال : أما احداهما ففيها مائة دينار وهي لجائزتك ، وأما الأخرى ففيها مائة دينار لحسن أدبك وقولك : اني ما أكلت شيئاً) (٢١) .

وتشير بعض أخباره الى صلته بعليّ بن يحيى المنجم الذي كان منزله مألفاً للأدباء والشعراء يجتمعون فيه فيكرمهم ، وكان كثيراً مايستخلص لهم الجوائز من الخلفاء، كما كان الوسيلة التي تلجأ اليها الأدباء والشعراء لإيصالهم بولاة الأمور (٢٢) ، فقد روي عن ابن المنجم هذا عند خلافه مع احد الأدباء الذين تعهدهم بالرعاية والفضل قوله : (. . . فسرّيت الحالَ بيني وبين عافية حتى هجاه من كان يطوف به من الشعراء ، فقال فيه ابو عبدالله احمد بن أبي فنن ، وكنت أدخلته على المتوكل، وجالسه وشكر لي ذلك اذ كفره عافية (٢٣) .

وتسرب إلينا شيء من أخباره مع المتوكل ، يشير الى احتفال الخليفة به ورعايته له ، فكان يسأله عن أحواله وعن صيانته ملابسه وحفظها (٢٤) ، كما روي عن المتوكل قوله فيه : (ابن أبي فنن فأرة مساك) (٢٥) ، كما روي عن الشاعر بعض أخبار الخليفة الخاصة بحرمه (٢٦) .

---

(٢١) البصائر والذخائر ٦٨٨/٢ – ٦٨٩ .

(٢٢) انظر : معجم الادباء ١٤٥/١٥ .

(٢٣) معجم الأدباء ١٤٨/١٥ .

(٢٤–٢٥) البصائر والذخائر ٧٦٠/٢ .

(٢٦) انظر : الأغاني ٣١٠/١٩ .

وفي أخباره مايشير الى صلته بالمعتز بن المتوكل ومدحه له ، وقد روي أنه لما أدخل عليه قال : هذا الشاعر الآدم ؟ فقال بعض من حضر : لايضره سواده مع بياض أياديك عنده ، قال : أجل ، ووصله (٢٧) .

وفي أخباره ما يشير الى رعاية رجال الدولة له وعنايتهم به ، فقد ذكر ان ضيعة له كانت في قطيعة لمحمد بن عبدالله بن طاهر فكان الحاشر يصير له كثيراً فيؤذيه ، وربما أشخصه ، فكتب الى محمد يذكر له ذلك (الابيات) . . . فلما قرأ محمد الابيات وقع تحتها : (قد أجرناك ياابا عبدالله وأمرنا لك باحتمالك خراجك ، وكان في كل سنة ستة آلاف درهم – وحمل اليه صلة . . .) (٢٨) .

ومن غير شك ان هذه الاخبار هي قل من كثر مما يتصل بالرجل وعلاقته بولاة الأمور ، وانها – وان كانت قلياة – تكشف شيئاً عن سيرة الرجل وحياته في غضون الحقبة التي عاشها .

ثقافته :

لم تسعفنا أخبار الرجل التي تسربت الينا عنه بشيء عن الذين تعهدوه بالتعليم والتثقيف ، ولكن في أخباره أموراً أخرى يمكن عدها من مصادر ثقافته ومنابع تعليمه . وأكبر الظن انه تعلم كما تعلم الناشئة في عهده ، وانه واكبّ على تعلم الأدب ، واطلع على الشعر العربي فاغترف منه ما شاء . ولعلّ من منابع ثقافته الرواة الذين حدثوه وهم كثر في تلك الحقبة ، فممن حدّثه : داود بن مهلهل ، وابو عبدالله اليحصبي ، وعمرو بن سعد بن سلام ، والعتابي . ويوسف بن الصيقل .

وروي عن الشاعر قوله : (حدثني من لاأحصي من الجلساء ...)(٢٩).

---

(٢٧) انظر : زهر الآداب ١٠٤٠ .

(٢٨) طبقات الشعراء ٣٩٧ ، الديارات ١٢٥–١٢٦ . محمد بن عبدالله هذا ولى نيابة بغداد في ايام المتوكل ، وتوفى بها سنة ٢٥٣ هـ ، وكان مألفاً لاهل العلم والأدب (الاعلام ٩٤/٧)

(٢٩) الأغاني ٢٥٨/١٦ .

لقد حدثوه عن أخبار الشعراء : كأشجع السلمي (٣٠) ، وحماد عجرد (٣١) ، وربيعة الرقي (٣٢) ، وعليّ بن الجهم (٣٣) ، وأخبار الخلفاء : كالمأمون (٣٤) .

وفي أخباره مايشير الى تنوع ثقافته : فشملت الشعر القديم وأخبار الخلفاء ورجال الدولة (٣٥) .

ان المامه بالشعر القديم جعله يتكئ (٣٦) عليه أحياناً او يعكسه (٣٧) . ويبدو ان ابن أبي فنن كان مولعاً بأخبار الشعراء العباسيين وشعرهم ، ولهذا فقد رويت أخبار كثيرة عنه تتصل بهم ،فمن اولئك الشعراء الذين تحدث عنهم ربيعة الرقي (٣٨) ، ووالبة بن الحباب (٣٩) ، ويحيى بن زياد ومطيع بن إياس (٤٠) ، وأبو نواس (٤١) ، ويوسف بن الصيقل (٤٢) ، وأشجع السلمي (٤٣) ، وعلي بن جبلة المعروف بالعكوّك (٤٤) ، وأبو العتاهية (٤٥) ،

(٣٠) اخبار الشعراء المحدثين ٧٨-٧٩ ، الأغاني ٢١٩/١٨ .
(٣١) الأغاني ٣٥٩/١٤ .
(٣٢) نفسه ٢٥٨/١٦ .
(٣٣) طبقات الشعراء ٣٢١ .
(٣٤) الصداقة والصديق ٣٤ .
(٣٥) انظر : تاريخ الطبري ٨ / ٢٢٣ وأخبار الشعراء المحدثين : ٧٧ ، ١٥٣ .
(٣٦) انظر : الموشح ٥٣١ .
(٣٧) انظر : المنصف في الدلالات على سرقات المتنبي ٧٣ .
(٣٨) انظر : الأغاني ٢٥٥/١٦ .
(٣٩) الأغاني ١٠٤/١٨ .
(٤٠) نفسه ٣٢٧/١٣ .
(٤١) بدائع البدائه ١٤٨ .
(٤٢) الأغاني ٢٢١/٢٣ .
(٤٣) اخبار الشعراء المحدثين ٧٤ .
(٤٤) الأغاني ١٩/٢٠ ، ٤٠ .
(٤٥) الورقة ٥٢ ، أخبار الشعراء المحدثين ٢١٤ ، الأغاني ٢٧/٤ ، ١٠٧ ، ١٧١/٥ .

وأبو تمام (٤٦) ، والبحتري ، (٤٧) ، وفضل الشاعرة (٤٨) وعبدالله بن طاهر وابو الاصبغ الحصني (٤٩) .

ولعل واعهُ بشعر العباسيين هو الذي جعله يشغف بشعر أحدهم وهو العباس بن الاحنف . جاء في الأغاني : (وأخبرني محمد بن يحيى قال : حدثنا محمد بن الفضل بن الأسود ، قال : قرأت على احمد بن أبي فنن شعر العبـــاس بن الأحنف ، وكان مشغوفاً به ، فسمعته يقول : وددت ان أبياته التي يقول فيها :

يافوز ماضرَّ من يُمسي وأنت له

لي بكل شعري) (٥٠).ولعل شغفه بشعر العباس من أسباب اقتدائه به في بعض شعره (٥١) .

ومن مصادر ثقافته وارفادها المجالسُ الأدبية والشعرية التي كان يحضرها ، فقد كان ابن أبي فنن من الاعلام البارزة في تلك المجالس ، يناقش ويناظر ويبدى آراءه النقدية ، مما يدل على مكانته الأدبية ، وقدرته في المحاورة والجدال ، ومرّ انه كان يجتمع مع عدد من شعراء العصر : كدعبل وأبي الشيص وأبي تمام وعلي بن الجهم في كل جمعة في القبة المعروفة بهم في جامع المدينة ، يتناشدون الشعر ويعرض كل واحد منهم على اصحابه ماأحدث من القول بعـــد مفارقتهم في الجمعة التي قبلها ، وكان الناس يحتشدون ويستمعون إنشاد الشعراء المجتمعين (٥٢) .

(٤٦) أخبار أبي تمام ٧٠ ، ١٩٦ .
(٤٧) أخبارالبحتري ٩٣ .
(٤٨) الأغاني ١٩ / ١٣٠ .
(٤٩) طبقات الشعراء ٢٩٩ — ٣٠٠ .
(٥٠) ٧٣/١٧ .
(٥١) انظر الشعر (٣٣) .
(٥٢) انظر : تاريخ بغداد ٢٤٩/٨ .

ومن تلك المجالس التي كان الشاعر يحضرها ويشارك فيها مشاركة فعالة ماذكره الاصبهاني عن احمد بن أبي كامل قال :

(كنا في مجلس ومعنا ابو يوسف الكندي واحمد بن أبي فنن ، فتذاكرنا شعر محمد بن وهيب فطعن عليه ابن أبي فنن وقال : هو متكلف حسود ، إذا أنشد شعراً لنفسه قرّظه ووصفه في نصف يوم وشكا انه مظلوم ، منحوس الحظ وانه لاتقصّر به عن مراتب القدماء حال، فإذا أُنشد شعر غيره حسده ، وان كان على نبيذ عربد عليه ، وان كان صاحياً عاداه واعتقد فيه كل مكروه . فقلت له : كلاكما لي صديق ، وما أمتنع من وصفكما جميعاً بالتقدم وحسن الشعر ، فأخبرني عما أسألك عنه إخبار منصف ، أو يعدُّ متكلف من يقول (بيتان) او يعدّ متكلفاً من يقول (بيت) فأمسك ابن ابي فنن . . .) (٥٣) .

ومنها ايضاً ماذكره ابو الفرج عن عمه عن احمد بن ابي طاهر قال :

(قال لي احمد بن أبي فنن : تناظرت انا والفتح بن خافان في منزله : ايما الرجلين أشعر : أبو نواس أم ابو العتاهية ؟ فقال الفتح : ابو نواس ، وقلت: أبو العتاهية ، ثم قلت : لو وُضِعتْ أشعار العرب كلها بإزاء شعر أبي العتاهية لفضلها ، وليس بيننا خلاف في ان له في كل قصيدة جيداً ووسطاً وضعيفاً ، فإذا جمع جيده كان أكثر من جيد كل مجوّد . ثم قلت له : بمن ترضى ، قال : الحسين بن الضحاك فما انقطع كلامنا حتى دخل الحسين بن الضحاك ، فقلت : ماتقول في رجلبن تشاجرا ، فضل أحدهما ابا نواس وفضّل الآخر ابا العتاهية ؟ فقال الحسين : أُمّ من فضّل ابا نواس على ابي العتاهية (زا . . .) فخجل الفتح حتى تبين ذلك فيه ، ثم لم يعاودني في شيء من ذكرهما حتى افترقنا) (٥٤) .

---

٥٣) الأغاني ١٩/٩٤-٩٥ وانظر معاهد التنصيص ١/٢٢٧ .

٥٤) الأغاني ٤/١٠٧ .

ان معرفته بشعر الشعراء مكنته من إبداء رأيه فيما كان يلقى في تلك المجالس من المسائل الشعرية ، فقد روي عنه قوله : (كنا عند ابن الأعرابي فذكروا قول ابن نوفل في عبدالملك بن عمير .

إذا ذات دلّ كلمته لحاجة فهمّ بأن يقضي تنحنح او سعل

. . . قال : فقلت لابن الأعرابي : فهذا ابو العتاهية قال في عبدالله بن معن ابن زائدة :

فصغ ماكنت حلّيتَ به سيفك خلخالا
وما تصـنع بالسيف إذا لم تكُ قتّالا

فقال عبدالله بن معن : مالبست سيفي قط فرأيت إنساناً يلمحني إلاّ ظننت انه يحفظ قول أبي العتاهية فيّ ، فلذلك يتأملني فأخجل ...) (٥٥).

وكان الشاعر يتخذ من تلك المجالس ايضاً مجالاً لعرض ما يستجد له من شعره الذي كان يلقى قبولاً حسناً لدى الجالسين ، فيعجبون به ويكتبونه . فقد روي عن أبي العيناء قوله :

(أنشدنا ابن أبي فنن في مجلس علي بن الجهم فكتبتْ لي وله :

ولمّا أبتْ عيناي أن تكتما البكا وأنْ تحبسا سحَّ الدموعِ السواكبِ

الابيات) (٥٦) .

ان لهذه المجالس الشعرية والأدبية أثراً كبيراً في ثقافة الشاعر وفي مرانه على قول الشعر والوقوف على كل ما يستجد من امور الأدب والشعر . وكان الشعراء في تلك الحقبة لايتأخرون عن حضور تلك المجالس ، وخاصة اذا وجدوا من يتعهدهم بالحفاوة والرعاية . وكان شاعرنا في طليعة الشعراء الذين يدعون اليها ، فقد روي عن أحد ابناء المنجم قوله :

(٥٥) الأغاني ٢٧/٤ ، ٢٧٩/١٥ .
(٥٦) أمالي القالي ٧٠/١ .

(كان ابو الحسن علي بن يحيى المنجم جالساً يوماً وبحضرته من لا يخلو مجلسه منه من الشـعراء كأحمد بن أبي طاهر ، واحمد بن أبي فنن وأبي علي البصير ، وأبي هفان المهزمي والهدادي ، وهو ابن عمة أبي هفان ، وابن العلاف وأبي الطريف ، واحمد بن أبي كامل خال ولد ابي الحسن وعلي بن مهدي . . . .) (٥٧) .

لقد اصبح الشاعر شخصية معروفة في تلك المجالس يدعى اليها ويعهد اليه القيام باختبار قدرات الناشئة في قول الشعر ، ولعل الخبر الآتي خير دليل على ذلك .

روي عن عبيدالله بن أحمد بن أبي طاهر قوله :

(حدثني ابو احمد يحيى بن علي بن المنجم ، انه اول ماقال الشعر : حضر ابو الصقر اسماعيل بن بلبل عند أبيه في مجلس فيه ابو عبدالله احمد ابن أبي فنن ووالدي احمد بن أبي طاهر وجماعة من أهل الأدب فاستنشدني ابو الصقر شيئاً من شعري ، فأنشدته فاستنكره أبو الصقر ، ثم قال : أريد أن أمتحنك في شيء تجيزه ، فقلت له . . . . فقال ابو عبدالله بن أبي فنن : إذهب ياغلام ، فأنت أشعر الاولين والآخرين ، ثم حضرت المائدة ، وحضر عليها كباب رشيدي ، فقال ابن أبي فنن :

كباب رشيدي اذا مارأيته

ثم قال : أجز ، فقلت :

وإن كنت شبعاناً قرمت الى الأكل

ثم قال إبن أبي فنن : ماسمعت أحسن من هذا ، مالهذا الصادر عجز أولى به من هذا) (٥٨) .

(٥٧) معجم الأدباء ١٥/٨٩ .

(٥٨) بدائع البدائه ٦٩ .

صفاته :

لم تتحدث أخباره كثيراً عن صفاته الخَلقية ، وكل ماذكرته عنه انه كان آدم شديد السواد (٥٩) . وانفرد ابن خلكان بالقول ، بأنه كان (مشوه الخلق) (٦٠) .

وأكبر الظن ان هـــذا النعت من إضافة المؤلف ، لانه على مايبـــدو أراد ان يتخذ من ذلك دليلاً على إحكام الحكاية المعروفة عن الرجل المتعلقة بأبياته فيما يسمى بالاستطراد (٦١) .

والجدير بالذكر ان أحداً ممن تحدث عن الرجل لم ينعته بشوه الخاقة ، وكل ماجاء عنه انه كان أسود اللون كما تقدم .

واذا كانت أخباره لم تتحدث عن صفاته الخلقية ، فانها قد ذكرت شيئاً عمّا كان يحلى به من صفات خُلقية جميلة منها :

الإباء والقناعة : فقد كان الرجل أبيّاً عزيز النفس ، قنوعاً بما لديه من مال ، لايشكو الى احد ، ولا يلح في الطلب والاستمناح ، كما كان عليه أكثر شعراء عصره ، ان لم يكن جالهم .

وفي أخباره وشعره ما يؤيد هـــذا ويوضحه . جاء في طبقات الشعراء قول ابن المعتز : (حدثني عبدالله بن صالح المقرئ قال :

كان ابن أبي فنن . . . وكانت له ضيعة في قطيعة لمحمد بن عبدالله بن طاهر ، فكان الحاشر يصير اليه كثيراً فيؤذيه ، وربما أشخصه ، فكتب الى محمد يذكر له ذلك (الابيات) فلما قرأ محمد بن عبدالله الابيات وقع تحتها :

---

(٥٩) انظر : جمع الجواهر ٢٩٩ ، زهر الآداب ١٠٤٠ ، تاريخ بغداد ٢٠٢/٤ وقال هو عن نفسه .

أخلت أن سواد الليل غيرني   أو أن قلبي في جنبي أبي دلف

الشعر الرقم (٣٨) .

(٦٠) ٧٥/٤ .

(٦١) انظر : جمع الجواهر ٢٩٩ ، وزهر الآداب ١٠٤٠ والشعر الرقم (٣٨) .

قد أجرناك ياابا عبدالله وأمرنا لك باحتمال خراجك ــ وكان في كل سنة ستة آلاف درهم ، وحمل اليه صلة . وحلف ليقضين الخراج عنه ، وانما حلف لانه رجل لايمدح أحداً ولا يستميح ولا يضع نفسه موضعاً يقبل فيه برّاً لأحد .

قال ابو عبدالله : فلما أتاني التوقيع مع الصاة ، وقد حلف عليها بالغموس لأقبلنّها ، لم أجد بداً من ذلك ، فانا أشكر له بالشعر ماصنع ، واحتجت أن أمدحهُ في كل عام بقصيدة ، فصرت بذلك السبب شاعراً) (٦٢) . وأضاف الشابشتي الى ماذكره ابن المعتز قائلاً : (وكان ابن أبي فنن لايقبل من أحد شيئاً ، وكان حسن الحال مستقلاً) (٦٣) .

وفي شعره الذي وصل الينا شيء من ذلك ايضاً ، منه قوله :

قنعتُ وإن كنتُ ذا حاجةٍ ... فأصبحتُ من أكثرِ الناسِ شيّا
فلا تعجبنَّ بما في يديكَ ... فأكثرُ منهُ الذي في يديّا (٦٤)

وقوله :

الموتُ أهونُ من طولِ الوقوفِ على ... بابِ علـيٍّ لبوّابٍ عليـه يدُ
مالي أُقيمُ على ذلِ الحجابِ كأنْ ... قد ملّني وطنٌ أوضاقَ بي بلدُ (٦٥)

ويبدو ان هذه القناعة جاءته من وقوفه على سيرة سواه من الرجال ، فقد ذكر ابن المعتز ان ابن أبي فنن حدثه فقال : (كان المعلى الطائي يصلّي في اليوم والليلة الف ركعة ، وكان من أقنع الناس . . .) (٦٦) .

---

(٦٢) ٣٩٦ - ٣٩٧ .
(٦٣) الديارات ١٢٦ ، وانظر : وفيات الاعيان ٧٥/٤ ، فقد انفرد بالقول بأن الشاعر (كان فقيراً) . وأكبر الظن انه فعل ذلك لكي يحبك الحكاية المعروفة عن ابيات الشاعر في أبي دلف فيما يسمى بالاستطراد .
(٦٤) انظر : الشعر الرقم (٧٠) .
(٦٥) الشعر الرقم (١٩) ، وانظر الرقم (٢٤) ايضاً .
(٦٦) طبقات الشعراء ٣٣٣ .

ومنها : الصراحة ، فقد عرف عنه هذه الشيمة ، ولعل ماجرى بينه وبين الفتح في مجلسه خير دليل على هذا . ومنها :

الوفاء : فقد كان الرجل وفياً لاولياء اموره ومن كان يتردد الى مجالسهم وينال عطاياهم. وقد وقف الى جانب الواثق عندما أوقع بالمختلسين والمرتشين من رجال دولته (٦٧) ، كما ندّد بأبي الصقر الذي عاث فساداً بأمور الدولة ايضاً (٦٨) ، وتقدّم انه كان يمدح محمد بن عبدالله بن طاهر كل عام بقصيدة وفاء وعرفاناً بالجميل ، كما كان الى جانب ابن المنجم في خصامه مع بعض من أكرمهم فلم يقدّر اكرامه ولا فضله (٦٩) . ومنها :

حسن الخلق وكرم الطبع ، ويتجلى ذلك في علاقاته الحسنة مع رجال عصره من حكام وأدباء وشعراء ،فلم يعرف عنه أنه اشترك مع آخر في تهاج او خصومة ، ولهذا لم نجد شاعراً أو أديباً هجاه او نال منه — ومنها :

حسن الحديث واتقان فن الندامة ، ويتضح هذا من منادمته لرجال الدولة ومجالستهم لهم ، وإعجابهم به وبأدبه وكلامه ، ولعل انقطاعه الى الفتح وتردده الى مجالس المتوكل واختلافه الى اندية الأدباء والشعراء خير ما يؤيد هذا القول ويؤكده .

لقد عاش الرجل حقبة غير قصيرة ، وعاصر رجالاً كثيرين يختلفون في اخلاقهم وطباعهم وأهدافهم وتفكيرهم ، وتهيأ له أن يسايرهم جميعاً وان يكون قريباً من نفوسهم ، وهذا إن دلّ على شيء فانما يدلّ على مهارته ومقدرته وحسن سياسته وحُنكته . ومنها :

الكرم،ففي أخباره وشعره إشارات كثيرة الى ان الرجل لم يكن ضنيناً،فقد روي عنه قوله : (دعاني إنسان من جيراننا فوجه الى البقال : وجّه اليّ جزراً

(٦٧) انظر : الشعر الرقم ٦٣ .

(٦٨) انظر : الشعر الرقم ٤٤ .

(٦٩) انظر : الشعر الرقم ٧١ .

(بدانقان) ، فقلت : سبحان الله ماهذا ؟ قال : أردت أن يهابني) (٧٠)
وهو القائل :

وان احقَّ الناسِ باللّومِ شاعرٌ يَلومُ على البخلِ الرجالَ ويبخل(٧١)

وإذا جاز لنا أن نحكم على صفات الرجل مما يوجه من نقد للآخرين ، فان النص الذي تقدم لابن أبي فنن في محمد بن وهيب الشاعر خير ما يستقطب صفاته التي ذكرناها او التي لم نذكرها .

مَن حدَّثوا عنه :

بعد ان قطع ابن أبي فنن شوطاً في مضمار الأدب ورواية الأخبار ، وبعد أن ذاع صيته وانتشر خبره بين الأوساط الأدبية ، اتصل به غير واحد من أصحاب الأخبار ومن طلبة الأدب والشعر ، فأخذوا عنه ، وتحدثوا بالأخبار التي سمعوها منه ، وهي أخبار كثيرة تتصل – كما قدمنا – بالشعر والشعراء بصورة خاصة . ومن الذين اتصلوا به وأخذوا عنه :

محمد بن سعيد ابو بكر الاصم (٧٢) ، ومحمد بن أحمد الاسدي (٧٣) ، واحمد بن اسماعيل (٧٤) ، وعبدالقدوس بن ابراهيم الشامي (٧٥) ، وعيسى ابن الحسن الآدمي (٧٦) ، ومحمد بن الفضل بن الأسود (٧٧) ، والحسن ابن علي الرازي القارئ (٧٨) ، ومحفوظ بن عبيدالله (٧٩) ، ومحمد بن

---

(٧٠) اخبار الحمقى والمغفلين ١٥٥ .
(٧١) انظر : الشعر (٤٩) ، (٤٣) .
(٧٢) انظر : أخبار أبي تمام ٧٠–٧١ .
(٧٣) نفسه ٩٣ .
(٧٤) انظر : أخبار الشعراء المحدثين ٧٨ .
(٧٥) انظر : طبقات الشعراء ٢٩٩–٣٠٠ .
(٧٦) انظر : الأغاني ٢٢١/٢٣ .
(٧٧) انظر : أخبار الشعراء المحدثين ٧٤ ، ٢١٤ ، الأغاني ٧٣/١٧ .
(٧٨) انظر : أخبار الشعراء المحدثين ٧٧ ، ٢١٥٣ ، الأغاني ٢٧/٤ .
(٧٩) انظر : الورقة ٥٢ .

موسى بن حماد (٨٠) ، وعلي بن صالح (٨١)،واحمد بن أبي طاهر (٨٢)، وابو هفان المهزمي (٨٣) ، وابو جعفر احمد بن يزيد المهلبي (٨٤) وعبدالله ابن المعتز (٨٥) ، ويحيى بن علي المنجم (٨٦) وسواهم (٨٧) .

وفاته :

تقدم عند الكلام على ولادة الشاعر ان هناك من ذكر أن وفاته كانت بين الستين والسبعين والمائتين ، وان له أبياتاً في هجاء أبي الصقر اسماعيل بن بلبل بعد نكبته في سنة ٢٧٨ ﻫ . وإذا صح هذا فوفاته لايمكن أن تكون كما حددت بين الستين والسبعين ، وانما ينبغي أن تمتد الى سنة ٢٧٨ ﻫ أو بعدها ؛ ليصح هجاؤه لابي الصقر .

شعره وشاعريته :

يبدو أن الشعر كان أقرب الى نفس ابن أبي فنن من أيّ فن أدبي آخر ، فقد كادت الأخبار التي رواها عن الآخرين ، او التي رويت عنه ، والمجالس التي كان يحضرها والموضوعات التي يتطرق اليها الجلساء فيها تختص بالشعر والشعراء دون سواهما .

والشاعر — كما يظهر من الأخبار المرويّة عنه — كان مشغوفاً بالشعر الحديث او بشعر الشعراء المحدثين ، ولهذا كانت حصة الأخبار عن الشعراء العباسيين وشعرهم كبيرة جداً بالقياس الى سواهما .

(٨٠) انظر : الأغاني ١٩/٢ ، ٤١ .
(٨١) نفسه ٢٥٨/١٦ ، ٢١٩/١٨ .
(٨٢) نفسه ١٠٧/٤ ، ١٧١/٥ ، ١٠٤/١٨ .
(٨٣) نفسه ٣١٠/١٩ .
(٨٤) انظر : أخبار أبي تمام ١٩٦ .
(٨٥) انظر : طبقات الشعراء ٣٢١ ، ٣٣٣ ، اشعار اولاد الخلفاء ١٠٧ .
(٨٦) انظر : الأغاني ٣٥٩/١٤ .
(٨٧) نفسه ٣٢٧/١٣ ، ٢٥٥/١٦ .

ولعل معاصرته لعدد من كبار شعراء العصر ، وصلته الحسنة بهم من أسباب ميله وانقطاعه الى الشعر دون سواه . فقد كان صديقاً لعلي بن الجهم ، يحضر مجالسه وينشد فيها مايستجد له من شعر (٨٨) ، كما كان معجباً بشاعريته وشعره الى حد كبير . جاء في طبقات الشعراء :

(حدثني ابن أبي فنن قال : حدثني ابو عبدالله اليحصبي قال : لما قال عليّ بن الجهم وهو محبوس كلمته التي يخاطب فيها المتوكل :

قالت حُبِسْتَ فقات ليس بضائري حبسي ، وأيّ مهنـد لم يغمـد

ثم قال حين صلب :

ماضرَّه أن بُـزَّ عنـه اباسه فالسيفُ أهولُ مايُرى مسلولا

حكموا له بأنه أشعر الناس ، فأذعنت له الشعراء وهابته الامراء) (٨٩) .

وكان خديناً لأبي تمام معجباً به وبكرمه وشعره ، كما كان معجباً بحضور خاطره وسرعة بديهيته ، وبعد أن روى خبراً عن كرمه ومشاركته الآخرين بجائزته وشعره في ذلك ، قال عنه : (وكان أبو تمام أحضر الناس خاطراً) (٩٠) .

كما كان الرجل من أصدقاء الحسين بن الضحاك والبحتري واحمد بن أبي طاهر ، وعلي بن يحيى المنجم ، وأبي علي البصير وغيرهم ، وكل اولئك من الشعراء المعروفين في عصرهم .

لم تشر أخباره الى ان له ديوان شعر ، وان ماوصل الينا من شعره قليل وهو على هيئة مقطوعات تتراوح بين البيت وتسعة الابيات . ولاشك في ان أكثر شعره قد فُقد ، وهناك دلائل تشير الى هذا ، منها :

---

(٨٨) انظر : الشعر (٨) .
(٨٩) ص ٣٢١ .
(٩٠) اخبار أبي تمام ٧٠ .

هذه المقطوعات الكثيرة التي وصلت الينا والمؤلفة من بيت او بيتين والتي نحسبها أجزاء من مقطوعات أكبر ، او من قصائد . ومنها :

فقدان شعره في أكثر رجال العصر الذين تقرب إليهم وجالسهم ومدحهم، فلم يصل الينا من شعره في الفتح على سبيل التمثيل الذي قيل عنه (أكثر المدح للفتح بن خاقان) (٩١) ، وانه استفرغ شعره فيه (٩٢) ، إلاّ اربع مقطوعات الاولى من سبعة ابيات (٩٣) والثانية من ثلاثة ابيات (٩٤) ، والثالثة من بيتين (٩٥) ، والرابعة من بيت واحد (٩٦) .

ولم يصل الينا شيءٌ من مدائحه في محمد بن عبدالله بن طاهر الذي كان يوجه اليه في كل عام قصيدة منها (٩٧) ، وفقد شعره في المتوكل الذي كان مقرباً منه وأحد جلسائه وندمائه ، بل فقد مدحهُ للمعتز الذي كان قد اتصل به ومدحه ، ولعل كلّ أوجلّ شعره الذي كان ينشده مع الشعراء في القبة المعروفة بهم قد ضاع ايضاً .

ويخيل الينا ان شعر الرجل لم يكن قليلاً ، فهناك اسباب كثيرة كانت تحفزه للنظم والاكثار منه منها : أنه بدأ قول الشعر منذ عهد مبكر من حياته، ومنها : اجتماعه مع الشعراء في القبة المعروفة بهم وانشادهم الشعر المستجد في كل جمعة ، ومنها : إسهامه في المجالس الشعرية التي كانت تعقد من قبل الآخرين ومنها : اتصاله بكبار رجال الدولة من خلفاء وامراء ومن غير شك ان الرجل قد أفاد من كل هذه العوامل ، فعالج القريض وأكثر منه حتى

---

(٩١) تاريخ بغداد ٤/ ٢٠٢ .
(٩٢) انظر : سمط اللالىء ١/٢٤٥ .
(٩٣) انظر : الشعر (٣٠) .
(٩٤) انظر : الشعر (٦٦) .
(٩٥) انظر : الشعر (٣٧) .
(٩٦) انظر : الشعر (٥٤) .
(٩٧) انظر : طبقات الشعراء ٣٩٧ .

تجمع لديه منه غير قليل ، ولعل القول المنسوب اليه في معرض تعايقه على ابيات العباس بن الاحنف خير دايل على هذا ، قال : (وددت ان أبياته التي يقول فيها :

يافوز ما ضَرَّ من يمسي وانت له

لي بكل شعري) (٩٨) ، فقوله (بكل شعري) دليل واضح على ان الرجل كان قد تجمع لديه شيءٌ غير قليل من الشعر ، الامر الذي جعلهُ يتنازل عنه لابيات ابن الاحنف .

ويبدو ان شيئاً من شعره قد اختلط بشعر الآخرين: امثال أَبي نؤاس (الشعر ٢) ، وعبدالصمد بن المعذل (الشعر ١٧) ، ويزيد بن مفرغ وأبي الشيص (الشعر ٤٠) والبحتري (الشعر ٥٣) .

ولكن متى بدأ يقول الشعر ؟ تقدم القول بأننا لانعرف شيئاً ذا بال عن اولية الرجل ، وأن أخباره بدأت بعد أن قطع شوطاً في مضمار الحياة والشعر ، وقلنا لعل اول خبر يدور حول شعر الرجل وشاعريته هو اجتماعه مع عدد من الشعراء في القبة المعروفة بهم في جامع المدينة في بغداد ، يتناشدون ما يستجد لهم من شعر . وواضح ان اجتماعه هذا مع شعراء معروفين من جهة ، واستماع الناس لشعرهم من جهة أخرى دايل على ان ابن أبي فنن قد قطع شوطاً في قول الشعر يؤهله ليكون احد الشعراء المعروفين في ذلك العصر . ورجحنا أن اجتماعه او أحد اجتماعاته مع الشعراء وحضور أبي تمام ذلك الاجتماع كان في سنة ٢١١ هـ ، وأسلفنا القول في ان ولادة الشاعر كانت في سنة ١٨٨ هـ او في غضون العقد الثامن من القرن الثاني الهجري ، واذا صح هذا فيكون عمر الرجل في تلك الحقبة قد تجاوز العشرين سنة ، ومعنى هذا ان الرجل قد بدأ قول الشعر قبل هذه السن ، وظل يمارسهُ حتى استوى شاعراً يمكنه أن يقف مع شعراء العصر المعروفين وينشد شعره للآخرين .

---

(٩٨) الأغاني ٧٣/١٧ .

وأما مانسب الى الشاعر في اعقاب الرسالة التي وجهها ابن طاهر الى الشاعر في قضاء الخراج عنه من قول :

(فلما أتاني التوقيع مع الصلة ، وقد حلف عليها بالغموس لأقبلنّها ، لم أجد بدّاً من ذلك ، فأنا أشكر له بالشعر ماصنع ، واحتجت الى ان أمدحه في كل عام بقصيدة ، فصرت بذلك السبب شاعراً) فبعيد الاحتمال فيما يتعلق بشاعرية الرجل ، ذلك ان ولادة ابن طاهر كانت في سنة (٢٠٩ هـ) (٩٩) وان ابن أبي فنن كان أحد الشعراء المعروفين في سنة ٢١١ هـ كما تقدم .

كان ابن أبي فنن من الشعراء المجيدين المطبوعين الذين لايتكلفون ولايعقدون ، وقد أعجب به غير واحد من الأدباء والشعراء وارباب المصنفات ، فأثنوا على شعره وشاعريته ؛ وأكثروا من الاستشهاد بنماذج مختلفة من شعره ، رووها عنه مباشرة (١٠٠) ، او غير مباشرة ، فقال فيه ابن المعتز : (كان ابن أبي فنن . . . شاعراً مُفْلقاً مطبوعاً) (١٠١) ، وقال الحصري : (وكان شاعراً مجيداً) (١٠٢) ، وقال الخطيب البغدادي : (وهو شاعر مجوّد نقيّ اللفظ) (١٠٣) ، وقال البكري : (وهو شاعر مجيد من شعراء بغداد وكانت له اغراض مستطرفة ، ومعانٍ مستحكمة) (١٠٤) . ووصف ابن أبي فنن محمد بن وهيب الشاعر في معرض طعنه على شعره بأنه متكلف (١٠٥) وهذا دليل على إحساس الشاعر بهذه الصفة غير الحميدة في الشعر بحيث

(٩٩) الاعلام ٩٤/٧ .

(١٠٠) منهم الجاحظ (الشعر ٤ ، ١٩) ، وابو العيناء (الشعر ٨) ، وعلي بن يحيى المنجم الشعر (٦٨) .

(١٠١) طبقات الشعراء ٣٩٦ .

(١٠٢) زهر الآداب ١٠٣٩ .

(١٠٣) تاريخ بغداد ٢٠٢/٤ .

(١٠٤) سمط اللآلىء ٢٤٥/١ .

(١٠٥) انظر : الأغاني ١٩/ ٩٤ .

حمله ذلك على عدها مثلبة لدى شاعر معاصر له مجيد .

وكان الشاعر معجباً بشعره ، وقد روي عنه انه قال :

(أنا ابن قولي :

صبّ بحبّ متيّم صبّ حبّيه فوق نهاية الحب

الابيات) (١٠٦) .

وتقدم كلامه على شعره في معرض اعجابه بأبيات ابن الاحنف .

وقدّم بعض من استشهد بنماذج من شعره بكلام يدل على اعجابهم به ، وإستحسانهم له .

فقد قدم القالي لنموذج من شعره بقوله : (ومن أحسن ماقيل في العناق ماأنشدناه ابو بكر بن الانباري قال : أنشدنا عبدالله بن خلف قال: أنشدني احمد بن يحيى لابن أبي فنن) (١٠٧) .

وقدم ابو هلال العسكري لنموذج من شعره بقوله : (ومن جيد ماقيل في مبادرة اللّذات قول احمد بن أبي فنن) (١٠٨) .

ان ماوصل إلينا من شعره يندرج تحت فنون : المديح والغزل والخمر والوصف والفخر والزهد والحكمة والهجاء وما الى ذلك .

فالمديح يقف في مقدمة فنونه الشعرية التي وصلت إلينا ، وانا لنعجب من قول ابن المعتز عنه حين أورد قصة الشاعر مع الحاشر الذي كان يطالبه بالخراج وأبياته في محمد بن عبدالله بن طاهر ورسالة الأخير له والتي جاء فيها : (وحلف ليقضين الخراج عنه ، وانما حلف لانه رجل لايمدح

---

(١٠٦) تاريخ بغداد ٢٠٣/٤ .

(١٠٧) انظر الشعر (١٦) والمرقصات والمطربات (٥٢) حيث عد البيت الثاني من المرقص .

(١٠٨) ديوان المعاني ٣١٥/١ والشعر (١٧) .

أحداً ولا يستميح ولا يضع نفسه موضعاً يقبل فيه براً لأحد)(١٠٩).

وتقدم ان الرجل أكثر من مدح الفتح بن خاقان وقد جاء اسم الفتح في اربعة نماذج من شعر ابن أبي فنن (١١٠)، ومن يدري فلعل ما وقفنا عليه او أكثره كان في الفتح وان اسمه قد سقط بسقوط الابيات ، او انه كان يكنى عنه حسب (١١١) ، ولعل مايقوّي هذا قول البكري فيه (واستفرغ شعره في الفتح بن خاقان) (١١٢) .

ويكشف لنا الشاعر في مديحه عن كرم ممدوحه واهتزازه للندى في كل حالاته فيقول :

تراه على العلاّتِ يهتزُّ للنّدى كما اهتزَّ مصقولٌ مضاربُهُ عَضْبُ(١١٣)

ويظهر ان الشاعر قد مرَّ بأزمة حادة كاد يلاقي من جرائها حتفَهُ ، فاستنجد بممدوحه الذي حكّمه في كل مالديه من مال او جياد ، في قوله :

كبا الدهرُ بي فاستلّني منجرانهِ وقد كنتُ لاقيتُ المنيّة أو كدتُ
وحكّمني في مالهِ وجيادهِ وخيرّني بين الحكومةِ فاخترتُ(١١٤)

وحين يلحظ الشاعر ان ممدوحه قد أغفله او تغافل عنه او اطّرحه ، يلجأ الى قريضه ليشكو هذا الاطّراح بعد ان عدد فضائل ممدوحه عليه ، ثم يلتمس منه أن يكون تقويمه اذا حدث منه زيغ او هفوة على يديه ، فيقول :

---

(١٠٩) طبقات الشعراء ٣٩٧ .

(١١٠) انظر الشعر : ٢٣ ، ٣٧ ، ٥٢ ، ٦٦ .

(١١١) للوقوف على مدحه التي وصلت الينا يحسن الرجوع الى شعره : ٥ ، ١١ ، ١٣ ، ٣٠ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٦٢ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ .

(١١٢) سمط اللآلئ ١/٢٤٥ .

(١١٣) الشعر (٥) .

(١١٤) الشعر (١١) .

أحين كثّرتَ حسّادي وساءهمُ ... جميلُ فعلكَ بي أشمتَّ حسادي
فان تكن هفوة أو زلةٌ سلَفتْ ... فأنتَ أولى بتقويمي وإرشادي(١١٥)

ويعمد أحياناً الى استقطاب جملة صفات أو شمائل فيسندها الى الممدوح الذي يراه النموذج الامثل للانسان الكامل . ان استقطابه لهذه الصفات يؤدي به الى الغاية المثلى التي يهدف اليها ويسعى من أجلها ألا وهي جمع شمل المعالي وبلوغها ، فيقول :

ألا ربَّ مكروهٍ أجيبَ دعاؤهُ ... وذي أوَدٍ قوّمتَهُ فتقوّما
ومستسلمٍ للحادثاتِ منعتَهُ ... بحزمكَ أنْ يُغتالَ أو يتهضما
أبى لكَ حزمُ الرأي إلاّ صَرامةً ... وبذلكَ للمعروفِ إلاّ تكرُّما
خلائقُ غرٌّ قد بسطتَ ببذلها ... لسانَ الذي يثني وانْ كانَ أعجما
جمعتَ بها شملَ المعالي فأصبحتْ ... لديكَ صَفايا مايحاذرنَ مقسما(١١٦)

وقد يسلك طريقة أخرى طريفة في المدح وهي التي تسمى بالاستطراد او المستطرد ، وقد تناقلت المصادر أبياته التي مدح في اعقابها القائد العربي ابا دلف العجلي ، والتي منها :

مالي ومالكِ قد كلّفتني شَططاً ... حملَ السّلاحِ وقولَ الدّارعينَ قفِ
أخلتِ ان سوادَ اللّيل غيرّني ... أو أنَّ قلبيَ في جنبيْ أبي دلفِ (١١٧)

ومن يدري فلعله من اوائل من ابتدع هذا النوع من الفن او المعنى ، ولعل أبا تمام قد حذا حذوه فيه ، ومن ثم البحتري ايضاً ، والذي يحملنا على هذا قول البكري عن الشاعر كما تقدم : (وكانت له اغراض مستطرفة ، ومعان مستحكمة) (١١٨) .

(١١٥) الشعر (٢٠)
(١١٦) الشعر (٦٢) .
(١١٧) الشعر (٣٨) . وانظر : أخبار أبي تمام ٦٨-٧٠، وزهر الآداب ١٠٤٠ . للوقوف على مايسمى بالمستطرد والاستطراد .
(١١٨) على انه لايستبعد ان يكون شاعرنا قد حذا حذو أبي تمام في هذا الغرض خاصة اذا علمنا انهما كانا صديقين ، وكان ابن أبي فنن معجباً به الى حد بعيد .

ان الشاعر كان يحتفل كثيراً بمدائحه ويبذل في سبيل اعدادها جهداً كبيراً ، حتى كانت نماذج عالية لهذا الفن ، وكان بودنا ان نكثر من التمثيل لهذه النماذج ، ولكن بوسع القارئ الوقوف عليها في أعقاب هذه الدراسة . ونرى من المفيد ان ننهي الكلام على مديح الرجل بهذا البيت الذي لايخفى على أحد ما انطوى عليه من التركيز والعمق والجدة .

يعلّمنا الفتحُ المديحَ بجوده ويُحسنُ حتّى يُحسنَ القولَ قائلُه (١١٩)

وتأتي نماذج الغزل من شعره الذي وقفنا عليه بعد المديح في الكثرة ، وهي نماذج عالية في فنها ، جمع في الفاظها ومعانيها واسلوبها كل ماأمكن من الرقة والرشاقة والمتانة ، منها قوله الذي كان الشاعر نفسهُ . معجباً به حتى روي عنه كما سلف قوله (انا ابن قولي :

صَبٌّ بحبِّ مُتيَّمٍ صَبِّ حُبُّيهِ فوقَ نهايةِ الحبِّ
أشكو إليهِ صَنيعَ جَفوتهِ فيقولُ : مُتْ بتأثرِ الخطبِ
وإذا نظرت الى محاسنهِ أخرجتُهُ عُطْلاً من الذَّنبِ
أَدميتُ باللّحظاتِ وَجنتَهُ فاقتصَّ ناظرُهُ من القلبِ (١٢٠)

ويتفنن أحياناً في غزلهِ فيعبر عن إعجابه بجمال حبيبتهِ ومدى حبه لها على هذا النحو :

وحياةِ هجركِ غيرَ مُعتمدٍ إلاّ لِقَصْدِ الحنْثِ في الحَلِفِ
ماأنتِ أملحُ من رأيتُ ولاّ كَلَفي بحبّكِ مُنتهَى كلفي(١٢١)

وفي شعره نماذج من الاوصاف يصف فيها الغيث والخال والنقع والقيان وشعره .

ويظهر انه كان فخوراً بشعره ، معجباً بقصيده ، الامر الذي جعله يصف

(١١٩) الشعر (٥٥) .
(١٢٠) الشعر (٣)
(١٢١) الشعر (٣٩)

على مانظن إحدى قصائده بقوله :

تَذلُّ إذا ما رضتُها لي صعابُها وتأبى على غيري إذا ما يُريدُها
تسيرُ مسيرَ الشَّمس شرقاً ومغرباً ويحلو بأفواهِ الرِّجالِ نشيدُها(١٢٢)

وحضر مجلس أُنس وغناء فراقه مارأى فيه من القيان العازفات على الاعواد فقال يصفه وصفاً جميلاً دقيقاً على هذا النحو :

أَعددتُ للحربِ شربَ كأسٍ وميلَ سمعٍ الى قيانِ
تظلُّ أوتارهنَّ تحكي فصاحةً منطقَ اللِّسانِ
مابينَ يُمنى وبينَ يُسرَى وحيُ بنانٍ الى بنانِ
ضمير قلبٍ بقرعِ كفٍّ أبداهُ بَمّانٍ ناطقانِ (١٢٣)

وفي شعره اوصاف للخمر والكأس والنديم ، تدل على قدرته في الوصف وبراعته فيه ، ولعل من أحسنها قوله :

لمّا بَدا من أَواخرِ الغَلَسِ أَقبلَ صبحٌ كغُرَّةِ الفَرَسِ
نبهّتُ ندماني الى مسعدٍ زينَ بكأسٍ كشعلةِ القَبَسِ
فقلت خذْ من أخيكَ صافيةً أَطيبَ من نَيْلِ قُبلةِ الخَلَسِ
فقامَ من شِدَّةِ الخُمارِ لهُ كفٌّ فَروقٍ وقلبُ مفترسٍ (١٢٤)

وفي شعره نماذج من الهجاء ، منها هجاء بعضهم لقعوده عن الاضافة (١٢٥) ومنها هجاء أبي الصقر اسماعيل بن بلبل (١٢٦) ، ومنها هجاء الكتاب الذين نكبهم الواثق (١٢٧) ، ومنها هجاء رجل أساء الى أحد أصدقائه ومقربيه (١٢٨).

---

(١٢٢) الشعر (١٤)
(١٢٣) الشعر (٦٥)
(١٢٤) الشعر (٣٥)
(١٢٥) انظر الشعر (٤٣)
(١٢٦) انظر : الشعر (٤٤)
(١٢٧) انظر : الشعر (٦٣)
(١٢٨) انظر : الشعر (٧١)

وقلنا في حديثنا عن صفاته ان الهجاء لم يكن من سمات الرجل ولا من طبيعته ، ولهذا لم نجده قد اشترك في مهاجاة أحد الشعراء او الأدباء ، كما كان عليه الحال عند أغلب الشعراء في عصره (١٢٩) .

والحق ان هجاءه لابن بلبل والكتاب الذين نكبهم الواثق هجاء سياسي لا شخصي فالشاعر كان من مؤيدي العباسيين ومعاضديهم ، ومن اجل هذا كان يقف الى جانب الخلفاء في اعمالهم وتصرفاتهم .

ان ماأثر له من هجاء خالٍ من البذاءة والفحش ، وهذا ان دل على شيء فإنما يدل على ترفع الرجل عن الطعن في الاعراض او النيل من الحرمات وهذا دليل آخر على ان الهجاء لم يكن من الفنون التي كانت تستهويه ، او تحتل مكاناً فسيحاً من شعره ونفسه ، ولعل أقسى ماجاء في هجائه قوله :

ذهبَ الزّمان بِرهطِ حسانِ الأولى
كانتْ مناقِبُهم حديثَ الغابرِ
وبقيتُ في خلْفٍ تحلُّ ضيوفُهمْ
فِيهم بِمَنزلةِ اللّئيم الغادرِ
سودُ الوجوهِ لئيمةٌ أَحسابُهمْ
فُطْسُ الأنوفِ منَ الطِرَازِ الآخرِ (١٣٠)

وفي شعره شيءٌ من الحماسة والفخر ، فهو يفخر بكرمه وباستقبال

(١٢٩) من الجدير بالذكر ان التوحيدي ذكر في البصائر والذخائر (٣٨٨/١) مايشير الى اتهام ابن أبي فنن بالهجاء ، قال : (نزل ابن أبي فنن الشاعر في جوار زرياب المغنية فكايدته جارية من جواريها ، فقالت له : ياشيخ تحول من جوارنا ، لايقول الناس هذا الهجاء أبو هذه المغنية ، فقال لها : الذي يلزمني من العار أكبر ، لان الناس يقولون هذا الشاعر ابو هذه الق . . .) . ويخيل الينا ان مافي هذه الحكاية من الدلالة على الدعابة وحضور البديهة أكثر من الحقيقة .

(١٣٠) الشعر (٢٧)

ضيفه (١٣١) ، ويأبى الوقوف على الابواب طالباً مستميحاً (١٣٢) ، وهو يترفع عن الغدر ولا يريد مخادعة نفسه فيبقى ساهراً متلدداً اذا ماوجد من يهواه عزوفاً عنه (١٣٣) ،وهو صبور جليد إذا مادهمه همّ ، او حزبه أمر ، لايتضرع ولا يلين، ولا يبدى ما يدل على الفزع والهلع على الرغم من انطواء أحشائه على مايشبه أطراف الاسنة (١٣٤) ، الى غير ذلك من السجايا الكريمة والشمائل الرفيعة التي تهذب النفس وتقومّها والتي تدل على تماسك الشخصية وقوة الارادة (١٣٥) .

ونرى ان نجتزي في هذا الفن بمثال واحد ، وهو فخره بكرمه واتلاف ماله في سبيل قِرى الضيف ، وكسب الفعل الجميل ، والصيت الحميد ، وهو يحاول التعبير عن هذا الامر بالمقارنة بين اتلاف المال وبين الأثر الخالد الذي يكسبه الانسان من جراء هذا الانفاق او الاتلاف ، وهو يشير ايضاً او يقارن بين نارين :

نار البخيل التي لاتجلب لصاحبها ضيفاً ولا كرماً ، ونار الكرم التي ترشد بارتفاعها الضيف الى موقدها . ويعقد مقارنة ايضاً بين الزادين : الزاد الذي ينطوي فيه صاحبه على نفسه ولا يشرك معه أحداً ، والزاد الذي يقدم للمعتفين فينالون منه ماينالون ، وهو يرى ان على الانسان الذي يلهج ويلح على الآخرين أن يكونوا كرماء ، أن يتحلى هو بهذه الصفة قبل غيره ، فأذا ماقصر فيها وأخلّ فينبغي أن يلام أكثر من أيّ إنسان آخر بإخلاله بها ، يقول :

ذَريني واتلافي التـلادَ فانني ... أُحبُ من الأفعالِ ماهو أجملُ
فأحمد ناريَّ التي تـُوجبُ القِرى ... عليّ ، وزاديّ الجميلُ المعجّلُ

(١٣١) انظر : الشعر (٤٣)
(١٣٢) انظر : الشعر (١٩)
(١٣٣) انظر : الشعر (٤٥)
(١٣٤) انظر : الشعر (٢٥)
(١٣٥) انظر : الشعر (٤٦) ، (٥٠)

وأنَّ أحقَّ الناسِ باللّومِ شاعرٌ يلومُ على البخل الرجالَ ويبخلُ (١٣٦)

وفي شعره فنون أخرى كما اسلفنا – كالحكمة (١٣٧) ، والاخوانيات (١٣٨) ، والتعريض (١٣٩) والعتاب يمكن الوقوف عليها في أماكنها من النصوص.

ان ماوصل الينا من شعر الرجل نماذج اجتباها أصحاب المصنفات والمؤلفات وهي تكاد تكون كلها في مستوى واحد من حيث اصطفاء اللفظ ، ونقاء العبارة ، ومتانة الاسلوب ، وتركيز المعنى . ومما يلحظ في شعره انه كثيراً ماكان يستقطب في البيت والبيتين المعنى المراد فيستوفيه ، ولعل هذا من أسباب اختيار الكثيرين من ارباب المصنفات البيت او البيتين من شعره . وان نظرة عجلى على ماجمعناه من شعره تؤيد هذا وتؤكده .

بينه وبين سواه :

كان ابن أبي فنن يتكئ على نفسه وثقافته وشاعريته في شعره ، ولكنه كان أحياناً – كأكثر الشعراء ان لم يكن كلهم – يعجب بشعر أحدهم فيرى ان يحتذي حذوه ، ويطعّم شعره به ، ولكنه لم يفعل ذلك لقصور موهبته ، وتقصير شاعريته ، ورغبته في السطو والاغارة على نتاج الآخرين ، بدليل إضافته وتحسينه لأكثر مايأخذه او يستعين به من شعر الآخرين .

فقد ذكر المرزباني عن بعض أصحابه ان ثعلباً قال : (مما يعاب على قيس ابن الخطيم قوله :

كأنها عود بانة قصف

لان المرأة انما تشبه بالعود المتثني لا بالمتقصف . قال الشيخ ابو عبدالله المرزباني رحمه الله تعالى : فأخذه ابن أبي فنن فقال في وصيف الخادم الصغير :

---

(١٣٦) انظر : الشعر (٤٩)

(١٣٧) انظر : الشعر (٢٢ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٧) .

(١٣٨) انظر : الشعر (٢٣)

(١٣٩) انظر : الشعر (٢٦) .

أيُّها الظّبيُ المليحُ الـ ... قَدّ مجدول مُهفهفْ
أنا من ميلكَ في مشـ ... يكَ مَرعوبٌ مخـوّفْ
لا تَميلـــنّ فـــانيّ ... خائفٌ أَنْ تتقصفْ (١٤٠)

وتحدث البكري عن بكاء الشعراء فتمثل بنماذج لشعراء قدماء عباسيين ثم قال : (اول من نطق بهذا المعنى وديعة بن درّة جاهلي قديم قال :

لقد قيل من طول اعتلالي بالبكا ... أجدّك لا تلقى لعينيك قاذيا
بلى انْ بالجزع الذي بينَ منشدٍ ... وموبولةٍ لوكان يلقى مداويا

أخذه الحطيئة فقال : . . .

ثم أخذه المحدثون فحسنوه منهم بشار وابو العتاهية وخالد الكاتب في الاشعار المذكورة ، ومنهم ابن أبي فنن فانه قال :

ولمّا أبتْ عينايَ أَن تملكا البكا ... وأنْ تحبسا سَحّ الدُّموعِ السّواكبِ
تَثاءَبتُ كي لاينكرَ الدّمعَ منكرٌ ... ولكنْ قليلاً مابقاءُ التثاؤبِ) (١٤١)

وذكر الخطيب البغدادي عن بعضهم عن المرزباني ان علي بن هارون حدثه فقال : (حدثني عميّ يحيى بن علي قال : قال احمد ابن أبي فنن : انا ابنُ قولي :

صبٌّ بحبِّ مُتيّمٍ صَبِّ ... حُبُّيهِ فوقَ نِهايةِ الحبِّ

. . .

أدميتُ باللّحظاتِ وجنَتهُ ... فاقتصّ ناظرُهُ من القلبِ

(١٤٠) الموشح ٥٣١ . مما يجدر ذكره ان ابن الرومي خطأ ابن أبي فنن في هذا، جاء في الموشح ايضاً : (فحدثني المظفر بن يحيى ، قال : قال ابن الرومي في بيت ابن ابي فنن هذا إنما اراد انه يميل من لينه ونعمة اعضائه ، فأسرف حتى أخطأ . وذلك انه جعل اللين المفرط يتقصف ، وانما كان ينبغي أن يقول : لو عقد لانعقد من لينه فضلا عن أن يميل ، وهو سليم من التقصف ، وأنشد لنفسه يعارض ذلك :

ايهـا القائل اني ... خائف أن تتقصف
ليس هذا الوصف إلا ... وصف مصلوب مجفف

(١٤١) سمط اللآلئ ١/١٩٧

قال علي بن هارون : وهذا البيت الأخير من هذه الابيات هو عينها ، وأخذه ابن أبي فنن مما أنشدنيه أبي لابراهيم بن المهدي :

يامَن لقلبٍ صيغَ من صخرةٍ   في جسدٍ من لؤلؤٍ رَطْبِ
جرحتُ خديهِ بلحظي فما   بَرِحتُ حتىً اقتصٌ من قلبي) (١٤٢)

وجاء في دلائل الاعجاز : (وشبيه بهذا الفصل فصل آخر من هذا الكتاب (١٤٣) ايضاً : أنشد لابراهيم بن المهدي :

يامن لقلبٍ صيغ من صخرةٍ (البيتان)

ثم قال ، قال علي بن هارون : أخذه احمد بن أبي فنن معنى ولفظاً ، فقال :

أدميت باللحظات وجنته   فاقتصّ ناظره من القلب

قال : ولكنه بنقاء عبارته وحسن مأخذه قد صار أولى به) (١٤٤) .

وجاء في المختار من شعر بشار :

(قال ابو معاذ (بشار) : . . . .

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا   واسيافنا ، ليل تهاوى كواكبه

أخذه . . . .

وأخذ ابن أبي فنن فقال :

تَرى للنقعِ فوقَهم سماءً   كواكبُها الأسنّةُ والنُّصولُ

وبيت أبي معاذ أفضل وأحسن وأصنع وأرصن ، وهو من محاسن شعره وأفراد أبياته) (١٤٥) .

(وقال العباس بن الاحنف :

---

(١٤٢) تاريخ بغداد ٢٠٣/٤ وانظر الشعر (٣)-
(١٤٣) يريد كتاب المرزباني .
(١٤٤) ص ٣١٤ .
(١٤٥) المختار من شعر بشار ص ١-٣ .

لا جزى اللهُ دمع عيني خيراً ... وجزى الله كل خير لساني
قد وجدت الدموع تفضح سرّي ... ووجدت اللسان ذا كتمان
كنت مثل الكتاب أخفاه طيٌ ... فاستدلوا عليه بالعنوانِ

وقال احمد بن أبي فنن :

خذيني بما يجني لسانيَ واصفحي ... انا عن جنايات الدموعِ البوادرِ
فقد شهرتني مرةً بعدَ مرةٍ ... وأبدتْ برغمي خافيات سرائري
ولو أنَّ عيني طاوعتنيَ لاختفى ... عليَّ الهوى أخرَى الليالي الغوابر
ولكنّها تُبدي إذا ما ذكرتُكم ... بفيضِ مآقيهاخباياالضمائرِ)(١٤٦)

وكما أُعجب ابن أبي فنن بشعر الآخرين فحذا حذوهم فيه واقتبس منه في بعض شعره ، فقد أعجب بعضهم بشعره ايضاً ، فحذا حذوه واقتدى به ان لم يكن قد سطا عليه ، فقد ذكر البكري وهو يتحدث عن الشاعر ماهذا نصه :

١ـ (هو احمد بن أبي فنن . . . وكانت له اغراض مستطرفة ، ومعان مستحكمة منها قوله :

وحياةِ هجركِ غيرَ معتمدٍ ... إلا رجاءَ الحنثِ في الحلِفِ
ماأنتِ أحسنُ مارأيتُ ولا ... كلَفِي بحبّكِ منتهى كلفي

أراد انها أحسن من رأى ، وان كلفه بها فوق كل كلف ، فأقسم بحياة هجرها وتوخّى الخلاف في الجواب لعل الهجر يموت . وان كان ابن المعتز قد أشار إلى هذا المعنى بقوله :

وحياة عاذلتي لقد صارمتُهُ ... وكذبتُ بلْ واصلتُهُ وحياتهِ

إلا أن ذلك أحسن وقائله أقدم ، والفضل للمتقدم ، لان ابن أبي فنن انما شُهر بالشعر في ايام المتوكل) (١٤٧) .

(١٤٦) نفسه ص ١٥٨ .
(١٤٧) سمط اللآلئ ١/٢٤٥

كما استطاع غير واحد ممن عني بشعر المتنبي ان يقفنا على أخذه من شعر ابن أبي فنن او اقتبسه من الفاظه ومعانيه .

٢ـ جاء في المنصف في الدلالات على سرقات المتنبي :

(وقال المتنبي :

قفا قليلاً بهـا عليّ فلا أقـلّ من نظـرةٍ أزوّدُها

وقال ابن أبي فنن :

ماضرَّ لو زوّدتِ خِلّكِ نظرةً قبلَ الرَّحيلِ وقلتِ قولاً يجمل(١٤٨)

٣ـ (وقال المتنبي :

أعيذكم من صروف دهركمُ فانّـه في الـكرام متّهـمُ

قال ابن أبي فنن :

أودَى الزّمان بإخواني ومزّقَهُمْ

إنّ الزّمانَ على الإخوانِ متّهمُ) (١٤٩)

٤ـ قال المتنبي :

تغيبُ المنايا عنهم وهو غائبُ وتقدمُ في ساحاتِهمْ حين يقدم

وهذا من المعكوس ، قال ابن أبي فنن :

قَدمَ النّـدى لمّـا قدمتَ وغابَ عنْهم حين غِبتا (١٥٠)

٥ـ (وقال المتنبي :

وجرين مجرى الشمس في أفلاكها فقطعن مغربهـا وجزن المطلعـا

وقال ابن ابي فنن :

تذلُّ إذا مارضتهُا لي صعابهُا وتأبى على غيري اذا مايريدُها

---

(١٤٨) ص ١٢٨ .

(١٤٩) ص ٣٣٩ .

(١٥٠) ص ٣٩٥ .

تسيرُ مسيرَ الشمسِ شرقاً ومغرباً ويحلو بأفواهِ الرّجالِ نَشيدُها

. . . فقول ابن أبي فنن (شرقاً ومغرباً) أجود من قوله ؛ لانها اذا قطعت المغرب فمعلوم انها قد جاوزت المطلع) (١٥١) .

٦- (وقال المتنبي :

كأنّ الحزن مشغوف بقلبي فساعة هجرها يجد الوصالا

معكوس هـذا من قول ابن أبي فنن :

اعرني ما تكون بي اللّيـالي إذا ماقيلَ قد وصلَ الحبيب (١٥٢)

٧- (وقال المتنبي :

وأقسم لو صلحت يمين شيْ لمـا صلح العبـاد له شمالا

قال ابن أبي فنن :

قد فضلت الملوك بأساً وجوداً مثل مايفضل اليمين الشمالا) (١٥٣)

وجاء في الوساطة بين المتنبي وخصومه :

٨- (وقول ابن أبي فنن :

يعلّمنا الفتحُ المديحَ بجودهِ ويُحسنُ حتىّ يُحسنَ القولَ قائله

ومثله لابي الطيب :

أحييتَ للشعراء الشعر فامتدحوا جميع من مدحوه بالذي فيكا) (١٥٤)

٩- (احمد بن أبي فنن :

حانَ الرحيلُ وقد أوليتنا حَسَناً والآنَ أحوجُ ماكنـا الى زادِ

ابو الطيب :

---

(١٥١) ص ٤٠٦ .

(١٥٢) ص ٤٥٧ .

(١٥٣) ص ٤٦٧ وانظر ايضاً : ٢٤٤ ، ٣٨٤ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ .

(١٥٤) ص ٢٣٥ .

وقـــد نظرتك حتى حان مرتحل وذا الوداع فكن أهلاً لما شئنا)(١٥٥)

وجاء في التبيان :

١٠ـ (قال المتنبي :

وعلّموا الناس منك المجد واقتدروا على دقيق المعاني من معانيكا

وهذا من قول ابن أبي فنن :

يعلّمنا الفتـــحُ المديحَ بجـــودهِ
ويُحسنُ حتى يُحسنَ القولَ قائله) (١٥٦)

١١ـ (قال المتنبي :

أين أزمعت أيهـــذا الهمـــام نحن نبت الرُّبا وأنت الغمام

. . . والبيت مأخوذ من قول ابن أبي فنن :

لعُمـــركَ إنّني وأبا علّيٍ كنبتِ الأرضِ تصلحه ُالسّماءُ)(١٥٧)

٢ ـ النص

ـ أ ـ

ـ ١ ـ

قال احمد بن أبي فنن (وافر)

١ ـ لَعَمرُكَ إنّني وأبا علّيٍ كَنَبْتِ الارضِ تُصلحُهُ السّماءُ

التبيان في شرح الديوان ٣/٣٤٣ .

ـ ٢ ـ

وقال : (خفيف)

١ـ لو تَشهّيتِ غيرَهُ كانَ أولَى مـــن أ . . الدّناةِ والضّعفـــاءِ

(١٥٥) ص ١٩٧ .

(١٥٦) ٢/٣٧٨ .

(١٥٧) ٣/٣٤٣ .

٢- إنَّ أدنى الأ . . . عندي مَنالاً   شهواتُ الأكفاءِ لِلأكفاءِ

بدائع البدائه ١٤٨ وفيه : (ومن ذلك ماروى احمد بن أبي فنن ، قال : دخل ابو نواس على الذلفاء جارية ابن طرخان ، ودخل على اثره مروان بن أبي حفصة ، فرفعه مولاها عنه ، فغضب وقال : أجيزي لجرير :

غيضن من عبراتهن وقلن لي   ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فقالت : وكانت تشبب بالرشيد :

هيجت بالبيت الذي أنشدتني   حباً بقلبي للإمام دفينا

فقام ابو نواس عند ذلك ، وخرج وهو ينشد :

عجباً من حماقة الذلفاء   تتشهى فيا . . . الخلفاء

قال ابن أبي فنن : فأجزت أنا قول أبي نواس ، وأكثر الناس يروونه له .
والجدير بالذكر ان ديوان أبي نواس طبعة الغزالي والحديثي لايشتمل على البيتين .

(ب)

— ٣ —

وقال :   (كامل)

١- صَبٌّ بحبِّ مُتَيَّمٍ صَبٍّ   حُبِّيهِ فوقَ نِهايةِ الحبِّ

٢- أشكو إليهِ صَنيعَ جَفوتهِ   فيقولُ : مُتْ بتأسّرِ الخَطْبِ

٣- وإذا نظرتُ الى مَحاسنه   أخرجتُهُ عُطْلاً من الذَّنبِ

٤- أدميتُ باللّحَظاتِ وجنتَهُ   فاقتصَّ ناظرُهُ مِن القلبِ

تاريخ بغداد ٢٠٣/٤ والوافي بالوفيات ٤٢٣/٦ ، والثاني والثالث في تمام المتون ٣٦٢ ، والرابع في دلائل الاعجاز ٣١٤ .
١- الوافي : (صب بهجر) ٢- تمام المتون (جفونه بأيسر الخطب) والاولى محرفة .

— ٤ —

وقال :   (سريع)

١- ما ضاقتِ الأرضُ على راغبٍ   يَطّلبُ الرِّزقَ ولا ذاهبِ

٢- بلْ ضاقتِ الأرضُ على صابرٍ   أصبحَ يشكو جَفوةَ الصَّاحبِ

٣ــ مَنْ شَتَمَ الحاجبَ في ذَنبه فإنّما يقصِدُ للصّاحبِ

٤ــ فارغبْ الى الله وإحسانهِ لا تَطلبِ الرّزقَ من الطّالبِ

رسائل الجاحظ ٢/٧٠ وفيه (وأنشدني ابن أبي فنن) .

ــ ٥ ــ

وقال : (طويل)

١ــ تَراهُ على العِلاّتِ يَهتزُّ للندَى كما اهتزَّ مصقولٌ مضاربُهُ عَضْبُ

المنصف في الدلالات على سرقات المتنبي ٤٠٤ .

في الأصل (تهتز) .

ــ ٦ ــ

وقال : (وافر)

١ــ أعرني ما تكونُ بيَ اللّيالي إذا ما قيلَ قد وَصَلَ الحبيبُ

المنصف ٤٥٧ .

(اعرني) كذا .

ــ ٧ ــ

وقال : (طويل)

١ــ دَعا طَرفُهُ طَرفي فأَقبلَ مُسْرِعاً
فأَثّرَ في خَدّيهِ فاقتصَّ من قلبي

٢ــ شَكَرتُ إليهِ ما أُلاقي من الهَوَى
فقال على رغمٍ فُتنتَ فما ذنبي ؟

عيون الأخبار ٤/٨٦ .

ــ ٨ ــ

وقال : (طويل)

١ـ ولمّا أبتْ عينايَ أنْ تَسترا الهوَى
وأنْ تَقفا فيضَ الدُّموع السّواكبِ

٢ـ تَثاءبتُ كي لا يُنكرَ الدَّمعَ مُنكِرٌ
ولكنْ قليلاً ما بَقاءُ التثــاؤبِ

٣ـ أعرَّضتمــاني لِلهــوَى ونَممتمــا
عليَّ ، لَبِئْسَ الصَّاحبانِ لِصاحبِ

الزهرة ٣٢٠/١ ، أمالي القالي ٧٠/١ ، زهر الآداب ١٠٣٩ ، والاول والثاني في المختار من شعر بشار ١٨١ ، وسمط اللآلئ ١٩٨/١ وكررا في ٢٤٤ .

١ـ الأمالي : (تكتما البكا) . الزهر : (تملك البكا) . الأمالي والزهر : (وان تحبسا سح الدموع) ، المختار والسمط : (تملكا وان تحبسا سح) .

٢ـ الزهر : (قليل)

٣ـ الزهرة (للندى ونممتما) .

ـ ٩ ـ

وقال : (مجزوء الوافر)

١ـ بِكَفّ مُقَرطَقٍ خَنِثٍ تَطيبُ بطيبهِ الرِّيــبُ
٢ـ تَراها وهي في كفّيــ ـهِ من خدَّيهِ تَلتهبُ

نهاية الأرب ١٣٠/٤

(ت)

ـ ١٠ ـ

وقال : (وافــر)

١ـ أعاذلُ انَّ لومَكَ لي عَناءٌ فحسبُكَ قد سَمعتُ وقد عَصيتُ

محاضرات الأدباء ١٠٢/٣ .

– ١١ –

وقال : (طويل)

١– كَبَا الدّهرُ بي فاستلّني من جِرانهِ
وقَدْ كنتُ لاقيتُ المَنيّةَ أو كدتُ

٢– وحكّمني في مالهِ وجيادهِ
وخيّرني بينَ الحكومةِ فاخترتُ

محاضرات الأدباء ٢٦٩/١

– ١٢ –

وقال : (طويل)

١– يقولُ لنا في الجمعةِ السّبتُ موعدٌ
وهلْ جُمعةٌ إلاّ ومِن بَعدِها سبتُ ؟

محاضرات الأدباء ٥٥٩/٢

– ١٣ –

وقال : (مجزوء الكامل)

١– قَدِمَ النّدَى لمّا قدمـ ـتَ ، وغابَ عَنْهم حينَ غِبتا

المنصف (٣٥٩)

(غبتا) في الأصل (غبنا) .

(د)

– ١٤ –

وقال : (طويل)

١– تذلُّ إذا ما رُضتُها لي صِعابُها
وتأبَى على غيري إذا ما يريدُها

٢ـ تَسيرُ مَسيرَ الشّمسِ شَرقاً ومَغرباً

ويَحلو بأفواهِ الرّجالِ نَشيدُها

المنصف ٤٠٦

١ـ الاصل : (وتاتى تريدها)

— ١٥ —

وقال : (مجزوء الرجز)

١ـ أَطيبُ في الكأسِ إذا جاءَتْكَ من رِيحِ الـوالدْ

محاضرات الأدباء ٦٨٨/٢

— ١٦ —

وقال : (متقارب)

١ـ خلـوتُ فنادمتُها ساعـةً على مثلِها يَحسُدُ الحاسدُ

٢ـ كأنّا وثوبُ الدُّجَى مُسْبلٌ عَلينـا لِمُبصرِنا واحـدُ

أمالي القالي ٢٢٦/١ ، والثاني في المرقصات والمطربات (٥٢) .

٢ـ المرقصات (كأنا جميعاً وثوب الدجى) .

— ١٧ —

وقال : (رمل)

١ـ جَدِّدِ اللّذّاتِ فاليومُ جَـديدُ

وامضِ فيما تَشتهي كيفَ تُريدُ

٢ـ والهُ إنْ أمكنَ يـومٌ صالحٌ

إنَّ يومَ الشّربِ ـ لا كانَ ـ عَتيدُ

ديوان المعاني ٣١٥/١ ، نهاية الأرب ١١٨/٤

٢ـ ديوان المعاني : (الى ان أمكن) ولا يستقيم الوزن . نهاية الارب (ماأمكن) .

— ١٨ —

وقال : (متقارب)

١— أَقولُ وجُنحُ الدُّجَى ملبدُ والمَيلِ في كلِّ فَجٍ يَـــدُ
٢— ونحنُ ضَجيعان في مُجْسد فلّله ما ضُمِّنَ المُجْسَـــدُ
٣— أيا ليلةَ الوصلِ لا تَنفدي كما لَيلةُ الهَجرِ لا تَنفــدُ
٤— ويا غدُ إنَ كنتَ لي راحِماً فلا تَدنُ من ليلَتي يا غدُ

الابيات في ديوان المعاني ٣٤٥/١ منسوبة الى ابن أبي فنن،وهي في شرح المقامات ٧٩/٢ وحماسة الظرفاء ١٢٠/٢ ، ونثار الازهار (١٥) والمستطرف ٢٢/٢ ، ٢٣ ، والاول في التشبيهات (١٩)،وهي في كل هذه المصادر منسوبة الى عبدالصمد بن المعذل والاول والثاني في كنايات الادباء والأبيات في شعر عبدالصمد بن المعذل ٨٢ — ٨٣ .
(١٧) بدون نسبة .
١— حماسة الظرفاء : (وجنح الليل) ولا يستقيم الوزن .
٢— ديوان المعاني وشرح المقامات والمستطرف (مسجد المسجد) تحريف الكنايات (ما ضمه) .
٣— حماسة الظرفاء ، والمستطرف (لى محسناً) .

— ١٩ —

وقال : (بسيط)

١— الموتُ أهونُ من طولِ الوقوفِ على
باب ، عليَّ لِبوّابٍ عليه يَـــدُ
٢— مالي أُقيمُ على ذُلِّ الحِجابِ كأنْ
قد مَلّني وَطنٌ أو ضاقَ بي بَلَدُ

رسائل الجاحظ ٧٣/٢-٧٤ وفيه (وأنشدني ابن أبي فنن) .

— ٢٠ —

وقال : (بسيط)

١— أَحِينَ كَثّرتَ حسّادِي وساءَهمُ
جميلُ فعلكَ بي أَشمَتَّ حسّادِي

٢- فإنْ تكنْ هَفوةٌ أو زلَّةٌ سلَفتْ
فأنتَ أَولَى بتقويمي وإرشادي

محاضرات الأدباء ٢٣٢/١

— ٢١ —

(بسيط)

١- حانَ الرَّحيلُ وقد أوليتَنا حَسَناً والآنَ أَحوجُ ما كُنا الى زادِ

الوساطة بين المتنبي وخصومه ١٩٧ .

— ٢٢ —

وقال : (متقارب)

١- أرَى الدَّهرَ يُخلقني كلّما لَبِستُ من الدَّهرِ ثوباً جَديدا

التمثيل والمحاضرة ٩٢ ، ونهاية الارب ٩٣/٣

(ر)

— ٢٣ —

وقال : (مجزوء الكامل)

١- أَبنـي حسينٍ إنّني أَصبحتُ في كَنَفِ الأميرِ
٢- ولنا مَعاشٌ في قطيـ ـعته على الماءِ النّميرِ
٣- وبَنيتُ بيتاً عندَهُ سَمّيتُهُ بَيتَ السُّرورِ
٤- وإذا حضرتُ فِناءَهُ وشَرِبتُ من حلَبِ العصيرِ
٥- فكأنّني في نِعمتي رَبُّ الخَورنقِ والسّديرِ
٦- لولا تَردُّدُ حاشرٍ كالكلب في اليومِ المَطيرِ
٧- غادٍ عليَّ ورائحٌ يَصِلُ الرَّواحَ الى البُكورِ

٨- فإذا بَدا لي وجهُـــهُ أُخرجتُ صُفْراً من سروري

٩- فَهلِ الأميــرُ بفضلــهِ من قُبْــحِ طلعتهِ مُجيري

طبقات الشعراء ٣٩٦ - ٣٩٧ ، الديارات ١٢٥

٢- الديارات : (ولنا معايش) .

٣- الديارات : (بيتاً وسطه)

٤- الديارات : (فاذا جلست إزاءه)

٥- الديارات : (قلت العفا لما رويت على . .)

٦- الديارات : (في يوم مطير)

٧- الطبقات : (صمراً)

٨- الديارات (بجوده)

-٢٤-

وقال : (طويــل)

١- سأكتُم حاجاتي من النّاسِ كلِّهمْ
ولكنّها لِلّه تَبــدو وتَظهـــرُ

٢- لِمَن لا يَردُّ السّائلينَ بِخَيبـةٍ
ويَدنو من الدّاعي فيُعطي فيُكثرُ

المنتحل ١٩١

- ٢٥ -

وقال : (طويــل)

١- ألا رُبَّ هَمّ ٍ يَمنعُ النّومَ دونَهُ
أَقامَ كقَبْضِ الرّاحتينِ على الجمرِ

٢- بَسطتُ لهُ وجهي لِأكبتَ حاسداً
وأَبديتُ عن نابٍ ضَحوكٍ وعن ثغرِ

٣- وشَوقٍ كأَطرافِ الأسنّةِ في الحَشَا
ملكتُ عليهِ طاعةَ الدّمعِ أنْ يَجري

المنتحل ١٦٧

— ٢٦ —

وقال في محمد بن حمدون بن اسماعيل : (كامل)

١- ولقد رأيتُ ببابِ دارِكَ جَفوةً
فيها لحُسنِ صَنيعةٍ تَكديـرُ

٢- ما بالُ دارِكَ حينَ تُدخلُ جَنّةً
وببابِ دارِكَ مُنكرٌ ونَكـيرُ

رسائل الجاحظ ٥٠/٢

— ٢٧ —

وقال : (كامل)

١- ذهبَ الزّمانُ بِرهطِ حسّانِ الأولَى
كانتْ مَناقبُهمْ حَديثَ الغابـرِ

٢- وبَقيتُ في خَلْفٍ تَحلُّ ضيوفُهُمْ
فِيهمْ بِمنزلةِ اللّئيمِ الغـادرِ

٣- سُودُ الوجوهِ لَئيمـةٌ أَحسابُهُمْ
فُطْسُ الأُنوفِ من الطِّرازِ الآخرِ

المنصف (٧٣) ، ومعاهد التنصيص ٦/٤

— ٢٨ —

وقال : (سريع)

١- لـم أَقبلِ الصّحـةَ بالشُّـكرِ
عَبثْتُ بالحبِّ ولـم أدرِ

٢ـ حتّى إذا باشرتُ أَهــوالَــهُ
وصِرتُ مَغلوبــاً على أمــرِي

٣ـ غَدَتْ بِصَبْرٍ فوَجدتُ الــهوى
قد غَلّبَ الحبُّ على صَـــبرِي

محاضرات الأدباء ٣/٨٩
١ـ (الصحة) : كذا فهل الاصل (الصحبة) .
٢ـ (أهواله) : في الأصل (أهوله)
٣ـ (غدت) كذا ولعلها (عذت)

ـ ٢٩ ـ

وقال : (منسرح)

١ـ أطيبُ من قُبلةِ الحبيبِ وقــدْ جادَ بِها مُسْرِعاً على حَذَرِ

محاضرات الأدباء ٢/٦٨٨

ـ ٣٠ ـ

وقال : (مجزوء الرمل)

١ـ عَيّرتْني الشّيبَ أَســما ءُ وقــد شــابَ العِــذارُ
٢ـ ولهــا إنْ بَقيتْ منّـــ ـــي قِنــاعٌ وخِمـــارُ
٣ـ إنّمــا الدُّنيا ومــا فيـــ ـــها مَتــاعٌ مُســـتعارُ
٤ـ ليسَ يُنجي حَذَراً مِمّــا قَضــى اللهُ الحــــذارُ
٥ـ لا ولا لِلحــرِّ إنْ ضِيـــ ـــمَ على الضَّيـــم قَرارُ
٦ـ إنّمــا الفَتحُ لنــا غَيــ ـــثُ إذا ضَنّ القِطـــارُ
٧ـ والى الفتح إذا مـــا ذُكــرَ الجـــودُ يُشــار

البصائر والذخائر ٤/١٠٩

– ٣١ –

وقال : (بسيط)

١– يا حُسْنَ خالٍ بِخدٍّ قد كلفتُ بهِ
كأنّهُ كَوكبٌ قد لُــزَّ بالقمــرِ

المحبوب (٤١٦) . لزبه : لصق به ، ولزمه.

– ٣٢ –

وقال : (بسيط)

١– مَن عاشَ أخلقتِ الأيّامُ جدّتَهُ
وخانَهُ الثّقتانِ : السّمعُ والبصــرُ

٢– قالتْ عَهدتُكَ مَجنوناً فقلتُ لهــا :
إنَّ الشّبابَ جُنونٌ بُــرؤهُ الكِــبَرُ

عيون الأخبار ٣٢٠/٢ ، والعقد الفريد ٥٧/٣ ، والاول في: أمالي اليزيدي ١٥٧ وحماسة الظرفاء ١٥/٢ ، وشرح المقامات ١٩٥/٢ (منسوب الى ابن ابي معن تحريف) وبدون نسبة في كتاب الآداب ١٣٣ ، والدرة الفاخرة في الامثال السائرة ٥٢٢ .
١– العقد (ثقتاه) . الآداب : (بفناه) : تحريف .

– ٣٣ –

وقال : (طويل)

١– خُذيني بما يَجني لسانيَ واصفحي
لنا عَن جِناياتِ الدُّموعِ البَوادرِ

٢– فقد شَهَرَتْني مَرّةً بَعدَ مَرّةٍ
وأبَدَتْ بِرغمي خافياتِ سرائِري

المختار من شعر بشار ١٥٨ .

(س)

— ٣٤ —

وقال : (متقارب)

١— لَئِنْ ظَلَّ مِن وَجدهِ مُثْرِياً لقدْ ظَلَّ مِن صَبرهِ مُفْلِسا

محاضرات الأدباء ٣/٨٩

— ٣٥ —

وقال : (منسرح)

١— لمّا بَدا مِن أواخرِ الغَلَس
أَقبلَ صُبحٌ كَغُرَّةِ الفَرَسِ

٢— نَبّهتُ نَدماني الى مُسْعِدِ
زينَ بِكأسٍ كَشُعلةِ القَبَسِ

٣— فقلتُ : خُذْ من أَخيكَ صَافيةً
أَطيبَ من نيلِ قُبلةِ الخَلَس

٤— فقامَ مِن شِدَّةِ الخُمارِ لَهُ
كفٌّ فَروقٍ وقَلبُ مُفترِسِ

قطب السرور (٤٣٠) وفيه هذا التعليق حول لفظة (فنن) : (وردت الكلمة غير مقروءة ، ونظن ان المقصود احمد بن أبي فنن) .

٢— في هامش القطب : (في الأصل : لين ، ولا معنى لها ، والبيت غير واضح المعنى) .

— ٣٦ —

وقال : (بسيط)

١— هَلْ أَنتَ مُنقذُ شِلوِي من يَدَيْ زَمنٍ
أَضحى يَقدُّ أَديمي قَدَّ مُنتهِسِ

٢ـ دَعوتُكَ الدَّعوةَ الأولَى وبي رَمَقٌ

وهذهِ دَعوتي ، والدَّهرُ مُفترِسي

محاضرات الأدباء ٢٦٧/١ نهس اللحم : نهساً أخذه بمقدم اسنانه ونتفه للاكل وانتهس : بالغ في النهس .

(ع)

— ٣٧ —

وقال : (متقارب)

١ـ إذا كنتُ أَرجو نَوال الإمــامِ

وفَتحُ بنُ خاقانَ لي شافعُ

٢ـ فقلْ لِلغريم أَتاكَ الغِياثُ

ولِلضيفِ مَنزلُنا واســعُ

المنتحل ٦٥ ، والبصائر والذخائر ٦٨٨/٢ .

٢ـ المنتحل (أتاك الغنى) .

(ف)

— ٣٨ —

وقال : (بسيط)

١ـ مالي ومالكِ قد كَلّفتِني شَططاً

حَمْلَ السِّلاحِ ، وقَولَ الدّارعين قِفِ

٢ـ أمِنْ رِجالِ المَنايا خِلْتِني رجلاً

أُمسي وأُصبحُ مُشتاقاً الى التّلَفِ

٣ـ أَرَى المَنايا على غيرِي فأكرهُها

فكيف أَمشي إليها بارزَ الكَتِفِ ؟

٤ـ أَخِلتِ أَنَّ سَوادَ اللّيلِ غَيَّرني
أَو أَنَّ قلبيَ في جَنبيْ أَبي دُلَفِ ؟

جمع الجواهر ٩٩ ، زهر الآداب ١٠٣٨ ، تاريخ بغداد ٤١٩/١٢ ، وفيات الأعيان ٧٥/٤، ٣٩/٦ ، وما عدا الثاني في الأغاني ٢٥٦/٨ ، والبديع في نقد الشعر ٧٩ وفي المصدرين الأخيرين بدون نسبة . والرابع في تاريخ بغداد ٢٠٢/٤ .

١ـ الأغاني ، والبديع والوفيات ٣٩/٦ : (إليك عني فقد حملتني) .

٣ـ تاريخ بغداد :

يمشي المنون الى غيري فأكرهها فكيف أسعى إليها بارز الكتف

الأغاني ، والبديع والوفيات : (تمشي المنايا الى غيري) .

الأغاني ، والبديع : (عاري الكتف) .

٤ـ الأغاني : (حسبت أن نفاد المال غيرني وان روحي في)

تاريخ بغداد ٢٠٢/٤ :

لئن حسبت سواد الليل غيرني فان قلبي في حسنى أبي دلف

تاريخ بغداد ٤١٩/١٢ : (أم هل حسبت سواد الليل شجعني) .

البديع : (حسبت أن ثراء المال غيرني) .

الوفيات ٧٥/٤ : (ظننت أن نزال القرن من خلقي) .

الوفيات ٣٩/٦ : (حسبت ان نزال القرن من خلقي) .

والجدير بالذكر ان المصادر ذكرت قصة لهذه الأبيات على الوجه الآتي :

جاء في الأغاني : (اخبرني احمد بن عبيدالله بن عمار قال :)

كنا عند أبي العباس المبرد يوماً وعنده فتى من ولد أبي البختري وهب بن وهب القاضي أمرد حسن الوجه ، وفتى من ولد أبي دلف العجلي شبيه به في الجمال ، فقال المبرد لابن أبي البختري : أعرف لجدك قصة ظريفة من الكرم حسنة لم يسبق اليها ، قال : وماهي ! قال : دعي رجل من أهل الأدب الى بعض المواضع ، فسقوه نبيذاً غير الذي كانوا يشربون منه ، فقال فيهم :

نبيذان في مجلس واحد لإيثار مثر على مقتر
فلو كان فعلك ذا في الطعام لزمت قياسك في المسكر
ولو كنت تطلب شأو الكرام صنعت صنيع أبي البختري
تتبع إخوانه في البلاد فأغنى المقل عن المكثر

= فبلغت الابيات ابا البختري فبعث اليه بثلاثمائة دينار . قال ابن عمار : فقلت قد فعل جد هذا الفتى في هذا المعنى ما هو احسن من هذا . قال : وما فعل ؟ قلت : بلغه ان رجلا افتقر بعد ثروة ، فقالت له امرأته : افترض في الجند ، فقال (الابيات) فأحضره أبو دلف ثم قال له : كم أملت امرأتك ان يكون رزقك ؟ قال : مائة دينار قال : وكم أملت أن تعيش ؟ قال : عشرين سنة . قال : فذلك لك علي على ما أملت امرأتك في مالنا دون مال السلطان ، وأمر باعطائه إياه . قال : فرأيت وجه ابن أبي دلف يتهلل ، وانكسر ابن أبي البختري انكساراً شديداً .

وجاء في جمع الجواهر : (وقيل لأعرابي : اخرج الى الغزو ، فقال : انا والله أكره الموت على فراشي ، فكيف أمشي اليه ركضاً ؟ أخذ هذا المعنى احمد بن ابي فنن فقال مستطرداً يمدح أبا دلف القاسم بن عيسى العجلي . . .)

وجاء في زهر الآداب : (قال ابو العباس المبرد : حدثني عجل بن أبي دلف قال : امتدح رجل أبي بكلمة ، فوصله بخمسمائة دينار ولم يره) .

وجاء في تاريخ بغداد عن أبي بكر الصولي قال : (تذاكرنا يوماً عند المبرد الحظوظ ، وارزاق الناس من حيث لا يحتسبون ، قال هذا يقع كثيراً ، فمنه قول ابن أبي فنن في أبيات عملها لمعنى أراده . . . فبلغ هذا الشعر أبا دلف فوجه اليه أربعة آلا ف درهم جاءته على غفلة) .

وجاء في وفيات الاعيان ٤ – ٧٥ في ترجمة أبي دلف :

(وكان ابو عبدالله احمد بن ابي فنن ، صالح مولى بني هاشم ، أسود مشوه الخلق ، وكان فقيراً ، فقالت له امرأته : يا هذا ان الادب أراه قد سقط نجمه وطاش سهمه ، فاعمد الى سيفك ورمحك وقوسك ، وادخل مع الناس في غزواتهم ، عسى الله أن ينفلك من الغنيمة شيئاً ، فأنشد : . . . فبلغ خبره ابا دلف ، فوجه اليه الف دينار) .

– ٣٩ –

وقال : (كامل)

١– وحَيَاةِ هجرِكَ غيرَ مُعتمِدٍ
إلاّ لِقَصْدِ الحِنْثِ في الحَلِفِ

٢– ما أنتَ أملحُ مَن رأيتُ ولا
كَلَفي بحبِّكَ مُنتهى كَلَفي

زهر الآداب ١٠٣٩ ، وسمط اللآلئ ١/٢٤٥

١– السمط : (الارجاء الحنث) .

٢– السمط : (أحسن مارأيت) .

— ٤٠ —

وقال في وصيف الخادم الصغير : (مجزوء الرمل)

١– أيُّها الظَّبيُ المليحُ الـ ـقَدِّ مَجدولٌ مُهَفْهَفْ
٢– أنا مِن مَيْلِكَ في مشـ ـيكَ مَرعوبٌ مُخَوَّفْ
٣– لا تَمِيلَنَّ فإنّي خائفٌ أنْ تتقصَّفْ

الموشح ٥٣١

(ق)

— ٤١ —

وقال في مدح محمد بن يزيد بن المهلب (الكامل)

١– عَشِقَ المكارمَ فهو مُشتغلٌ بها
والمكرماتُ قليلةُ العُشّاقِ
٢– وأقامَ سُوقاً لِلثناء ولم تكنْ
سوقُ الثّناءِ تُعَدُّ في الأسواقِ
٣– بَثَّ الصَّنائعَ في البلادِ فأصبحتْ
تُجبَى إليهِ مَحامِدُ الآفاقِ

الأبيات في وفيات الاعيان ٣٤١/٦ منسوبة الى ابن أبي فنن وإلى أبي الشيص ، وفي المصدر نفسه ٣٤٣/٦ جاء البيت الثاني مع آخر منسوبين الى يزيد ابن مفرغ الحميري ، وأشار ابن خلكان الى ان الاول منهما مر في ص٣٤١ منسوباً الى ابن أبي فنن. والابيات في الوافي بالوفيات ٢٢١/٥ منسوبة الى ابن ابي فنن وابي الشيص ، وانظر : أشعار أبي الشيص (٨٢) حيث نقل الابيات عن الوفيات .

— ٤٢ — (طويل)

١ – اذا الغيث خِلناهُ وميضَ غَمامة
يَشقُّ الدُّجَى عنّا وعنهُ بَوارِقُه

المنصف (٤٠٣)

في الأصل : (خلنا غمامه) ولعل الوجه ماأثبت .

— ٤٣ —

وقال : (سريع)

١- لا أَشْتمُ الضَّيفَ ولكنني أدعو لَهُ بالقُرْبِ من طَوْقِ

٢- بِقُرْبِ مَن إنْ زارَهُ زائرٌ ماتَ الى الخبزِ من الشّوقِ

عيون الأخبار ٣/٢٤٩ .

— ٤٤ —

وقال في أبي الصقر إسماعيل بن بلبل (سريع)

١- قِفْ يا أبا الصَّقْرِ فكمْ طائرٍ خرَّ صَريعاً بَعدَ تَحليقِ

٢- زُوْجِتَ نُعَمى لم تكنْ كُفُأها قَضَى لها اللهُ بِتَطليقِ

٣- وكلُّ نُعَمى غير مَشكورةٍ رَهْنُ زَوال بعدَ تَمحيقِ

٤- لا قُدِّستْ نُعَمى تَسربلتَها كمْ حُجَّةٍ فيها لِزنديقِ

الوافي بالوفيات ٩/٩٨

(ك)

— ٤٥ —

وقال : (رمل)

١- أنا لا أَبدا بِغَدرٍ أَبَداً فإذا ما غَدَرتْ لم أَترُكْ

٢- واجِداً منها بَديلاً مثل ما وَجَدَتْ مِنّي بَديلاً لا تَشُكْ

٣- أتَراني أَقعُدُ اللّيلَ لها ساهِراً أطلبُ وَصلاً قد هَلَكْ

٤- وهي فيما تَشتهي لاهيةٌ متُّ إنْ دارَ بهذين فَلَكْ

٥- كانَ لِلناسِ وفاءٌ مَرَّةً فانقضَى وانحلَّتْ اليومَ التِكَكْ

الموشح ٩٧

— ٤٦ —

وقال : (خفيف)

١– ليسَ لي في العُلا شَرِيكٌ ولا الفقـ ـــرِ ولي في الثّراءِ ألفُ شَرِيكِ

محاضرات الأدباء ٢/٥٢٩

(ل)

— ٤٧ —

وقال : (وافر)

١– صَحيحُ الودِّ لو يُمسي عَليلا لتكتبَ أو نَرَى منكم رسولا

٢– أراكَ تَسومُهُ الهجرانَ حتّى إذا ما اعتلَّ كنتَ له وَصولا

٣– فرُدَّ ضَنَى الحياةِ بِوصلِ يومٍ يكونُ على رضاكَ له دَليلا

٤– هما مَوتانِ : موتُ ضنىً وهجرٍ وموتُ الهجرِ شرُّهما سبيلا

تاريخ بغداد ٤/٢٠٢

— ٤٨ —

وقال : (وافر)

١– تَرَى للنقعِ فوقَهُم سَماءً كواكبُها الأسنّةُ والنُصولُ

المختار من شعر بشار (٢) ، والمنصف (٣٨٤) .

— ٤٩ —

وقال : (طويل)

١– ذَريني وإتلافي التِّلادَ فإنّني أُحبُّ من الأفعالِ ما هو أجملُ

٢– فأحمدُ ناريَّ التي تُرجبُ القِرَى عليَّ ، وزاديَّ الجميلُ المُعجّلُ

٣– وأنَّ أحقَّ النّاسِ باللّومِ شاعرٌ يَلومُ على البُخلِ الرِّجالَ ويَبخلُ

الابيات في الوافي بالوفيات ٦/٤٢٣ ، والاول والثاني في : مجموعة المعاني ٣٣ ، والاول والثالث في المستطرف ١/١٧١ ، والثالث في : مجموعة المعاني ٣٤ ، والتمثيل والمحاضرة ١٨٧ ، وزهر الآداب ٦٥٩ ، وبهجة المجالس ٦٢٩ ، وانوار الربيع ٥/١٦٠ .

١– الوافي : (ايلافي البلاد من الأخلاق) . المستطرف (واتلافي لمالي)

٢– الوافي : (واحمد جرت واحمد زادي القريب)

٣– الزهر : (يلوم على البخل اللئام)

— ٥٠ —

وقال : (طويل)

١ـ بَسطتُ لهُ وجهاً طَليقاً الى النّدى وشَرُّ الوجوهِ ما يُعبّسهُ البخلُ

محاضرات الأدباء ٥٧٧/٢ .

— ٥١ —

وقال : (مديد)

١ـ رُبَّ أمرٍ سرَّ آخرُهُ بعدما ساءَتْ أوائلُهُ

التمثيل والمحاضرة ٩٢ ، نهاية الارب ٩٤/٣

— ٥٢ —

وقال : (كامل)

١ـ ما ضرَّ لو زَوَّدتَ خِلّكَ نظرةً قبلَ الرَّحيلِ وقلتَ قولا تجملُ

المنصف (١٢٨) . (تجمل) : كذا ، فهل الاصل : (يجمل)

— ٥٣ —

وقال : (خفيف)

١ـ قَد فَضلتَ الملوكَ بَأساً وَجُوداً مثلَ ما يَفضلُ اليمينُ الشّمالا

المنصف ٤٦٧

— ٥٤ —

وقال : (طويل)

١ـ لَئِنْ كانَ هذا طيّباً وهو طَيّبٌ لقدْ طَيّبْتهُ من يديكَ الأناملُ

شرح نهج البلاغة ٣٤٢/١٩ منسوب الى ابن أبي فنن ، أخبار البحتري ٩٣ وفيه منسوب الى البحتري برواية ابن أبي فنن ، والبيت غير موجود في ديوان البحتري طبعة الصيرفي .

— ٥٥ —

وقال ايضاً : (طويل)

١ـ يعلّمُنا الفتحُ المَديحَ بجودهِ ويُحسنُ حتّى يُحسنَ القولَ قائلهُ

الوساطة بين المتنبي وخصومه ٢٣٥ ، والتبيان ٣٧٨/٢ .

— ٥٦ —

وقال : (طويل)

١ـ كبابٌ رَشيديٌّ إذا ما رأيتَهُ
(وإنْ كنتَ شَبعاناً قَرِمتَ الى الأكلِ)

بدائع البدائه ٦٩ . الصدر لابن أبي فنن ، واما العجز فليحيى بن علي بن المنجم .

— ٥٧ —

وقال : (خفيف)

١ـ سَرَّ مَن عاشَ مالُهُ فاذا حا سبَهُ اللهُ سَرَّهُ الإعـدامُ

التمثيل والمحاضرة ٩٢ ، والوافي بالوفيات ٤٢٣/٦ ، وفوات الوفيات ٢٧٠/١ ، ونهاية الأرب ٩٤/٣ .

— ٥٨ —

وقال : (كامل)

١ـ الآنَ إذْ لَعِبَ البلا بِكَ زرتَنا هَيهاتَ ما يُقرا عليكَ سلامُ

محاضرات الأدباء ٢٤٨/٣

في الأصل : (اذا يقرأ) ولا يستقيم الوزن ، والوجه ماأثبتناه .

— ٥٩ —

وقال : (طويل)

١ـ أَذاهبةٌ نَفسُ المُتيَّمِ صنعـه وقاتلها ، لم تَدرِ ما صنعَ السّهمُ

المنصف في الدلالات ٢٤٤

كذا البيت .

— ٦٠ —

وقال : (بسيط)

١ـ أودَى الزَّمانُ بإخواني ومزَّقَهم
إنَّ الزَّمانَ على الإخوانِ مُتَّهمُ

– ٦١ –

وقال : (كامل)

١– فإذا هَجرتَ يَعودُ لي سَقَمي وإذا وصَلتَ بَرأتُ من سَقمي

المنصف ٣٢٩

المنصف ٧ : ٤ . في الأصل : (يعود بي) .

– ٦٢ –

وقال : (طويل)

١– ألا رُبَّ مَكروهٍ أُجيبَ دعاؤهُ
وذي أَوَدٍ قوَّمتَهُ فتقوَّما

٢– ومُستسلمٍ للحادثاتِ مَنعتَهُ
بِحزمِكَ أَنْ يُغالَ أو يَتهضَّما

٣– أبَى لكَ حَزمُ الرأي إلا صَرامةً
وبَذلُكَ لِلمعروفِ إلاّ تكرُّما

٤– خَلائقُ غُرٌّ قد بَسطتَ بِبذلِها
لِسانَ الذي يَثني وإنْ كانَ أَعجما

٥- جَمعتَ بِها شَملَ المعالي فأصبحتْ
لديكَ صَفــايا ما يحاذرنَ مَقسما

٦- مَددْنا بأيدينا إليك ، فَراغبٌ
وذو همّة يُمسي له النّجمُ تَوأما

٧- وذو أدَبٍ لولا رجاؤكَ أصبحتْ
بِضــاعتُهُ مَردودةً حيثُ يَمّما

البصائر والذخائر ٨٢٥/٢

٢- في الأصل : (مستسلم) ولا يستقيم الوزن .

(ن)

– ٦٣ –

وقال : (مديد)

١- نَزَلــتْ بالخائنينَ سَنَه سَنَــةٌ لِلنّاسِ مُمتَحَنَــه
٢- سَوّغتْ ذا النّصح بُغيتَهُ وأزالتْ دولــةَ الخــوَنَــة
٣- فتَرى أهــلَ العَفــافِ بها وَهُمُ في دولةٍ حَسَنَــــه
٤- وتَرى مَن جــارَ همّتُــهُ أنْ يؤدّي كلَّ ما احتجنَــه

الأغاني ٢٦٩/٢٠ وفيه عن الكندي (قال : كانت الخلافة في ايام الواثق تدور على ايتاخ وكاتبه سليمان بن وهب ، وعلي اشناس ، وكاتبه احمد بن الخصيب ، فعمل الوزير محمد بن عبدالملك الزيات قصيدة ، واوصلها الى الواثق على انها لبعض أهل العسكر وهي . . . فلما قرأ الواثق الشعر غاظه وبلغ منه ونكب سليمان بن وهب واحمد بن الخصيب ، وأخذ منهما ومن اسبابها الف الف دينار ، فجعلها في بيت المال ، فقال احمد بن أبي فنن) .

-٦٤-

وقال : (مخلّع البسيط)

١- عاشَ بُنَيَّ فَصَارَ مِثلي يَلبسُ ما قد خَلَعتُ عَنّي

٢- فَسرَّني ما رأيتُ منه وساءَني ما رأيتُ مِنّي

فوات الوفيات ١/٧٠ ، والوافي بالوفيات ٦/٤٢٣

١- الوافي : (غدا بنى وراح ماقد نزعت)

٢- الوافي : (وغمني مارأيت مني) .

— ٦٥ —

وقال : (مخلّع البسيط)

١- أَعددْتُ للحربِ شُرْبَ كأسٍ ومَيْلَ سَمعٍ الى قِيانِ

٢- تَظَلُّ أوتارُهنَّ تَحكي فَصاحةَ منطقِ اللّسانِ

٣- ما بينَ يُمنَى وبَينَ يُسرَى وَحْيُ بنانٍ الى بَنانِ

٤- ضَميرُ قلبٍ بِقَرْعِ كَفٍ أبداهُ بَمّانِ ناطقانِ

عيون الأخبار ٤/٨٩ .

— ٦٦ —

وقال : (سريع)

١- أقبلَ كالمُغضبِ في تِيهِهِ يُديرُ عينيْ غيرِ غَضبانِ

٢ــ كأنّما أمستْ لهُ مِنّـةٌ كمنّةِ الفتـحِ بن خاقـانِ

٣ــ فتىً إذا ما جئتَهُ شـاكراً إحسـانَهُ زادَ بإحسـانِ

حماسة الظرفاء ٢/٢٣٣

ــ ٦٧ ــ

وقال : (وافر)

١ــ وكنتُ مُمسّكاً بِبني سعيدٍ فخالسَنيهـمُ ريبُ الزّمـانِ

٢ــ فلمّا أَنْ فقدتُ بني سعيدٍ فَقدتُ الودَّ إلا باللّسـانِ

أمالي اليزيدي ١٥٦ .

(ه)

ــ ٦٨ ــ

وقال : (طويل)

١ــ وعَرصةِ مَجدٍ يكسبُ الحمدَ ربّها
مُمهّدةٍ لِلمجتـدينَ قِبابُهـا

٢ــ إذا صَدرتْ عنها وفـودٌ تَتابعتْ
وفودٌ تَلاها بالنّجـاحِ إيـالُهـا

٣ــ أَرتْها وجوهُ الصّـادرينَ بشـارةً
تُصدّقُها أفراسُها وعتالُهـا

٤ــ جعلتُكَ حِصناً دونَ كلِّ ملمّةٍ
تحاوصُ عيناها ويصرف نابُهـا

٥- ولبّيتُ لمّا أنْ دعوتُ مُشمّــراً

ولا خيرَ في ذي دعــوةٍ لا يجابُها

البصائر والذخائر ٢/٧١٢ - ٧١٣

(ي)

- ٦٩ -

وقال : (طويل)

١- لساني لِليلَى والفؤادُ لِغيرِها وفي لحظِ عَيني مكذبٌ لِلسانيا

محاضرات الأدباء ٣/١٠٦

- ٧٠ -

وقال : (متقارب)

١- إذا كنتَ تَغضبُ من غير ذنبٍ

وتَعتبُ من غيرِ جُرْمٍ علَيّــا

٢- طَلبتُ رِضاكَ فــإنْ عَــزّني

عددتُكَ مَيْتاً وإنْ كنتَ حيّا

٣- قَنِعتُ وإنْ كنتُ ذا حاجــةٍ

فَأصبحتُ من أكثرِ النّاس شيّا

٤- فلا تَعجبنّ بِما في يَــديــكَ

فأكثرُ منهُ الذي في يَــديّــا

عيون الأخبار ٣/٢٨ ، والصداقة والصديق ٢١٣-٢١٤

٢- الصداقة : (فأن عزبي) ٤- الصداقة : (فأكبر منه)

– ٧١ –

وقال في عافية بن شبيب (وافــر)

١– ستَعلَمُ أَنَّ لُؤمَ بَنَي تَميمٍ
سَيَظهرُ منهُ لِلنَّاسِ الخَفِيُّ

٢– وما إنْ ذاكَ أَنَّكَ من تَميــمٍ
ولكــنْ رُبَّما جَــرَّ الدَّعِيُّ

معجم الأدباء ١٥/١٤٨ .



جهد الأصمعي النقدي

« في كتابه فحولة الشعراء »

الدكتور
محمود عبد الله الجادر

كلية الآداب — جامعة بغداد

يختلف مؤرخو حركة النقد الأدبي على تحديد تأريخ دقيق — أو تقريبي — لنشأة النقد عند العرب ، والاختلاف على هذه المسألة نابع في الاصل من الاختلاف على طبيعة النظر إلى العملية النقدية نفسها ، ولهذا كان من الطبيعي أن يذهب بعض الباحثين إلى القول بأن النقد يسبق الإبداع الفني نفسه معتمدين على وضع ما يصاحب المخاض الإبداعي من جهد التنقية والتنقيح والاختيار موضع الجهد النقدي (١) وكان من الطبيعي أيضاً أن يذهب باحثون آخرون إلى القول بأن النقد العربي شهد مخاضه في القرن الثالث ولم ينضج إلا في القرن الرابع الذي شهد الخصومات والمزازنات النقدية بين الشعراء معتمدين على القول بأن العملية النقدية جهد فكري مدعوم بأسس منهجية نظرية أو تطبيقية عامة (٢) .

ويبدو أن كثرة ما قيل لدعم الاتجاهات المتباينة في هذا الميدان لم يدع منفذاً لجديد يقال، فكان حرياً بنا أن نتجنب الخوض في الأمر منذ البداية لولا أن البحث في أثر نقدي مدون مشترط بتحديد موقعه من المجرى

التأريخي للحركة النقدية ، والذي يخيل إلينا أن الأمر لن يتسم بصعوبة ما بالقياس إلى فحولة الشعراء للأصمعي (ت ٢١٦ هـ) ، فهو أقدم نص نقدي مدون وصل إلينا ، ولكن هذه الحقيقة قد لا تعني شيئاً كثيراً في تحديد موقعه التأريخي قدر ماتعنيه طبيعة الحقائق المودعة فيه حيث تبدو التفاصيل موطئة للقناعة بأن الأصمعي ظل يتعامل مع الشعر والشعراء من خلال حصيلة أحكام نقدية تبلورت أو كادت تتبلور في حلقات العلم ومجالس الأدب والنقد التي شهدها عصره ، ثم لم يكد يتجاوز ما كان يتداوله العلماء فيها من ملاحظات ، ويتفقون عليه من أحكام ، إلا في بعض الوجوه ، وتلك حقيقة قد تعني انشداد « فحولة الشعراء» إلى خلاصة آراء اللغويين النقدية التي مثلت اللبنة الأولى في صرح النقد المنهجي العربي ، وذلك حكم لا نريد استباق مناقشته قبل دراسة التفاصيل وملاحظة موقف الأصمعي من توجه سابقيه ومعاصريه من اللغويين والنقاد ، ورصد موقفه المتميز بازاء مسائل نقدية عديدة مبثوثة في أثناء الكتاب .

والذين اطلعوا على (الفحولة) لا يختلفون على أنه كراس صغير لا يكاد حجمه يملأ العين على الرغم من ضخامة عدد الشعراء الذين تناولتهم الأحكام النقدية الموجزة المبثوثة فيه .

ومعروف أن كتاب (الفحولة) هو حصيلة ما رواه ابن دريد من إجابات الأصمعي عن أسئلة تلميذه أبي حاتم السجستاني وما أملاه عليه من ملاحظات وآراء ، ولهذا يبدو من العبث ان نحاول إدراج الكتاب تحت باب معين من أبواب التأليف المعروفة ، فلعل من أعرض عن ذكره ضمن مؤلفات الأصمعي من القدامى كان ينظر إلى هذه الحقيقة الماثلة وهي أن الأصمعي لم يقصد إلى (التأليف) في إجاباته على أسئلة تلميذه ، بل لعله لم يكن يظن أن إجاباته ستجمع بين دفتي كتاب ، وتلك حقيقة تحملنا على الظن بأن عنوان الكتاب (فحولة الشعراء) ليس من وضع الأصمعي نفسه وإنما من وضع أبي

حاتم أو ابن دريد أو ناسخ متأخر ، والاحتمـــال الأخير هو الذي نميل إليه .

وقد نشر الكتاب مرتين : أولاهما بتحقيق تشارلز توري في المجلد الخامس والستين من مجلة جمعيه المستشرقين الألمان سنة ١٩١١ م في ثلاث عشرة صفحة ، وهي النشرة التي قدم لها الدكتور صلاح الدين المنجد ونشرها ببيروت سنة ١٩٧١ م ، والنص العربي فيه يستغرق اثنتي عشرة صفحة ، وقد أشار توري إلى أنه اعتمد في تحقيقه على نسخة خطية موجودة بجامعة ييل نسخها لاندنبرع عن أصل محفوظ بدمشق سنة ١٩٠٠ م (٣)

أما النشرة الثانية فقد أصدرها محمد عبدالمنعم خفاجي وطه محمد الزيني في مصر سنة ١٩٥٣ م معتمدين على نسختين خطيتين أولاهما في مكتبة الأزهر والأخرى في المكتبـــة التيمورية اشارا إلى أنها قـــد تكون منقولة عن نسخة الأزهر نفسها (٤) ، وقد جاءت نشرتهما موافقة لنشرة توري التي لم يشيرا إليها (٥) لا تكاد تخالفها إلا في أمور يسيرة ، أما مواضع التحريف والخطأ والنقص فانهـــا متشابهة في النشرتين بشكـــل ملفت للنظر ، ولهـــذا فاننا نميل إلى الزعم بأن النسخ الخطية التي اعتمدت عليها النشرتان تعود إلى أصل واحد أو أن إحداها أصـــل لبقيتها ، أما وجـــه تميز النشرة المصـــرية من نشرة توري فانه يتمثل في هذه الملاحق التي أودع فيها المحققان ما وقعت أيديهما عليه من آراء الأصمعي المبثوثة في المصادر ، ولاختلاف نمط الطباعة وقع نص (الفحولة) في النشرة المصرية في تسع وعشرين صفحة(الصفحات ١٢ ـــ٤٠ منها) ووقعت الملاحق والفهارس في ثمان وخمسين صفحة(الصفحات ٤١ - ٩٨) .

وعلى الرغم من قدم صدور النشرة الأولى من الكتاب فان الذين تصدوا لدراسة تأريخ النقد العربي من الباحثين المعاصرين لم يكادوا يعرجون عليه عند تناولهم للمنجزات النقدية المدونة وكأنهم فضلوا أن يتابعوا آراء الأصمعي

في مصادر أخرى كالموشح والأغاني رغم أن أكثرها مما هو مثبت في الفحولة أصلاً (٦) والذي يخيل إليّ أن العلة في ذلك متأرجحة بين عدم اطلاع بعضهم على الكتاب أو عزوفهم عن مواجهة الإيجاز الشديد الغالب على النصوص المودعة فيه ، وتفضيلهم مراجعتها في مواضع أخرى تشفعها بتوضيح أو تحديد لمجراها الذي قيلت فيه ، بيد أن ذلك كله لا يعني أن الكتاب لم يحظ بجهد استقرائي سريع أحياناً ، فبين أيدينا مقدمة ناشره الأول (توري) التي تضمنت بعض الملاحظات والانطباعات (٧) ومقدمة النشرة المصرية التي غلب عليها روح الغلو في تقويم أهمية الكتاب غلواً ذهب المحققان معه إلى القول بأنه « كتاب فريد في بابه وموضوعه ، وهو أساس لكتب النقـــد التي ألفت بعد عصر الأصمعي » !! (٨) .

على أن الدكتور بدوي طبانة حاول أن يلم بمادة الكتاب وملامح الجهد النقدي فيه فخرج ببضع ملاحظات أودعها في كتابه : « دراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث الهجري » (٩) .

والمتتبع لهذا الذي أشرنا إليه من كتب تاريخ النقد العربي قادر على أن يكتشف بيسر أن الكتاب لم يحظ بجهد استقرائي أو تحليلي يجلو الحقائق المودعة فيه ، ويشخص قيمتها الفنية ، وموقعها من تفاصيل تطور حركة النقد العربي ، ويوضح طبيعة جهد الأصمعي ومنطلقاته في النظر إلى الشعر والشعراء من خلال الأحكام المتعددة الاتجاهات التي تضمنتها إجاباته عن أسئلة تلميذه أبي حاتم السجستاني .

ولعل من أولى الحقائق التي تنكشف للنظر الدقيق في تفاصيل الكتاب أن ما تضمنه من أحكام لم يصدر عن الأصمعي في مجلس أو مجلسين رغم ما أشرنا إليه من ضآلة حجمه ، والذي يقنعنا بذلك تعدد الآراء بشأن الشاعر

الواحد أحياناً ، وتناثرها في تضاعيف الكتاب ، وتفاوت الموقف أحياناً أخرى من الشاعر الواحد أو الحقيقة المطروحة بشأن شعره ، ويخيل إلي أن بعض هذه المجالس كان مقتصراً على الأصمعي وتلميذه أبي حاتم دون غيرهما ، وذلك ما نستفيده من قول أبي حاتم في أول الكتاب : « وسألته آخر ما سألته قبيل موته من أول الفحول ؟ قال : النابغة الذبياني . ثم قال ما أرى في الدنيا لأحد مثل قول امرىء القيس :

وقاهم جَدُّهم ببني أبيهم   وبالأشقينَ ما كان العقابُ

قال أبو حاتم : فلما رآني أكتب كلامه فكر ثم قال : بل أولهم كلهم في الجودة امرؤ القيس ، له الحظوة والسبق ، وكلهم أخذوا من قوله ، واتبعوا مذهبه » (١٠) ، وهذا ما لا يكون إلا في مجلس خاص ، فرجوع الأصمعي عن حكمه بتقديم النابغة إلى تقديم امرىء القيس مقترن برؤيته تلميذه (يكتب كلامه) ، ومعنى ذلك أن السؤال جرى في مجلس ظنه الأصمعي مقتصراً عليه وعلى تلميذه فكان احتكامه إلى ذوقه وسجيته ، أما (الكتابة) فقد كانت إشارة مؤذنة بنشر الحكم على الناس ، ويبدو أن الأصمعي كان حريصاً على أن لا ينشر عنه ما يخالف اتفاق جمهور العلماء على تقديم امرىء القيس ، بيد أن ذلك كله لا يغرينا بالغلو في تصور (تناقض) بين أحكام الأصمعي الخاصة والعامة ، فعلى الرغم من تعليله المنهجي لتقديم امرىء القيس (له الحظوة والسبق ، وكلهم أخذوا من قوله واتبعوا مذهبه) يبقى النابغة الذبياني من الفحول المقدمين سواء في أحكامه الأخرى المبثوثة في (الفحولة) أو فيما يتخيره من آراء العلماء ويرويه ، فمن ذلك ما رواه أبو حاتم عنه حيث قال : «وسأله رجل : أي الناس طراً أشعر ؟ قال : النابغة . قال : تقدم عليه أحداً ؟ قال : لا ، ولا أدركت العلماء بالشعر يفضلون عليه أحداً » (١١) ومنه ما أثبته أبو حاتم من رواية الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء حيث قال : « قال أبو

عمرو – وسأله رجل وأنا أسمع – : النابغة أشعر أم زهير ؟ فقال : ما يصلح زهير أن يكون أجيراً للنابغة . ثم قال : أوس بن حجر أشعر من زهير ، ولكن النابغة طأطأ منه » (١٢) .

وفي النص الأول نظر ، فان يقدم الأصمعي النابغة تقديماً مطلقاً أمر قد يكون مقبولاً في حدود هذا الموقف الذي نستخلصه من آرائه التي نحن بصدد الحديث عنها ، أما أن يقرر إجماع جمهور العلماء على تقديمه فمسألة لا يوثقها لدينا ما هو معروف من تقدم امرئ القيس سواء في الأحكام النقدية المتداولة أو في الترتيب الطبقي عند أصحاب الطبقات الذين كان جل اعتمادهم في تقديم الشعراء وتأخيرهم على ما يجمع عليه العلماء أو يتفق أكثرهم عليه . .

أما النص الثاني فإنّ الأصمعي يرويه عن أبي عمرو بن العلاء كما هو ظاهر ، وقد رواه أبو الفرج الأصفهاني عن أبي عمرو بن العلاء أيضاً ولكن عن طريق الأصمعي فكأنه نقله من الفحولة (١٣) بيد أن ابن قتيبة والمرزباني وابن رشيق والسيوطي رووا النص للأصمعي نفسه ولم يذكروا أبا عمرو (١٤) وقد كنا نفضل أن نعزو هذا إلى سقوط اسم أبي عمرو من أسانيدهم فلا نتخذه ذريعة لنسبة النص إلى الأصمعي لولا أن ثمة رأيا لأبي عمرو ابن العلاء تنقله بعض هذه المصادر نفسها ومصادر أخرى غيرها هو قوله :
«كان أوس شاعر مضر حتى أسقطه النابغة وزهير فهو شاعر تميم غير مدافع »(١٥)
وهذا رأي لا يعقل أن يكون هو وما نسب إلى أبي عمرو في الفحولة صادرين عن أبي عمرو فعلاً لما هو واضح من تناقضهما ، ولهذا فإننا نرجح أن يكون ما ورد في الفحولة هو للأصمعي نفسه أما منفذ دخول اسم أبي عمرو عليه فلا نظنه إلا ما لحق النسخة التي وصلت إلينا من نقص واضطراب لاسيما في هذا النص وما يسبقه حيث يبدو الربط بين الجمل متهافتاً

بحيث يصح احتمال سقوط عبارات وأسماء أعلام فلعـــل أبا حاتم كان قـــد نقل في هذا الموضـــع رأياً لأبي عمرو بن العـــلاء رواه الأصمعي ثم سقط الرأي من أحد النساخ وبقي اسم أبي عمرو ورأي الأصمعي في أوس والنابغة وزهير فاقترنا حتى بدا أن الرأي لأبي عمرو لا للأصمعي .

ويبقى كتاب (الفحولة) بعد ذلك كله مثقلاً بنصوص أخرى تشير إلى شدة تقديم الأصمعي للنابغة الذبياني بطريقة غير مباشرة ، فهو حين يسوق قول النابغة الجعدي :

تلك المكارم لا قعبان من لبن

لا يلبث أن يعلق دون تردد : « لو كانت هذه القصيدة للنابغة الأكبر بلغت كل مبلغ » (١٦) ولا يخلو تخصيصه النابغة الاكبر (الذبياني) دون غيره من الفحول هنا من دلالة على شدة تقديمه له .

على أن ثمة نصين آخرين يصرح أبو حاتم في أولهما بحقيقة تقديم الأصمعي للنابغة ، ويصرح الأصمعي نفسه في ثانيهما بالحقيقة نفسها ، أما أولهما فقول أبي حاتم : « سمعت الأصمعي عبدالملك بن قريب غير مرة يفضل النابغة الذبياني على سائر شعراء الجاهلية » (١٧) ، وأما الآخر فقوله : « حدثنا الأصمعي ، قال : قيل لحسان من أشعر الناس : ؟ قال : أشعرهم رجلاً أم قبيلة ؟ قيل : بل قبيلة . قال : هذيل . قال الأصمعي : فيهم أربعون شاعر مفلقاً وكلهم يعدو على رجله ليس فيهم فارس . قال أبو حاتم : سألت الأصمعي فمن أشعرهم رجلاً واحداً ؟ قال : أما حسان فلم يقل في الواحد شيئاً ، وأنا أقول : أشعرهم واحداً النابغة الذبياني وانما قال الشعر قليلاً وهو ابن خمسين سنة » (١٨) .

ويبدو بعد ذلك أن علينا أن نلزم الحذر في المسألة كلها ، فأحكام الأصمعي التي ذكرناها قد تبدو حاسمة ، ولكنهـــا تبقى خاضعة للمنطق النسبي الذي

عرفناه في الأحـــكام النقدية التي كانت تصدر عن لغويي القرن الثاني الذين كانوا يفضلون القصيدة أو الشاعر ويقدمونهما ما شاء لهـــم إعجابهم من التقديم حتى إذا وقعوا تحت تأثير قصيدة أخرى أو قصائد شاعر آخر عادوا فأطلقوا حكماً جديداً قد لا يعنيهم أن يكون تكملة أو استدراكاً أو نقضاً للحكم القديم، وتلك قاعدة تطرد في أحـــكام الأصمعي ، فها نحن نلمس لمس اليقين شدة تقديمه للنابغة الذبياني ، ولكننا لا نلبث أن نواجه قوله : « ودريد في بعض شعره أشعر من الذبياني ، وكاد يغلب الذبياني » (١٩) ، ولا يدعو الأمر — كما نرى — إلى تشخيص (تناقض) قدر ما يدعو إلى تأمل بعد التأثر الآني في الحكم الذي احترز فيه الأصمعي احترازاً عندما قال (في بعض شعره) فقيّد ولم يطلق ، وتلك ظاهرة تتكرر في أحكام أخرى للأصمعي كقوله : « وطفيل عندي في بعض شعره أشعر من امرئ القيس » (٢٠) .

على أن منهج الموازنة الرئيس في (الفحولة) يتمثل في تقسيم الشعراء (فحلاً) و (غيرفحل) حيث قامت أحكام الأصمعي على خلاصة الآراء التي تبلورت في مجالس علماء القرن الثاني فضلاً عن آرائه الخاصة التي يتفرد ببعضها ، ولعل ما ورد في أول الكتاب من تفاصيل محاورة جرت بين أبي حاتم والأصمعي يقدم توضيحاً لمدلول مصطلح (الفحولة) عند الأصمعي حيث جاء فيها : « قال أبو حاتم : قلت فما معنى الفحل ؟ قال : يريد أن له مزية على غيره كمزية الفحل على الحقاق ، قال : وبيت جرير يدلك على هذا :

وابن اللبونِ إذا ما لُزَّ في قَــرَنٍ لم يستطعْ صولةَ البُزْلِ القناعيس (٢١)

وظاهرٌ أن الفحولة في هذا النص تخضع لمنظور التمييز القائم على التفاوت الذي يتمخض عنه التطور الزماني البحت بين (الحقاق) و (الفحول) من الابل ، بيد أن التمييز قد يقوم على تفاوت يتمخض عنه الفارق النوعي ، وذلك ما نستطيع أن نستشفه من قول ابي حاتم : « قلت : فَعدي بن زيد أفحل هو ؟

قال : ليس بفحل ولا أنثى » (٢٢) ، على أننا لا نريد أن نحمل النص أكثر مما يتحمله فنزعم أن الأصمعي كان ينظر إلى تمييز كمي تارة وإلى تمييز نوعي تارة أخرى ، ذلك أننا نؤمن أن الأمر كان يقوم على قناعة أساسية بتميز (الفحل) من سواه تميزاً فنياً قد تتباين مسالك تصويره من خلال تباين نمط التشبيه ، ولكنها تبقى محصورة في إطار التمييز الفني البحت .

وقد يشير ما رواه الأصمعي عن رؤية في غير كتاب الفحولة من قوله في الشعراء : « الفحولة هم الرواة » (٢٣) إلى معيار آخر في التمييز الفني ولكن الأصمعي لم يقترب من هذا المنطلق في كتاب (الفحولة) كما رأينا .

فاذا تجاوزنا هذه المسألة إلى التفاصيل أشارت الحقائق إلى أن الأصمعي بقي دائراً في إطار أحكام عصره على الشعراء بوجه عام ، ولكنه ظل متمسكاً أحياناً بذوقه المتفرد في أحكام معينة كما ذكرنا ، ومن هنا ينبغي لنا أن نتلمس منافذ تميز أحكامه ، ولكي تتضح لنا تفاصيل موقفه رأينا أن نجمع أسماء الشعراء الذين أخضعهم لتقويم الفحولة بشكل مباشر او غير مباشر ثم نوازن بين أحكامه عليهم وأحكام أبي عبيدة (ت ٢٠٨) في طبقاته (٢٤) وأحكام ابن سلام (ت ٢٣١ هـ) في كتابه طبقات فحول الشعراء (٢٥) لعلنا نخرج من الموازنة بتفاصيل التوافق والتمايز بين آراء الأصمعي وآراء معاصريه .

التسلسل	اسم الشاعر وموضع ذكره في الفحولة (١)	حكم الأصمعي	موضعه عند أبي عبيدة	موضعه عند ابن سلام
١	النابغة الذبياني ٩، ١٢	أول الفحول	ثالث الطبقة الأولى	ثاني الطبقة الأولى
٢	امرؤ القيس ٩، ١٣	أولهم كلهم في الجودة	أول الطبقة الأولى	أول الطبقة الأولى
٣	أوس بن حجر ٩، ١٥	أشعر من زهير ولكن النابغة طأطأ منه	حادي عشر الطبقة الثالثة	أول الطبقة الثانية
٤	زهير [بن أبي سلمى] ٩، ١٥	ما يصلح زهير أن يكون أجيراً للنابغة	ثاني الطبقة الأولى	ثالث الطبقة الأولى
٥	طفيل الغنوي ١٠، ١٦	فحل	لم يذكر له	لم يذكر له
٦	النابغة الجعدي ١٠، ١٧	فحل	ثاني عشر الطبقة الثالثة	أول الطبقة الثالثة
٧	أعشى قيس ١١، ١٩	ليس بفحل	رابع الطبقة الأولى	رابع الطبقة الأولى
٨	علقمة بن عبدة ١١، ١٩	فحل	لم يذكر له	ثالث الطبقة الرابعة
٩	الحارث بن حلزة ١١، ١٩	فحل	ثاني الطبقة الثانية	ثاني الطبقة السادسة
١٠	عمرو بن كلثوم ١١، ١٩	ليس بفحل	ثالث الطبقة الثانية	أول الطبقة السادسة
١١	المسيب بن علس ١١، ١٩	فحل	لم يذكر له	رابع الطبقة السابعة
١٢	عدي بن زيد ١١، ٢٠	ليس بفحل ولا أنثى	لم يذكر له	رابع الطبقة الرابعة
١٣	حسان بن ثابت ١١، ٢٠	فحل	أول الطبقة الأولى الإسلامية	أول طبقة شعراء المدينة
١٤	قيس بن الخطيم ١٢، ٢٠	فحل	لم يذكر له	رابع طبقة شعراء المدينة
١٥	المرقش الأكبر ١٢، ٢٠	فحل	أول الطبقة الثالثة	لم يذكر له
١٦	المرقش الأصغر ١٢، ٢٠	فحل	لم يذكر له	لم يذكر له
١٧	ابن قميئة ١٢، ٢٠	فحل	لم يذكر له	أول الطبقة الثامنة
١٨	أبو زبيد الطائي ١٢، ٢٠	ليس بفحل	لم يذكر له	أول الطبقة الخامسة من الإسلاميين
١٩	الشماخ [بن ضرار] ١٢، ٢٠	فحل	تاسع الطبقة الثالثة	ثالث الطبقة الثانية
٢٠	مزرد [بن ضرار] ١٢، ٢١	ليس بدون الشماخ ولكنه أفسد شعره بما يهجو الناس	لم يذكر له	لم يذكر له
٢١	عروة [بن الورد] ١٢، ٢١	شاعر كريم وليس بفحل	سابع الطبقة الثالثة	لم يذكر له
٢٢	الحويدرة [الذبياني] ١٢، ٢٢	لو قال مثل قصيدته خمس قصائد كان فحلاً	لم يذكر له	ثالث الطبقة التاسعة

الرقم	اسم الشاعر وموضع ذكره في الفحولة	حكم الأصمعي	موضعه عند أبي عبيدة	موضعه عند ابن سلام
٢٣	مهلهل [بن ربيعة] ١٢، ٢٢	ليس بفحل، ولو كان قال مثل قوله: أليلتنا بذي حسم أنيري كان أفحلهم	لم يذكر له	لم يذكر له
٢٤	أبو دؤاد [الإيادي] ١٢، ٢٢	صالح، ولم يقل إنه فحل	لم يذكر له	لم يذكر له
٢٥	الراعي [النميري] ١٢، ٢٢	ليس بفحل	لم يذكر له	ثالث الطبقة الأولى الإسلامية
٢٦	ابن مقبل ١٢، ٢٢	ليس بفحل	لم يذكر له	رابع الطبقة الخامسة
٢٧	ابن أحمر الباهلي ١٢، ٢٣	ليس بفحل	عاشر الطبقة الثالثة	ثاني الطبقة الثالثة الإسلامية
٢٨	مالك بن حريم الهمداني ١٢، ٢٣	أرى أنه من الفحول	لم يذكر له	لم يذكر له
٢٩	ثعلبة بن صعير ١٢، ٢٣	لو قال مثل قصيدته خمساً كان فحلاً	لم يذكر له	لم يذكر له
٣٠	كعب بن جعيل ١٢، ٢٣	أظنه من الفحول ولا أستيقنه	لم يذكر له	أول الطبقة الثالثة من الإسلاميين
٣١	حاتم الطائي ١٤، ٢٦	إنما يعد بكرم ولم يقل إنه فحل	لم يذكر له	لم يذكر له
٣٢	معقر البارقي ١٤، ٢٦	لو أتم خمساً أو ستاً لكان فحلاً	لم يذكر له	لم يذكر له
٣٣	أبو ذؤيب الهذلي ١٤، ٢٦	فحل	لم يذكر له	ثاني الطبقة الثالثة
٣٤	ساعدة بن جؤية ١٤، ٢٧	فحل	لم يذكر له	لم يذكر له
٣٥	أبو خراش الهذلي ١٤، ٢٧	فحل	لم يذكر له	لم يذكر له
٣٦	أعشى همدان ١٤، ٢٧	هو من الفحول	لم يذكر له	لم يذكر له
٣٧	كعب بن سعد الغنوي ١٤، ٢٧	ليس من الفحول إلا في المرثية	لم يذكر له	رابع طبقة أصحاب المراثي
٣٨	بشر بن أبي خازم ١٤، ٢٧	سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: قصيدته التي على الراء ألحقته بالفحول	لم يذكر له	ثاني الطبقة الثانية
٣٩	الأسود بن يعفر ١٤، ٢٨	يشبه الفحول	لم يذكر له	ثاني الطبقة الخامسة
٤٠	لبيد بن ربيعة ١٥، ٢٨	ليس بفحل، وقال لي مرة أخرى: كان رجلاً صالحاً. كأنه ينفي عنه جودة الشعر	لم يذكر له	رابع الطبقة الثالثة
٤١	عمرو بن شأس الأسدي ١٥، ٢٨	ليس بفحل	لم يذكر له	عاشر الطبقة العاشرة
٤٢	حراقة بن جميلة العنزي ١٥، ٢٨	له أشعار تشبه أشعار الفحول	لم يذكر له	لم يذكر له
٤٣	أوس بن غلفاء الهجيمي ١٥، ٢٨	لو كان قال عشرين قصيدة لحق بالفحول ولكنه قطع به	لم يذكر له	ثالث الطبقة الثامنة

الرقم	اسم الشاعر	موضع ذكره في الفحولة	حكم الأصمعي	موضعه عند أبي عبيدة	موضعه عند ابن سلام
٤٤	خداش بن زهير	١٥، ٢٩	فحل	رابع الطبقة الثالثة	أول الطبقة الخامسة
٤٥	كعب بن زهير	١٥، ٢٩	ليس بفحل	ثاني الطبقة الثالثة	ثالث الطبقة الثانية
٤٦	سلامة بن جندل	١٥، ٣٠	لو كان زاد شيئاً كان فحلاً	لم يذكر له	أول الطبقة السابعة
٤٧	المتلمس	١٥، ٣٠	رأس فحول ربيعة	لم يذكر له	ثالث الطبقة السابعة
٤٨	أعشى باهلة	١٥، ٣٠	من الفحول	لم يذكر له	ثالث طبقة أصحاب المراثي
٤٩	فـــم ؟	١٧، ٣٤	شاعر جاهلي مغلق	لم يذكر له	لم يذكر له

ودراسة المسرد كفيلة باثارة عدة مسائل تستدعي النظر يمكن حصرها في الأطر التالية :

١ـ الاختلاف بين العلماء الثلاثة في الحكم على الشاعر الواحد ظاهرة قائمة ، وهي ظاهرة طبيعية ــ ولعلها ضرورية ــ في ميدان النقد الأدبي الذي تقوم بواعث أحكامه في الأصل على الذوق الفردي الذي يرتبط بالذوق العام من خــلال الثقافة الفنيــة التي تشكــل حصيلة التوجيه غير الملــزم في أغلب الأحيان ، وقد كان اختيارنا لأبي عبيدة وابن سلام المعاصرين للأصمعي مقصوداً لتجاوز ما قد يحدثه عامل تفاوت الزمان واختلاف المفاهيم الفنية من تناقض أشد عنفاً في الأحكام ، بيد أن الذي بقي مستعصياً على التجاوز هو هذا التفاوت الذوقي فضلاً عن تفاوت عوامل أخرى قد يدخل في تفاصيلها المعايير الخلقية أو الدينية وربما التعصبية أحيانا ، ومن هنا رأينا الخلاف

الشديد في الأحكام على الأعشى وكعب بن زهير وخداش بن زهير وعمرو ابن قميئة مثلاً ، بل إن الأصمعي الذي حكم على الأعشى بأنه (ليس بفحل) نقل في بعض أقواله لأبي حاتم آراء لغيره تناقض رأيه فيه كقوله : « وأخبرني الأصمعي قبل هذا أن أهل الكوفة لايقدمون على الأعشى أحداً ، قال : وكان خلف لا يقدم عليه أحداً . قال أبو حاتم : لأنه قال في كل عروض وركب كل قافية » (٢٧) .

٢- قد يواجه الباحث في مسلك الأصمعي المقتصر على كلمتي (فحل) و (ليس بفحل) في أغلب أحكامه ضرباً من الحرج في محاولة تبيُّنِ موقعٍ دقيق لكل شاعر عنده ، ولا يكاد التوسع النسبي في أحكامه على عدد من الشعراء كالنابغــة الذبياني وامرئ القيس وزهير مثــلاً يهون من الأمر شيئاً ، فكلمة (فحل) التي ظلت وصفاً مجرداً لعدد كبير من الشعراء تبقى بحاجة إلى توضيح اكثر دقة لا سيما أن آراء العلماء فيهم ، فضلاً عن دواوينهم ، تشهد على شدة تفاوت حظوظهم من (الفحولة) ، وكذلك الأمر بالقياس إلى الشعراء الذين حكم عليهم بأنهم ليسوا فحولاً ، على أننا قد نفوز بأحكام أكثر مرونة وردت بشأن عدي بن زيد (ليس بفحل ولا أنثى) ، ومالك بن خريم (أرى أنه من الفحول) ، وكعب بن جعيل (أظنه من الفحول ولا أستيقنه) ، والأسود بن يعفر (يشبه الفحول) ، وجرادة بن عميلة (له أشعار تشبه أشعار الفحول) وهي أحكام قد تشكل منطلقاً لضرب من التوسع في التصنيف حتى يبدو أن الأمر يمكن أن يخضع لتصور قيام ثلاث طبقات في ذهن الأصمعي هي : الفحول ، الأوساط ، غير الفحول .

وقد يمثل حكم الأصمعي على المتلمس (رأس فحول ربيعة) نمطاً من التوجه الى التقويم النسبي المنبثق عن النظر إلى ظرف الشاعر ، ولعل الأصمعي،

ذهب هذا المذهب في الحكم متأثراً بمنهج شيخه أبي عمرو بن العلاء في قوله الذي سبقت الإشارة إليه : « كان أوس فحل مضر حتى أسقطه النابغة وزهير فهو شاعر تميم غير مدافع » (٢٨) حيث ارتبط المعيار النقدي بنسبية الزمان أولاً وبالإطار القبلي ثانياً ، وذلك هو المدار في حكم الأصمعي على المتلمس الذي قيد فحولته بربيعة بشكل صريح ثم أومأ إلى التقييد الزماني إيماءً يمكننا أن نضع اليد عليه من خلال قراءة نص آخر يرد في الفحولة هو قوله « سئل شيخ عالم عن الشعراء فقال : كان الشعر في الجاهلية في ربيعة ، وصار في قيس ، ثم جاء الإسلام فصار في تميم » (٢٩) ومن هنا يصح لنا أن نقول إن تقييد فحولة المتلمس بربيعة يعني بالضرورة تقييدها بمرحلة تأريخية متقدمة هي أولى مراحل الشعر العربي في الجاهلية .

ويبقى بعد ذلك نص حكم الإصمعي في (فسحم) الذي لايرد له ذكر في المصادر غير الفحولة ، فكلمة (مفلق) لاترد إلا في وصفه وفي وصف شعراء هذيل في نص سبقت الإشارة إليه ، ومتابعة هذه اللفظة في المعجمات قد لا تتكشف إلا عن مدلول فني غير محدد فالمفلق : « هو الشاعر المجيد الذي يأتي بالعجائب في شعره » (٣٠) : ولكننا قد نفوز بمدلول أكثر دقة في النص الذي أثبته الجاحظ عند الحديث عن طبقات الشعراء فقال : « والشعراء عندهم أربع طبقات ، فأولهم الفحل الخنذيذ وهو التام ، قال الاصمعي قال رؤبة : الفحولة هم الرواة ، ودون الفحل الخنذيذ الشاعر المفلق ، ودون ذلك الشاعر فقط ، والرابع الشعرور » (٣١) ومعنى ذلك أن (المفلق) يكون ثاني أربع طبقات من الشعراء ، ولكننا لاندري إن كان هذا المدلول قائماً في ذهن الإصمعي وإن كنا نذهب إلى أن وصفه (لفسحم) به قد يومئ إلى أنه من الأوساط رغم اختلاف صيغة التعبير .

٣ــ على الرغم من أن الأصمعي لم يصرح بالمعايير التي رجع إليها في تقويم الفحول وغير الفحول فإن ثمة إشارات تكررت في أحكامه على

كل من الحويدرة ومهلهل وثعلبة بن صعير ومعقر البارقي وأوس بن غلفاء وسلامة بن جندل حيث بدا أن للمعيار (الكمي) أثراً في التقويم ، بيد أن ثمة مايغرينا بتشخيص أثر المعيار (النوعي) أيضاً ، فنحن نرى مثلاً أن المعيار (الكمي) نفسه ظل مرتبطاً بالمعيار (النوعي) من خلال تفاوت عدد القصائد المطلوبة من كل شاعر ليرتفع الى مستوى الفحول ، فحيث كان كل من الحويدرة وثعلبة ومعقر البارقي مطالباً بخمس قصائد أو ست من نمط قصيدة بعينها من شعره كان أوس بن غلفاء مطالباً بعشرين ، وكان مهلهل مطالباً بواحدة فقط ليكون (أفحلهم) ، أما سلامة بن جندل فقد كان مطالباً بكمية مبهمة (لو كان زاد شيئاً) ، ولا معنى لهذا التفاوت في (الكمية) المطلوبة من كل شاعر كما نظن إلا تفاوت (نوع) النموذج الذي ينبغي لكل منهم أن يقول مثله ليكون فحلاً .

وثمة إشارات أكثر وضوحاً إلى ثقل المعيار (النوعي) في أحكام الأصمعي فقد رأينا أنه حكم على كعب بن سعد الغنوي بأنه (ليس من الفحول إلا في المرثية) ، ونقل عن أبي عمرو بن العلاء قوله في بشر بن أبي خازم « قصيدته التي على الراء ألحقته بالفحول » ومعنى ذلك أن الأصمعي كان يؤمن بأن بوسع القصيدة الواحدة أن ترتفع بصاحبها إلى مرتبة الفحولة، ثم ينقل ما يدعم رأيه من آراء شيوخه في هذه المسألة ، ولا موضع في مثل هذا الحكم للمعيار الكمي كما نظن .

وقد نضع اليد بعد ذلك على تعليل مباشر يتمثل في حكمه على لبيد بأنه « ليس بفحل » وقوله بعد ذلك لتلميذه أبي حاتم « شعر لبيد كأنه طيلسان طبري » وتوضيح أبي حاتم « يعني أنه جيد الصنعة وليست له حلاوة » (٣٢) ففيه إشارة إلى موقف فني تحايلي لا يسعنا أن نتخذه أساساً للخروج بملامح منهجية لأنه لا يطرد في أي من أحكام الأصمعي الأخرى .

ويبدو بعد ذلك أن ظاهرة المزج بين المعيارين (الكمي) و (النوعي) في النظر النقدي لم تكن خاصة بموقف الأصمعي من التقويم ، وإنما كانت تمتد إلى مواقف عامة علماء القرن الثاني بشكل يبدو أشد وضوحاً عند ابن سلام الذي وافقت بعض تعابيره ما سبقت الإشارة إليه من تعابير الأصمعي أو كادت ، فهو يقول – مثلاً – في أول حديثه عن الطبقة الرابعة من طبقات فحول الجاهليين ، « وهم أربعة رهط فحول شعراء ، موضعهم مع الأوائل، وإنما أخل بهم قلة شعرهم بأيدي الرواة » (٣٣) ويقول في الأسود بن يعفر : « له واحدة طويلة رائعة لاحقة بأول الشعر ، لو كان شفعها بمثلها قدمناه على أهل مرتبته » (٣٤) .

ولسنا ندري على وجه اليقين إن كانت أحكام أبي عبيدة في طبقاته المفقودة دائرة في هذا الإطار ولكننا لا نكاد نشك في ذلك لما نعلمه من رسوخ المنهج في النظر النقدي عند عامة علماء القرن الثاني الهجري .

٤– قد تقدم بعض أحكام الأصمعي إشارات إلى تداخل المعيارين الخلقي والفني في موقفه من الشعر والشعراء ، فعلى الرغم من أن أحكامه على عروة ابن الورد (شاعر كريم وليس بفحل) وأبي دؤاد الايادي (صالح ولم يقل إنه فحل) وحاتم الطائي (إنما يعد بكرم ولم يقل إنه فحل) تبدو مسوقة في إطار التقرير البحت الذي لا يقـــدم مسوغاً للقناعة بأن الأصمعي كان يربط بين الجانب الخلقي وتقويمه للشاعر فإن ما ورد من رأيه في لبيد وتعليق أبي حاتم عليه (قال : رجلاً صالحاً . كأنه ينفي عنه جودة الشعر) يقدم مسوغاً للقول بأن ثمة ربطاً واضحاً بين الجانب الخلقي والجانب الفني في ذهن الأصمعي أدركه تلميذه أبو حاتم بدليل تعليقه الذي لا يحتاج إلى توضيح ، وقد يقود هذا الفهم إلى سحب التفسير على أحكامه الثلاثة السابقة ، ويقرر بالتالي أن الرجل كان يرى في التوجه الخلقي الإيجابي إبعاداً للشاعر عن مرتبة الفحول

لا سيما أنه هو القائل : « الشعر نكد بابه الشر فاذا دخل في الخير ضعف ، هذا حسان فحل من فحول الجاهلية ، فلما جاء الإسلام سقط شعره » (٣٥) بيد أننا نبقى رغم ذلك كله مترددين في التسليم بظاهر ما توحي به هذه النصوص جميعاً ، فنحن نرى الأصمعي نفسه يقول في مزرد بن ضرار « ليس بدون الشماخ ولكنه أفسد شعره بما يهجو الناس » (٣٦) ، ويقول عندما يعرض عليه شعر الحطيئة : « أفسد هذا الشعر الحسن بهجاء الناس وكثرة الطمع » (٣٧) وهذا موقف يناقض الموقف السابق من حيث التوجه العام ، وإلا فاننا لا نظن أحداً يزعم أن (الهجاء) و (الطمع) يمثلان توجهاً خلقياً يخرج عن دائرة (الشر) فكيف اتفق أن (يفسدا) شعر مزرد والحطيئة عند الأصمعي ؟ .

إننا نفضل أن نذهب إلى القول بأن أحكام الأصمعي التي تتصل بهذا الجانب لا تقوم على النظر إلى (إيجابية) التوجه الخلقي أو (سلبيته) قدر قيامها على أساس من النظر إلى مدى تحرر الشاعر من الالتزام بموقف خلقي خاص مع غض النظر عن تفاصيل ذلك الموقف ، وتلك حقيقة يمكننا أن نلمح آثارها في أحكام الأصمعي وجيله من النقاد الذين كانوا يدورون في هذا الإطار بشكل أو بآخر ، والعلة في ذلك أن علماء القرن الثاني وضعوا نماذج فحول الجاهليين شواخص لاستخلاص النظر النقدي ، فلما وجدوا تلك النماذج بعيدة عن الالتزام بتوجه فردي متميز سحبوا الأمر على ما سواها من النماذج فكان التقديم والتأخير ، ومن هنا كان قول الأصمعي نفسه « طريق الشعر طريق الفحول مثل امرئ القيس وزهير والنابغة من صفات الديار والرحيل والهجاء والتشبيب والنساء وصفة الخمر والخيل والحروب والافتخار فاذا دخل في باب الخير لان » (٣٨) ففي ضوء هذا النص نستطيع أن

نقرر أن أحكام الأصمعي لم تكن قائمة إلا على إيمانه بأن التزام الشاعر بموقف أخلاقي أو فكري التزاماً عنيفاً كفيل بحجبه عن ارتياد الآفاق التي حدد الفحول معالمها خلال جهدهم الإبداعي غير المطوع لأي ضرب من ضروب الالتزم العنيف ، أما مسألة (الخير) و (الشر) فانها تبقى نسبية قد يفهم منها أن الرجل كان يرى في النماذج الجاهلية توجهاً إلى ممارسة مواقف الحياة بنهج غير خاضع لقيود التشريع التي كبحت جماح الشعراء بعد الإسلام فأصلحت لهم آخرتهم وأفسدت عليهم أشعارهم حتى كان تحولهم من (شر) الجاهلية إلى (خير) الإسلام إسقاطاً لفحولتهم .

(الشر) و (الخير) في منهج الأصمعي معادلان لمصطلحي (التحرر) و (الالتزام) ومن هذه الزاوية ينبغي لنا تقويم أحكامه على الشعراء في هذا الإطار ، وما دام (التحرر) هو الطابع العام لشعر الفحول من الجاهليين فان على النقد أن ينظر بحذر إلى الجاهليين الملتزمين أو الذين تحددت آفاق نتاجهم بتوجه مقيد كمزرد والحطيئة وعروة وأبي دؤاد وحاتم الطائي ولبيد مع غض النظر عن طبيعة التوجه وتفاصيله .

وقد يكون هذا الموقف واحداً من علل عزوف الأصمعي وجيله من النقاد عن شعر الإسلاميين ، على أن الاصمعي قد يبدو أشد تزمتاً من غيره من النقاد في هذه المسألة حتى إنه ليجيب أبا حاتم عندما يسأله عن جرير والفرزدق والأخطل بقوله : « هؤلاء لو كانوا في الجاهلية لكان لهم شأن ، ولا أقول فيهم شيئاً لأنهم إسلاميون » (٣٩) وينقل عن شيخه أبي عمرو بن العلاء قوله « لو أدرك الأخطل يوماً واحداً من الجاهلية ما قدمت عليه أحداً » (٤٠) ، بيد أن الأصمعي — كغيره من علماء القرن الثاني — لم يلزم نفسه بمبدأ الإحجام عن الخوض في حديث الإسلاميين إلزاماً مطلقاً ، فكتاب (الفحولة) ينقل

لنا نصاً آخر ينقض التصور الذي قد ينبثق مما ذكرناه ، فها هو أبو حاتم السجستاني يقول : « وكنت أسمعه يفضل جريراً على الفرزدق كثيراً ، فقلت له يوم دخل عليه عصام بن الفيض : إني أريد أن أسالك عن شيء ولو أن عصاماً يعلمه من قبلك لم أسألك . ثم قلت : سمعتك تفضل جريراً على الفرزدق غير مرة ، فما تقول فيهما وفي الأخطل ؟ فأطرق ساعة ثم أنشد بيتاً من قصيدته :

لعمري لقد أسريتُ لا ليلَ عاجزٍ بساهمةِ الخدين طاويةِ القربِ

فأنشد أبياتاً زِهاء العشرة ، ثم قال : من قال لك أن في الدنيا أحداً قال مثلها قبله ولا بعده فلا تصدقه » (٤١) .

على أن ثمة من قد يقول : إن الأصمعي حين وافق على الحديث عن الفحول الإسلاميين الثلاثة لم يعدُ حدود موازنة بعضهم ببعض دون أن يخضعهم لنظر تقويم (الفحول) و (غير الفحول) . وهو اعتراض وجيه سنرى ما يدعمه من موقف الأصمعي من المولدين الذين امتنع أيضاً عن اخضاعهم لتقويم الفحولة ، ولكننا لا نستطيع رغم ذلك كله أن نتخذ الاعتراض حجة لتثبيت قاعدة لا تخطئ ، ففي مسرد الفحول وغير الفحول الذي قدمناه أسماء لشعراء رضي الأصمعي أن يصنفهم مع أن أخبارهم تشير إلى أنهم إسلاميون ، وأن بعضهم ممن لم يدرك من الجاهلية يوماً واحداً ، وهم : أبو زبيد الطائي ، والراعي النميري وابن أحمر الباهلي ، وكعب بن جعيل ، وأعشى همدان . ولهذا فاننا نذهب إلى القول بأن الأصمعي يبقى واحداً من علماء القرن الثاني الذين كانوا (يفضلون) الخوض في حديث الجاهليين من الشعراء دون سواهم ، ولكنهم لا يتخذون ذلك (موقفاً) نظرياً ملزماً يمنعهم من إبداء الملاحظة والاعجاب و (الرأي) أحياناً بمن يسوقهم الحديث إليه من الإسلاميين .

تلك هي أهم الملاحظات التي تلفت النظر في مجموع الأحكام النقدية التي تضمنها المسرد الذي قدمناه ، على أن ما يتضمنه سائر كتاب الفحولة من أحكام ومواقف نقدية يبدو معيناً أشد غزارة لاستقراء جهد الأصمعي النقدي فيه ، ولعل من أوثق المسائل اتصالاً بما قدمناه ظاهرة الامتناع عن تصنيف شعراء كثيرين يرد ذكرهم في الفحولة ضمن من صنفهم الأصمعي (فحولاً) و (غير فحول) والاقتصار على توجيه الحديث عنهم وجهة يبدون معها خاضعين لموازنات محدودة بأطر أخرى كما هو الشأن في مجموع أحكام الأصمعي على الفرسان من الشعراء الذين لم نجد لأكثرهم ذكراً في المسرد ، ذلك أن إجابات الأصمعي عن أسئلة أبي حاتم بشأنهم ظلت متميزة النفس والمضمون ، فهو حين يسأله عن زيد الخيل يكتفي بقوله: « من الفرسان » (٤٢) وحين يسأله عن عميرة بن طارق اليربوعي يقول له : « من رؤوس الفرسان ، وهو الذي أسر قابوس بن المنذر » (٤٣) .

وقد يتضح الأمر بصورة أكثر جلاء في قول أبي حاتم « وسألته عن خفاف بن ندبة وعنترة والزبرقان بن بدر ، قال : هؤلاء أشعر الفرسان ، ومثلهم عباس بن مرداس السلمي ، لم يقل إنهم من الفحول » (٤٤) والعبارة الأخيرة إشارة حاسمة إلى أن أبا حاتم كان قد تنبه إلى أن شيخه ظل حذراً من الخلط في الأحكام بين الفحول وسواهم ممن لا يصلحون للموازنة بهم ، على أننا قد نلمح فيما سبقت الإشارة إليه من موازنة الأصمعي بين دريد والنابغة الذبياني وتفضيله لدريد (في بعض شعره) على النابغة وجهاً من وجوه التداخل بين فصيلتي (الفحول) و (الفرسان) ، بيد أن ذلك لا يتيح لنا لنا فرصة تشخيص ملامح (قاعدة) لأن الأمر غير مطرد في أحكام أخرى

فلعله كان مجرد ملاحظة انبثقت في لحظة إعجاب آني لا تختلف عن اللحظة التي فضل الأصمعي فيها طفيلاً (في بعض شعره) على امرئ القيس .

ويبقى تحديد موقع الفارس الشعري مقيداً بدائرة الفرسان في سائر الأحكام المبثوثة في (الفحولة) ومنها قول أبي حاتم رواية عن الأصمعي : « أفي الدنيا مثل فرسان قيس وشعرائهم ؟ فذكر منهم عنترة وخفاف بن ندبة وعباس بن مرداس ودريد بن الصمة . وقال لي مرة : دريد وخفاف أشعر الفرسان » (٤٥) وقوله : « وقال لي مرة : الزبرقان فارس شاعر غير مطيل وقال : مالك بن نويرة شاعر فارس مطيل » (٤٦) .

وبوسعنا بعد ذلك أن نشخص فصيلة ثالثة من فصائل الشعراء في أحكام الأصمعي وهي فصيلة (الصعاليك) التي تخضع لأحكام مقصورة عليها دون خلطها بسائر الشعراء ، ففي نص للأصمعي تبدو فصيلة (الصعاليك) خاضعة لنظر نقدي شديد الحذر في مسألة تمييزها من فصائل الشعراء الأخرى وهو قول أبي حاتم : « فسليك بن السلكة ؟ قال : ليس من الفحول ولا من الفرسان ، ولكنه من الذين كانوا يغزون فيعدون على أرجلهم فيختلسون . قال : ومثله ابن براقة الهمداني ، ومثله حاجز الثمالي من السرويين ، وتأبط شراً واسمه ثابت بن جابر ، والشنفرى الأزدي السروي ، وليس المنتشر منهم ، ولكن الأعلم الهذلي منهم . قال : وبالحجاز منهم وبالسراة اكثر من ثلاثين . يعني الذين يعدون على أرجلهم ويختلسون » (٤٧) .

إن مسألة الفصل بين (الفحول) و (الفرسان) و (الصعاليك) لا تحتاج إلى طول تأمل في هذا النص ، فالأمر يبلغ حد الفصل في قضية الشاعر الواحد (المنتشر) لكي لا يختلط أمره بأمر غيره من الشعراء الذين قد يؤدي اشتراكه معهم في النسب إلى قيام الظن بأنه من (فصيلتهم) الشعرية .

وثمة نص آخر يتضح فيه تمييز الأصمعي بين الصعاليك وغيرهم ، وهو

ما سبقت الإشارة إليـــه من قوله عن هذيل « فيهـــم أربعون شاعراً مفلقاً وكلهم يعدو على رجله ليس فيهم فارس » (٤٨) ولنا أن نلاحظ هنا أنه استخدم كلمة (مفلق) في وصف شاعريتهم ، وهو وصف أشرنا إلى ندرة استخدامه في (الفحولة) وإلى غموض مدلوله في أحكام الأصمعي .

ويبدو أن التمييز بين (الفحول) و (الفرسان) و (الصعاليك) كان يتخذ بعداً أقرب إلى المنهجية في عصر الأصمعي ، فها هو ابن سلام يتجنب ذكر الفرسان في طبقات الفحول ، وها هي المصادر تشير إلى أنه أفرد كتاباً برأسه للفرسان لا نعرف شيئاً عن تفاصيله لأنه مفقود ولكن بعض النقول منه تشير إلى أنه تضمن ذكر دريد بن الصمة الذي وضعـــه أول الفرسان ، وذكـــر خفاف بن ندبة الذي احتـــل موضعـــاً في الطبقـــة الخامسة منـــه (٤٩) ، ولعل خلو طبقات ابن سلام من الصعاليك إشارة إلى أنه كان يميزهم من الفحول ولكنها لا تتيح لنا القول بأنه أفرد لهم بحثاً أو كتاباً خاصاً فنحن لا نمتلك ما يوثق مثل هذا الظن المشروع .

ويلتقي الأصمعي وابن سلام في تمييز (فصيلة) رابعة من الشعراء هي فصيلة الرجاز ، فهم لا يوازنون عند الأصمعي بأفراد (الفصائل) الأخرى ، ولذلك فقد انحسر حديثه عمن ذكره منهم إلى إطار الخبر التقريري أحياناً، « ولد العجاج في الجاهلية » (٥٠) أو النص الذي يتداخل فيه النفس النقدي بالنفس الإخباري ، « كان حميد الأرقط يشذب الرجز وينقحه وينقيه »(٥١) أما الموقف النقدي الصريح فقد ظل دائراً في إطار التقويم الذوقي المحض والحكم من خلاله دون اقتراب من تصنيف الرجاز (فحولاً) و (غير فحول) كالذي نلمحه فيما نقله عنه أبو حاتم « ورأيته يستجيد بعض رجز أبي النجم ويضعف بعضاً لأن له رديئاً كثيراً » (٥٢) وقوله : « قال مرة : لا يعجبني شاعر اسمه الفضل بن قدامة ، يعني أبا النجم » (٥٣) فاذا انتهى الأمر بعد

ذلك كلــه إلى موقف الموازنة طالعنــا ما يؤكد الحقيقة التي شخصناها في مثل قوله : « لم يكن بعد رؤبة وأبي نخيلة أشعر من جندل الطهوي وأبي طوق وخطام المجاشعي ويلقب بخطام الريح » (٥٤) فهو إشارة صريحة إلى أن الرجاز لا يوازنون إلا بالرجاز ، وكأن أبا حاتم أدرك هذه الحقيقة في منهج الأصمعي النقدي فلم يستخدم كلمة (فحل) في سؤاله عن أحد الرجاز إلا بشكل دقيق حيث وجه سؤاله بهذه الصيغة « وسألته عن الأغلب العجلي أفحل هو من الرجاز ؟ فقال : ليس بفحل ولا مفلح . وقال : أعياني شعره » (٥٥) ، على أن الأصمعي نفسه يقدم لنا دليلاً آخر على تمييزه لفصيلة الرجاز من فصيلة الفحول حيث يقول : « أنعت الناس لمركوب من الابل عيينة بن مرداس وهو الذي يقال له فسوة ، وأنعت الناس لمحلوب في القصيد الراعي وأنعتهم لمحلوب في الرجز ابن لجأ التيمي » (٥٦) ففي النص تمييز حاسم بين (القصيد) و (الرجز) وهو موقف كان قد تبلور في أذهان الناس قبل الأصمعــي بمراحل ولكنــه اتخذ وجهتــه (المنهجية) الحاسمة كمــا يبدو بعد ظهور الأغلب العجلي الذي كان « أول من شبه الرجز بالقصيد وأطاله » (٥٧) ولهذا فان الأصمعي لم ينفرد بموقفه وإنما تابعه ابن سلام الذي أفرد للرجاز طبقة خاصة هي الطبقة التاسعة من طبقات الإسلاميين العشر ونص فيها على أنهم (رجاز) وذكر فيها منهم الأغلب العجاي وأبا النجم العجلي والعجاج ورؤبة (٥٨) .

وثمة (فصيلة) أخيرة يمكننا تشخيصها من خلال أحكام الأصمعي على الشعراء وهي فصيلة (المولدين) الذين عزف عن تصنيفهم (فحولاً) و (غير فحول ، فاتخذت أحكامه عليهم مجرى آخر هو النظر إلى القيمة اللغوية لأشعارهم فكان طبيعياً أن يكون الشاعر منهم (حجة) أو (غير حجة) حسب، أما التقويم الفني فاننا لا نلمح له أثراً واضحاً في أي من الأحكام التي وردت

بشأنهم سوى ملاحظات يسيرة لا ترقى الى مستوى التقويم الفني الصريح في حديثه عن الفحول ، أو مستوى التقويم الفني بهذه الدرجة أو تلك في حديثه عن الفرسان والصعاليك والرجاز .

ولكي تتضح المسائل التي تثيرها أحكام الأصمعي على المولدين من الشعراء رأينا أن نجمع ما ورد بشأنهم في مسرد على غرار مسرد الفحول وغير الفحول، ثم نستنبط الأحكام من الحقائق التي سنجمعها فيه :



الرقم	اسم الشاعر وموضع ذكره	حكم الأصمعي عليه
١	القحيف العامري ١٦، ٣١	ليس بفصيح ولا حجة.
٢	زياد الأعجم ١٦، ٣١	حجة لم يتعلق عليه بلحن وكنيته أبو أمامة.
٣	عبد بني الحسحاس ١٦، ٣١	فصيح وهو زنجي أسود.
٤	أبو دلامة ١٦، ٣١	عبد - رأيته - مولد حبشي. قلت [والضمير يعود على أبي حاتم] أفصيحاً كان؟ قال: هو صالح الفصاحة.
٥	أبو عطاء السندي ١٦، ٣٢	عبد أسود مشقوق الأذن. قلت [والضمير يعود على أبي حاتم أيضاً] أوكان في الأعراب؟ قال: لا، ولكنه فصيح.
٦	عمر بن أبي ربيعة ١٦، ٣٢	مولد وهو حجة. سمعت أبا عمرو بن العلاء يحتج في النحو بشعره ويقول: هو حجة.
٧	فضالة بن شريك	هؤلاء مولدون وشعرهم حجة.
٨	عبدالله بن الزبير الأسدي ١٦، ٣٢	
٩	ابن الرقيات [٥٩]	
١٠	الأقيشر ١٦، ٣٢	طعن فيه ولم يلتفت إلى شعره.
١١	ابن هرمة ١٦، ٣٢	ثبت فصيح.
١٢	ابن أذينة ١٦، ٣٢	ثبت في طبقة ابن هرمة، وهو دونه في الشعر.
١٣	طفيل الكناني ١٧، ٣٢	مثل ابن هرمة.
١٤	يزيد بن ضبة ١٧، ٣٣	مولى لثقيف.
١٥	ابن مفرغ ١٧، ٣٣	من مولدي البصرة.
١٦	الأحوص ٢٠، ٣٨	مولد نبت بقباد حتى هرم.
١٧	الكميت بن زيد ٢٠، ٣٩	ليس بحجة لأنه مولد.
١٨	الطرماح ٢٠، ٤٠	ليس بحجة.
١٩	ذو الرمة [٦٠] ٢٠، ٤٠	حجة لأنه بدوي، ولكن ليس يشبه شعره شعر العرب إلا واحدة [تشبه شعر العرب وهي] [٦١] التي يقول فيها والباب دون أبي غسان مسدود

وتأمل المسرد كفيل بتوضيح جملة حقائق أهمها أن الذين وردت اسماؤهم فيه من الإسلاميين الذين لم يدرك اكثرهم الجاهلية أما الذين أدركوها منهم كعبد بني الحسحاس فان المروي من شعرهم إسلامي فقط ، ، وحيث يظهر جلياً أن الأصمعي عني بالقيمة اللغوية لأشعارهم وعزف عن تقويمهم فنياً فان ابن سلام لم يمتنع عن تصنيف عدد منهم ضمن طبقات الفحول كالقحيف العامري الذي ذكره رابع الطبقة العاشرة من الإسلاميين ، وزياد الأعجم الذي ذكره ثالث الطبقة السابعة من الإسلاميين ، وعبد بني الحسحاس الذي ذكره رابع الطبقة التاسعة من الجاهليين ، وابن الرقيات الذي ذكره أول الطبقة السادسة من الإسلاميين ، وابن مفرغ (يزيد بن ربيعة) الذي ذكره ثاني الطبقة السابعة من الإسلاميين ، والأحوص الذي ذكره ثاني الطبقة السادسة من الإسلاميين ، ولعل سبب هذا التفاوت بين موقف الأصمعي وابن سلام يكمن في غلبة الاهتمام اللغوي على موقف الأصمعي في النظر النقدي فضلاً عما قد يلمح من عزوفه الشخصي عن تقويم بعض المولدين تقويماً فنياً قد يخل به التأثر بالموقف المذهبي ، بيد أن هذه الحقيقة لا تشغلنا عن محاولة تلمس الأبعاد الرئيسة لموقفه اللغوي نفسه ، وما يصاحبه أحياناً من نظر فني ، وعلى هذا الصعيد ينبغي لنا أن نقرر ابتداءً أن منطلق الأصمعي في أحكامه اللغوية على المولدين هو قناعته التي قد تكون متميزة أحياناً ، ودليلنا على ذلك أنه يحكم على زياد الأعجم مثلاً بأنه (حجة لم يتعلق عليه بلحن) بينما يذهب ابن قتيبة إلى القول في زياد نفسه : « كثير اللحن في شعره ، ولهذا قيل له الأعجم ، ولفساد لسانه بفارس » (٦٢) ، أما الأقيشر الأسدي فقد رأينا الأصمعي يطعن فيه ولا يلتفت إلى شعره ، ويحكم على الكميت بن زيد والطرماح بن حكيم بأنهما ليسا حجتين بينما يشير ما بين أيدينا من مصادر اللغة إلى أن العلماء لم يتحرجوا من الاحتجاج بأشعارهم » (٦٣) ومثل هذا يمكن أن يقال في سائر أحكامه ، فالشعراء الذين ترد أسماؤهم في

المسرد ممن لا يقف اللغويون موقفاً موحداً من مسألة الاحتجاج بأشعارهم ، وإنما ينطلقون في تقويم لغتهم من مواقف متباينة قد يحتاج استقصاؤهاإلى دراسة لغوية متخصصة .

ويخيل إلي أن الأصمعي كان يميل إلى عدم الاحتجاج بشعر المولدين جملة ، ولعله كانأقرب إلى طبعه عندماصرح بهذا الميل في حكمه على الكميت ابن زيد بأنه (ليس حجة) ثم علل ذلك بقوله : (لأنه مولد)، وقد يقال في الرد على هذا بأن الأصمعي نفسه قال في عمر بن أبي ربيعة وفضالة بن شريك وعبد الله بن الزبير الأسدي وابن الرقيات إنهم (مولدون ، وشعرهم حجة) ، ولكننا نرى هذا القول دعماً لما نذهب إليه لأن الأصمعي لو لم يكن يرى أن (التوليد) علة للفساد اللغوي لاكتفى بالقول في هؤلاء : « شعرهم حجة »، ولكن الذي يبدو أن إحساسه الخفي بأن كونهم (مولدين) يناقض كون (شعرهم حجة) هو الذي دفعه إلى النص على صفة التوليد وكأنه يظهر التسليم باجتماع النقيضين ، ومن خلال قناعتنا بهذا التصور نذهب إلى أن أحكام الأصمعي على كل من يزيد بن ضبة وابن مفرغ والأحوص التي لم تتضمن إلا وصف الشاعر منهم بأنه (مولى) أو (مولد) تستدعي الاعتقاد بأنه حكم على أشعارهم بأنها (ليست حجة) ضمناً ، أما أحكامه التي وثق فيها لغة بعض المولدين فلا نظنها منبثقة إلا عن الانسياق وراء المجرى الذي اجتمع عليه جمهور اللغويين حين قبلوا الاحتجاج بشعر المولدين ثم ذهبوا مذاهب مختلفة في تحديد معايير الاحتجاج .

ولعلنا مسؤولون بعد ذلك كله عن توضيح علة تفاوت ظاهر أحكام الأصمعي على من ذكره من المولدين ، وذلك ما نفضل أن نعزوه إلى الحقيقة التي أشرنا إليها أولاً وهي أن كتاب (الفحولة) في الأصل حصيلة إجابات على أسئلة متفرقة قد يتمخض عنصر تفاوتها الزماني عن مثل هذا الذي رأيناه من عدم ارتباط الأحكام بقاعدة منهجية واضحة .

بيـــد أن بوسعنـــا – رغم هذا كله – أن نضع اليد على ضوابط لم يصرح بها الأصمعي ولكن أحكامه تومىء إليها بشكل صريح حيناً وبشكل يحتاج إلى التأمل حيناً آخر ، ففي حكمه على ذي الرمة يصرح بعلة توثيق لغته حين يقول (حجة لأنه بدوي) ، أما في حكمه على أبي عطاء السندي حين أجاب عن سؤال أبي حاتم بشأنه (أو كان في الأعراب ؟) بقوله : (لا ، ولكنه فصيح) فان ثمة إشارة موحية تقرر إيمان الأصمعي بأن المولد الذي لا (يكون) في الأعراب لا يكون فصيحاً في الأصل أما أبو عطاء السندي فحالة خاصة ولهذا وجب استثناؤه بـ (لكن) ، ومن هنا يكون بوسعنا القول بأن من أوضح ضوابط الأصمعي لتوثيق لغة المولد هو أن يكون المولد بدوياً أو ممن يكون في البدو ، وذلك مذهب لا نعرف أحداً من لغويي القرنين الثاني والثالث لا يوافقه عليه .

وقد يفهم من حكم الأصمعي على عمر بن أبي ربيعة الذي قال فيه (مولد وهو حجة) ثم لم يلبث أن شفع هذا بقوله (سمعت أبا عمرو بن العلاء يحتج في النحو بشعره ... الخ) أنه ربما كان يعتمد في بعض أحكامه على آراء من يثق بهم من شيوخه ، ولكننا لا نرى أن نجعل من هذا الاستنتاج – رغم منطقيته – قاعدة لعدم اطراده في أحكام أخرى أولاً ، ولما نعلمه من ميل الأصمعي الخاص الى التشدد في مسألة الاحتجاج بشعر المولدين ثانيا .

وعلى الرغم من أن أحكام الأصمعي على المولدين جاءت حاسمة غير معللة بوجه عام فاننا نستطيع أن نزعم أنه قد يتخذ الشاهد الشعري ذريعة للحكم وإن لم نكن نمتلك إلا نصاً واحداً يرد في الفحولة بشأن الأقيشر الذي طعن فيـــه ولـــم يلتفت إلى شعره حيث تطالعنا هذه المحاورة التي ينقلها أبو حاتم بقوله : « قال : لا يقال إلا رجل شَرَطي . فقلت : قال الأقيشر :

إنمـــا يشربُ من أموالنـــا فاسألوا الشرْطيّ ما هذا الغضب

قال : ذاك مولد » (٦٤) .

تلك هي الضوابط التي يمكن الخروج بها مما تتضمنه كتاب الفحولة من أحكام التوثيق اللغوي أما القاعدة الرئيسة فهي هذا الذي أشرنا إليه من ميل الأصمعي إلى التشـــدد في مسألة الاحتجـــاج بشعر المولدين ، ولعـــل مبعث هذا الميل ما كان من حرص الأصمعي على الدفاع عن العربية التي تعرضت في عصره للفساد على ألسنة الموالي من الأعاجم فلما تشمر للدفاع عنها دخل في خصومه عنيفة مع علماء ينحدرون من أصول فارسية كأبي عبيدة (٦٥) فدعاه ذلك إلى الغلو في التشدد غلوا تمخض عن هذا الذي رأيناه من تميز في الأحكام .

وقد تتيح لنا إعادة تأمل المسرد فرصة الكشف عن حقيقة أخرى مضمونها أن المنهج الأساس القائم على تقسيم الشعراء (فحولاً) و (غير فحول) في التقويم الفني ظل يجد بعده التطبيقي في التقويم اللغوي ، فعلى الرغم من تعدد المصطلحات اللغوية (حجة) ، (فصيح) ، (ثبت) لم يحظ أي من المولدين بغير إحدى الصفتين : الوثوق بلغته أو عدم الوثوق بها سوى أبي دلامة الذي يبدو أنه احتل منزلة بين منزلتين فكان (صالح الفصاحة) ، وما يدرينا بعد ذلك لعل طبيعة منهج النظر اللغوي الذي لا يتسع لتشخيص (درجات) متفاوتة في تقويم السلامة اللغوية هو المسؤول عن تقييد نظر الأصمعي النقدي وتضييق دائرة أحكامه في ميدان التقويم الفني الذي رأيناه لا يشخص إلا (فحولاً) و (غير فحول) ، فان صح ذلك يكون بوسعنا القول بأن تخفف ابن سلام من ثقل المنهج اللغوي هو الذي أتاح له أن يتوسع في التقويم فيدرج أسماء أربعين فحلاً في عشر طبقات يمثل تسلسلها ضرباً من التقويم الفني للشعـــراء الذين يدرجون في كل منها .

بقي أن نشير إلى أن ما ورد في حكم الأصمعي على ابن أذينة (ثبت في طبقة ابن هرمة ، وهو دونه في الشعر) قد يثير تساؤلاً حول مدلول مصطلح

(الطبقة) عنـــده ، وواضح أنه لا يحملها هنا مدلولاً فنيـــاً بدليل أنه نفى أن يكون ابن أذينة بمستوى ابن هرمة في الشعر ، وعلى هذا لا يكون أمامنا إلا مدلول التقارب في التقويم اللغوي أو قبول مدلول التقارب الزماني المحض (٦٦) ، وقد لا يخرج حكمه على طفيل الكناني (مثل ابن هرمة) عن أحد المدلولين ، وذلك افتراض نعتمد في تقريره على أن النص ورد بعد القول في ابن اذينة مباشرة فكأن كلمة (مثل) فيه جاءت مرادفاً لكلمة (من طبقة) فضلاً عن أن الأصمعي لم يصدر في أحكامه على المولدين من موقف الموازنة الفنية كما رأينا وإنما انطلق من موقف النظر إلى لغتهم وإلى السمة التي اشتركوا في التفرد بها وهي سمة التأخر في الزمان عن فحول الجاهلية ، وتلك حقيقة يؤكدها لدينا أنه حين حكم على ذي الرمة بأنه (حجة) لم يمنعه ذلك من من أن ينكر أن (يشبه شعره شعر العرب) ، فإنْ تمخض النظر الفني إلى شعر من هو (حجة) من المولدين عن مثل هذا الحكم فأي حكم سيتمخض عنه النظـــر إلى شعر من هو (غير حجة) ؟ وأي معيار فني يمكننا أن نشخص ملامحة في مجموع أحكام الأصمعي على المولدين ؟

وحيث ننتهي من ذلك كله يصح لدينا القول بأن الحقائق التي طالعتنا في تفاصيل نظر الأصمعي إلى الشعراء الذين ورد لهم ذكر في (الفحولة) تقرر أنه ظل يميز بين خمس فصائل من الشعراء تمييزاً منهجياً واعياً ، فلا يقول في الشاعر إلا بعد أن يتبين انتماءه إلى إحدى تلك الفصائل ثم يكون حكمه عليه منبثقـــاً عن النظر إلى موقفه ضمن إطار فصيلته ، وقـــد رأينا أن الفصائل الخمس هي :

١ـ الفحول وفيها ذكر للجاهليين فقط .

٢ـ الفرسان وفيها ذكر للجاهليين فقط .

٣ـ الصعاليك وفيها ذكر للجاهليين فقط .

٤ـ الرجاز وفيها ذكر للإسلاميين فقط .

٥- المولدون والموالي وفيها ذكر للاسلاميين والمخضرمين .

وقد لا نجانب الصواب إذا خرجنا من هذه الحقيقة بتقرير بضع ملاحظات واستنتاجات منها أن الأصمعي ظل يقصر (الفحولة) على الجاهليين دون الإسلاميين في التقويم الصريح شأنه في ذلك شأن عامة علماء القرن الثاني الذين أشرنا إلى علل تقديمهم للجاهليين ، ومن هنا يكون بوسعنا أن نضع اليد على علة اكتفاء الأصمعي بالنظر اللغوي المحض إلى أشعار المولدين ، وهو موقف نراه انسحب على نظره إلى الرجاز الذين لم يذكر منهم إلا الإسلاميين من جيل الأغلب العجلي أو من تأخر عنه ، بيد أننا لا نريد أن نزعم بهذا أن المعيار الزماني هو الأساس الوحيد لنظرته إلى الرجاز لاننا نعلم أن سبيل الرجز ظل غير سبيل الشعر في العرف وفي النظر النقدي في عصر الأصمعي وقبل عصر الأصمعي بزمن طويل .

وتبقى محاولة وضع اليد على منطلق الأصمعي في التمييز بين الفحول والفرسان والصعاليك مرهونة باستيعاب ما أشرنا إليه من إيمانه الخفي بأن من سمات الفحولة عدم تطويع عملية الإبداع الشعري للالتزام بأرضية خلقية أو فكرية أو حياتية محددة ، فالنموذج الشعري الأعلى في نظر الأصمعي هو الشاعر القبلي الذي يضطرب شعره في آفاق المعاناة الجماعية وتفاصيلها غير المحددة فضلاً عن خوضه تفاصيل التجارب التقليدية في افتتاح قصائده من بكاء الديار والنسيب والرحلة ... الخ وتلك معالم لم تكن ممتدة إلى قصائد الفرسان والصعاليك فذلك الذي ميزهم من الفحول ، وفي ضوء هذا الفهم يمكننا تفسير ظاهرة قبول الأصمعي تقويم بعض الفرسان ضمن (الفحول) كطفيل الغنوي مثلاً ، فلعله رأى في شعره انشداداً إلى المعاناة القبلية يطغى على نزعة الفروسية التي اشتهر بها عند أصحاب الأخبار والسير فكان أن انطلق من نظرته إلى الشعر لا إلى الشاعر في ميدان التقويم .

أما التمييز بين الفرسان والصعاليك فقد لا يخرج عند الأصمعي عن إطار النظر إلى تمايز تفاصيل التجربة الشعرية وإن كانت عنده محددة الآفاق في نماذج كلتا الفصيلتين .

وحيث يبدو بعد ذلك كله أن ما تابعنا تفاصيله من جهد الأصمعي النقدي في تصنيف الشعراء والحكم عليهم هو المدار الرئيس لهذا الذي تضمنه كتاب (الفحولة) فان استقراء ما تناثر في صفحات الكتاب من سائر التعليقات والملاحظات والآراء يكشف عن حصيلة لا نشك في قدرتها على إضاءة جوانب أخرى من شخصية الأصمعي ومنهجه في النظر إلى الشعر والشعراء ، فمما يدخل في إطار التقويم الفني ما ورد من موازنات جزئية بين الشعراء أحياناً وبين النصوص أحياناً أخرى ، من ذلك ما يطالعنا في هذه المحاورة التي نقلها أبو حاتم : « سألت الأصمعي : من أشعر الراعي أم ابن مقبل ؟ قال : ما أقربهما : قلت : لا يقنعنا هذا . قال : الراعي أشبه شعراً بالقديم وبالأول » (٦٧) والذي يشير إليه مسرد الفحول الذي قدمناه أن الراعي النميري واحد من الإسلاميين القلائل الذين رضي الأصمعي أن يخضعهم لتقويم (الفحولة) فلعل في موازنته بابن مقبل تفسير لهذه المسألة ، فعلى الرغم من أن الأصمعي كان يعلم أن ابن مقبل جاهلي إسلامي ، وأنه أقدم من الراعي ، فان المعيار الزماني سقط عنده في لحظـــة إعجاب بقدرة الراعي الفنيـــة ، وتمكنـــه من إشاعة مناخ النموذج الجاهلي في شعره (٦٨) ، وما يدرينا لعل الذي دفعه إلى الرضى بتقويم الراعي ضمن معيار الفحول هو الذي دفعه إلى الرضى بتقويم بقية الإسلاميين القلائل الذين ورد لهم ذكر في المسرد رغم أن أياً منهم لم يرتفع إلى مرتبة (فحل) بأية حال .

وقد ترد الموازنة الجزئية أشبه بالحكم التقريري المنبثق عن التأثر الذوقي المحض كما هو الشأن في هذا النص : « قال الأصمعي يوماً : أشعرت أن

ليلى أشعر من الخنساء ؟ » (٦٩) على أن لنا أن نلاحظ أنه ظل واقعاً تحت تأثير النظر إلى أثر تفاصيل ظرف الشاعر في شعره خلال الموازنة ، فكما أن الفارس لا يوازن إلا بفارس ، وكما أن الصعلوك لا يوازن إلا بصعلوك ، فان الشاعرة لا توازن إلا بشاعرة ، وذلك منهج قد يكون منبثقاً عن افتراض منطقي مقبول ولكن (منطقيته) لا تشغلنا عن ملاحظة أنه قد يمثل الملامح الأولى للمنهج البيئي (الاقليمي) الذي رفده ابن سلام والجاحظ بعد ذلك بما وضح ملامحه حتى اكتمل منهجاً تطبيقياً في يتيمة الدهر للثعالبي .

وقد تتراجع صيغة الموازنة إلى إطار مقيد بموضوع شعري كما هو الأمر في قوله : « لم يكن النابغة وأوس وزهير يحسنون صفة الخيل ، ولكن طفيل الخيل غاية في النعت » (٧٠) ، وقد يدخل في هذا الإطار ما ورد من إشارات إلى تخصيص شعراء بتوجه شعري تفردوا به دون سواهم من الشعراء كقوله « ذهب أمية بن أبي الصلت في الشعر بعامة ذكر الآخرة ، وعنترة بعامة ذكر الحرب ، وذهب عمر بن أبي ربيعة بعامة ذكر النساء » (٧١) ، فاذا لاحظنا أن الأصمعي لم يذكر أمية ولا عنترة في تقويم الفحول الجاهليين رسخت لدينا القناعة بما سبق أن قررناه من عزوفه عن تقويم فحولة من يغلب على نتاجه الشعري آثار التزام فكري متميز ، أما عمر بن أبي ربيعة فقد رأينا أنه نظر إلى تأخره في الزمان فلم يخضع شعره إلا للتقويم اللغوي الذي لا يفصح عن تقويم فني صريح .

ولا يدخل في هذا الإطار ما تناثر في كتاب الفحولة من نصوص عبر بها الأصمعي عن إعجابه بنصوص معينة للفحول ولغير الفحول كاستجادته لرائية النابغة الجعدي ولاميته (٧٢) وإعجابه بمرثية أعشى باهلة (٧٣) واستجادته لأرجوزة لأبي النجم العجلي (٧٤) فتلك أحكام تأثرية صرف لا يومئ استقراؤها إلى بواعث منهجية واضحة سوى ما نلمحه في حكمه على نصوص

للشماخ وأبي ذؤيب حيث قال : « ليس في الدنيا أحد يقوم للشماخ في الزائية والجيمية إلا أبو ذؤيب أجاد في جيميته حداً لا يقوم له احد » (٧٥) ففيه إشارة صريحة إلى أن القافية كانت شاخصاً تعتمد عليه كفتا الموازنة عند الأصمعي أحياناً ، وذلك مسلك ظلّ ممتداً إلى أحكام أخرى للأصمعي في غير (الفحولة) فقد ورد في شرح الأعلم لقصيدة زهير بن أبي سلمى التي مطلعها :

بان الخليطُ ولم يأوَوا لمن تركوا   وزودوكَ اشتياقاً أيةً سلكُوا

قوله « زعم الأصمعي أن ليس للعرب قصيدة كافية أجود من هذه ، ومن كافية أوس ابن حجر » (٧٦) ، فان صح لنا هذا التصور كان لنا أن نقرر بحذر إن الشكل الفني قد يمثل عند الأصمعي ثقلاً في الموازنة والحكم (٧٧) أما المعيار الكمي فقد يمثل شاخصاً آخر نلمح امتداده إلى تعليل الأصمعي لتفضيله النابغة الذبياني على أوس بن حجر في هذا النص : « قال أوس :

بجيش ترى منه الفضاء معضلاً

في قافية ، وقال النابغة فجاء بمعناه في نصف بيت وزاد شيئاً آخر فقال

جيش يظل به الفضاء معضلاً   يدع الأكام كأنهن صحاري (٧٨)

وظاهر النص مما يوقع في الحرج ، فشطر بيت أوس هو صدر بيت النابغة نفسه باستثناء خلاف بسيط لا يمس جوهر المعنى الواحد فيهما ، فأي وجه للموازنة بينهما ؟ وأي وجه لحكم الأصمعي بأن النابغة جاء بمعنى أوس في نصف بيت وهو يسوق لأوس نصف بيت وللنابغة بيتاً كاملاً ؟ لهذا كله رجعت إلى ديواني الشاعرين فوجدت بيت النابغة في ديوانه بهذه الرواية

جمعاً يظل به الفضاء معضلاً   يدع الأكام كأنهن صحاري (٧٩)

أما الشطر المنسوب إلى أوس فقد عجزت عن الفوز به في ديوانه وفي ذيله وفيما أنكر المحقق نسبته إليه من شعر نسب إليه في المصادر .

ورجعت إلى هوامش المحققين فوجدت محمد عبد المنعم خفاجي يقول في الشطر ما نصه : « هو عجز بيت لأوس من قصيدته اللامية المشهورة التي مطلعها :

صحا قلبه عن سكره وتأملا   وكان بذكرى أم عمرو موكلا (٨٠)

فرجعت إلى القصيدة مرة أخرى ، فلم أجده ، فعلمت أنه لم يرجع إليها وإنما غرّه تشابه الوزن والقافية فقرر على التخمين .

أما توري فقد كان أشد حذراً حيث قال « هذا الشطر مقتبس من الشعر في الجزء الثامن من اللسان ص ٤٧٨ » (٨١) وقد رجعت إلى معجم الشعراء في لسا ن العرب فلم أجدما يعين على العثور على هذا الشطر منسوباً إلى أوس في اللسان (٨٢) بيد أنني وجدت له بيتاً في مادة (عضل) هو قوله :

ترى الأرض منا بالفضاء مريضة   معضلة منا بجمع عرمرم (٨٣)

فلعله هو الذي عناه توري باشارته ، ولعله هو البيت المثبت في أصل الفحولة مسخه الناسخ حين سقط منه فأثبت في موضعه الشطر الأول من بيت النابغة مع تغيير بسيط عمداً أو إهمالاً ، ولم يتنبه الناشران إليه ، فورد هكذا في نشرتين ، وبهذا التصور وحده يكون لرأي الأصمعي وموازنته معنى ، ذلك أن معنى بيت أوس كله يرد في صدر بيت النابغة الذي زاد على معناه شيئاً كما قال الأصمعي ، ويكون لنا بعد ذلك كله أن نثق بتصورنا لأثر المعيار الكمي في موقف الأصمعي النقدي الذي رأيناه يقرر أن خمس قصائد أو ستاً كفيلة برفع بعض الشعراء إلى مرتبة الفحول .

وقد يكون للمعيار الكمي أثر في مثل قول الأصمعي « ليس في الدنيا قبيلة على كثرتها أقل شعراً من بني شيبان وكلب ، قال : وليس لكلب شاعر في الجاهلية قديم . قال : وكلب مثل شيبان أربع مرات » (٨٤) وإذ يبدو الأمر هنا متجهاً إلى العرض الاخباري الذي لا يفصح عن حكم فني فان ثمة نصاً

آخر يبدو المعيار الكمي فيه ذا أثر في التقويم الفني لشعر القبائل وهو ما سبقت الإشارة إليه من روايته لرأي حسان في تفضيل هذيل على القبائل في الشعر وتعليقه عليه بأن فيهم أربعين شاعراً مفلقاً ... الخ .

ويشارك الأصمعي جيله من العلماء في وضع مسألة توثيق النصوص موضعاً متميزاً في الجهد النقدي ، فعلى الرغم من أننا لا نفوز من كتاب الفحولة بما يضاهي البحث المسهب الذي عقده ابن سلام في مقدمة طبقاته للحديث عن النحل والتزيد عند ابن اسحاق وحماد وغيرهما فان بعض الملاحظات التي صدرت عن الأصمعي تشير إلى عمق اهتمامه بالمسألة وإن بدت ملاحظات عامة أشبه بالتقرير الاخباري كقوله : « وقـد أخذ طفيل من امرئ القيس شيئاً ، ويقال إن كثيراً من شعر امرئ القيس لصعاليك كانوا معه » (٨٥) وقوله في مهلهل : « واكثر شعره محمول عليه » (٨٦) ، وقوله في يزيد بن ضبة : « قال يزيد بن ضبة ألف قصيدة فاقتسمتها العرب فذهبت بها » (٨٧) وقوله في النابغة الجعدي : « والشعر الأول من قوله جيد بالغ والآخر كله مسروق وليس بجـيد » (٨٨) وقوله في الفرزدق « تسعـة أعشار شعره سرقة، قال: وأما جرير فله ثلاثون قصيدة ما علمته سرق شيئاً قط إلا نصف بيت » (٨٩) .

وقد يخضع الأمر لشيء من التفصيل الذي يظهر منه تشدد الأصمعي في تنخل الصحيح من المحمول وذلك ما نلمسه في هذا الذي رواه أبو حاتم بشأن الأغلب العجلي حيث قال : « وقال لي مرة (يعني الأصمعي) : ما أروي للأغلب إلا اثنتين ونصفاً . قلت كيف قلت نصفاً ؟ قال : أعرف له اثنتين وكنت أروي نصفاً من التي على القاف فطولوها . ثم قال : كان ولده يزيدون في شعره حتى أفسدوه .

قال أبو حاتم : وطلب منه اسحق بن العباس رجز الأغلب فطلبه مني

فأعرته إياه فأخرج نحواً من عشرين قصيدة ، فقلت : ألم تزعم أنك لا تعرف له إلا اثنتين ونصفاً ؟ قال : بلى ، ولكنني انتقيت ما أعرف فان لم يكن له فهو لغيره ممن هو ثبت أو ثقة » (٩٠) والتساهل الذي نراه في الشطر الأخير من الرواية لا يناسب التشدد الذي رأيناه في أولها ، ولكننا نبقى متمسكين بوصف الأصمعي بالتشدد في تنخل المحمول والموضوع من الشعر في جهده النقدي ، أما هذا التساهل الذي لمحه أبو حاتم في قبول الأصمعي عشرين قصيدة من مجموع شعر الأغلب الذي استعاره منه فلعل مبعثه أن الأصمعي لم يكن ليعني بالجانب الفني في شعر المولدين والرجاز قدر عنايته بالجانب اللغوي وما يدرينا لعله قدّر أن أبا العباس لم يطلب إليه رجز الأغلب إلا للفائدة اللغوية فما كان منه إلا أن اختار له من مجموع شعره ما اختار دون تنخل للمحمول عليه ما دام الذي نحله إياه (ثبت) أو (ثقة) في اللغة فذلك الذي ينتفع به صاحبه لا ما يطيل النقاد الحديث عنه في مثل هذه الحالة من تنخل المنحول من الصحيح .

ولا يتضمن كتاب الفحولة بعد ذلك من إجابات الأصمعي عن أسئلة تلميذه أبي حاتم أو ملاحظاته أو تعليقاته ما يرتفع إلى مستوى الجهد النقدي الذي يصلح للتأمل والتحليل ، فثمة شروح قليلة لمفردات أوأبيات ، وثمة أخبار مبتسرة عن عدد من الشعراء تداولها أصحاب التراجم وكتب تأريخ الأدب .

ولعل في هذا الذي نقله الأصمعي من آراء غيره في عدد من الشعراء الذين تناولهم بالحديث أو بالحكم مادة تصلح للنظر والتحليل ولكننا آثرنا الاكتفاء بآراء الأصمعي في هذا البحث تاركين ما سواه من آراء العلماء والشعراء وتعليقات أبي حاتم على بعض آراء شيخه مما ورد في الفحولة لدراسة مقبلة إن شاء الله .

الهوامش والمصادر

(١) الشاعر الإسلامي تحت نظام سلطة الخلافة ، د . داود سلوم ، بيروت ، ١٩٧٨ م ، ص ١٧ .
(٢) النقد المنهجي عند العرب ، د . محمد مندور ، مصر (د . ت) ، ص ٥ .
(٣) انظر مقدمة توري بالانكليزية في نشرة د . صلاح الدين المنجد ص ٤١ .
(٤) مقدمة المحققين ، ص ٥ .
(٥) أظن أنهما اطلعا عليها بدليل قولهما في مقدمة النشرة ، ص ٣ ؛ « فعقدنا العزم على نشر الكتاب نشراً جديداً » .
(٦) لم يرد للكتاب ذكر في تاريخ النقد الأدبي عند العرب للمرحوم الأستاذ طه أحمد ابراهيم ولا في النقد المنهجي عند العرب للدكتور محمد مندور ، ولا في كتاب تاريخ النقد العربي الى القرن الرابع الهجري للدكتور محمد زغلول سلام ، ولا في تاريخ النقد الأدبي عند العرب للدكتور إحسان عباس الذي نقل الكثير من آراء الأصمعي المثبتة أصلا في الفحولة من نقول المرزباني منها في الموشح .
والعجيب أن الدكتور عبدالجبار الجومرد الذي كتب دراسة مسهبة عن الأصمعي ونشرها في سفر ضخم بعنوان (الأصمعي حياته وآثاره ، بيروت ١٩٥٥ م) لم يذكر شيئاً عن فحولة الشعراء رغم أن كتاب الفحولة كان قد نشر مرتين قبل صدور كتابه !
(٧) وذلك في المقدمة الانكليزية التي تقع في ست صفحات استغرق وصف المخطوطة ومنهج تحقيقها أكثر من نصفها وتناولت بقيتها الكتاب وأحكامه بالعرض والتحليل الموجزين .
(٨) المقدمة ، ص ٥ .
(٩) أنظر الطبعة الخامسة منه ، ص ١٤٦—١٥٥ .
(١٠) نشرة توري ص ٩ ، نشرة خفاجي ص ١٢—١٣ ، وصدر النص إشارة صريحة الى إن التسلسل الزمني لم يكن أساساً لترتيب الروايات في الفحولة ، وإلا فمن غير المعقول أن يكون أول مايرويه عنه هو إجابته عن سؤال سأله إياه (قبيل موته) !
(١١) توري ٩ ، خفاجي ١٤ .
(١٢) توري ٩ ، خفاجي ١٥ .
(١٣) الأغاني طبعة دار الكتب ، ج ١١ ص ٧٠ .
(١٤) الشعر والشعراء ، ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) تحقيق أحمد محمد شاكر ، مصر ١٩٦٧ م ، ج١ ص ٢٠٦ ، الموشح ، المرزباني (ت ٣٨٤ هـ) مصر ١٣٤٣ هـ ، ص ٤٧ ، العمدة ، ابن رشيق (٤٥٦ هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، مصر ١٩٥٦ م ، ج١ ص ٨٦ ، المزهر ، السيوطي (ت ٩١١ هـ) تحقيق محمد احمد جاد المولى مصر ١٩٥٨ م ، ج٢ ص ٤٧٢ .
(١٥) الشعر والشعراء ، ج١ ص ٢٠٥ ، الأغاني ، ج١١ ص ٧٠ ، العمدة ج١ ص ٨٨ ، وورد في الاشتقاق لابن دريد (ت ٣٢١ هـ) تحقيق عبدالسلام هرون : مصر ١٩٥٨ ، ص ٣٧ ،

أن الذي أسقط أوساً هو زهير وحده وورد في شرح شواهد المغني للسيوطي ، تصحيح محمد محمود الشنقيطي ، دمشق ١٩٦٦ م ، ص ١١٦ أن الذي أسقط أوساً هو النابغة وحده ، ولعل علة ماورد في المصدرين الأخيرين هو سقوط اسم النابغة في أولهما وسقوط اسم زهير في الآخر .

(١٦) توري ١٣ ، خفاجي ١٩ .

(١٧) توري ٩ ، خفاجي ١٢ .

(١٨) توري ١٩ ، خفاجي ٣٧ .

(١٩) توري ١٥ ، خفاجي ٣٠ .

(٢٠) توري ١٠ ، خفاجي ١٩ وسقط منه قوله (في بعض شعره) .

(٢١) توري ٩ ، خفاجي ١٣ ، ابن اللبون : ولد الناقة إذا حملت بغيره ودر لبنها ، لز : شد ، قرن : حبل مفتول ، البزل : جمع بازل وهو البعير في التاسعة من عمره ، القناعيس : الشداد .

(٢٢) توري ١١ ، خفاجي ١٩ .

(٢٣) البيان والتبيين ، الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) تحقيق عبدالسلام هرون ، مصر (د ت) ج٢ ص ٩ .

(٢٤) لم يصل إلينا كتاب في الطبقات لأبي عبيدة ، ولكن بعض الدارسين جمع نصوصاً منه مبعثرة في كتب الأدب فخرج بقائمة تضم ثلاث طبقات جاهلية وطبقة واحدة للإسلاميين وطبقة واحدة للمحدثين ، وهي القائمة التي سنستخدمها في الموازنة ، أنظر القائمة في كتاب مصطلحات نقدية ، خير الله علي السعداني ، رسالة ماجستير بالآلة الكاتبة ص ٢٨٨ نقلا عن « أبو عبيدة معمر بن المثنى لغوياً وراوياً » ناصر حلاوي ، رسالة دكتوراة باللغة الانكليزية من جامعة لندن .

(٢٥) نشر الكتاب عدة نشرات أوثقها نشرة يوسف هل ، ليدن ١٩١٦ م بعنوان طبقات الشعراء ، ونشرة محمود محمد شاكر مصر ١٩٥٢ م بعنوان طبقات فحول الشعراء ، ويضم الكتاب عشر طبقات جاهلية عدة كل طبقة أربعة شعراء وعشر طبقات إسلامية عدة كل طبقة اربعة شعراء أيضاً وبينها طبقات شعراء المدن والمراثي وشعراء يهود .

(٢٦) سيكون تسلسل الشعراء قائماً على تسلسل ورود ذكرهم في الفحولة ، واختصاراً للهوامش سنثبت رقمين أمام اسم كل شاعر أولهما رقم صفحة وروده في نشرة توري والآخر رقم صفحة وروده في نشرة خفاجي .

(٢٧) توري ١٢ ، خفاجي ٢١ .

(٢٨) تناولنا النص في معرض حديثنا عن موقف الأصمعي من النابغة الذبياني .

(٢٩) توري ١٨ ، خفاجي ٣٥ ، وقد ساق ابن سلام النص نفسه دون إسناد وزاد فيه أسماء شعراء ربيعة وشعراء قيس ، وذكر المتلمس ثامنا بين عشرة شعراء من ربيعة ، أنظر الطبقات نشرة هل ص ١٣ .

(٣٠) أنظر مادة (فلق) في اللسان مثلا .

(٣١) البيان والتبيين ج٢ ص ٩ ، وقد اقتطعنا من رواية الأصمعي رأي رؤبة فيه ونقلناها في موضع سابق .

(٣٢) توري ١٥ ، خفاجي ٢٨ .
(٣٣) طبقات الشعراء ص ٣٠ وانظر قوله في أول حديثه عن الطبقة السابعة ص ٣٦ .
(٣٤) طبقات الشعراء ص ٣٤ .
(٣٥) الشعر والشعراء ج١ ص ٣٠٥ .
(٣٦) توري ١٢ خفاجي ٢١ .
(٣٧) الأغاني ج٢ ص ١٧٠ .
(٣٨) الموشح ص ٦٢ .
(٣٩) توري ١٢ ، خفاجي ٢٣ .
(٤٠) توري ١٣ ، خفاجي ٢٤ .
(٤١) توري ١٣ ، خفاجي ٢٤ .
(٤٢) توري ١٥ ، خفاجي ٢٩ .
(٤٣) توري ١٥ ، خفاجي ٢٩ .
(٤٤) توري ١٤ ، خفاجي ٢٧ .
(٤٥) توري ١٨ ، خفاجي ٣٥ .
(٤٦) توري ١٩ ، خفاجي ٣٧ .
(٤٧) توري ١٥ ، خفاجي ٢٩-٣٠ .
(٤٨) توري ١٩ ، خفاجي ٣٧ .
(٤٩) انظر البحث الموسوم بـ « محمد بن سلام » للدكتور علي جواد الطاهر المنشور في العدد الحادي والأربعين من مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، نيسان ١٩٦٦ م .
(٥٠) توري ١٦ ، خفاجي ٣٠ .
(٥١) توري ١٦ ، خفاجي ٣١ .
(٥٢) توري ١٦ ، خفاجي ٣١ .
(٥٣) توري ١٦ ، خفاجي ٣١ .
(٥٤) توري ١٧ ، خفاجي ٣٣ .
(٥٥) توري ١٣ ، خفاجي ٢٤-٢٥ .
(٥٦) توري ١٨ ، خفاجي ٣٦ .
(٥٧) الشعر والشعراء ج٢ ص ٦١٣ وانظر العمدة ج١ ص ١٨٩ .
(٥٨) انظر طبقات الشعراء ص ١٤٨ .
(٥٩) ورد في الموشح ص ١٨٦ عن الأصمعي أن ابن الرقيات ليس بحجة .
(٦٠) ورد في المزهر ج٢ ص ٢٣٤ أن الأصمعي قال ان ذا الرمة ليس بحجة « اذ طالما أكل البقل والمالح في حوانيت البقالين »
(٦١) مابين المعقوفتين ليس في الأصلين (نشره توري ونشرة جفاجي) والتكملة من رواية الموشح ص ١٧٠ .
(٦٢) الشعر والشعراء ، ج٢ ص ٤٣٣ .

(٦٣) يشير الأستاذ عبدالسلام هرون في كتابه : معجم شواهد العربية ، مصر ١٩٧٢ م الى أن من العلماء الذين احتجوا بأشعار هؤلاء الشعراء : سيبويه والمبرد وثعلب وابن جني والزجاجي وغيرهم ، انظر اسماء هؤلاء الشعراء ومواضع الا ستشهاد بأشعارهم في فهرس المعجم ج٢ ص ٥٨٨ ، ٦٠١ ، ٦٠٩ .

(٦٤) توري ١٦ ، خفاجي ٣٢ .

(٦٥) أنظر أخبار هذه الخصومة في : الأصمعي حياته وآثاره ص ٨٠-٨٨ .

(٦٦) ذهب الأستاذ خيرالله علي السعداني في كتابه مصطلحات نقدية ص ٢٣١ الى الأخذ بالمدلول الزماني لمصطلح (طبقة) عند الأصمعي بوجه عام معتمداً على هذا النص وعلى نص آخر يرد في كتاب الفحولة أيضاً هو قوله في ابن أحمر الباهلي بعد حديث عن الراعي النميري وابن مقبل « دون هؤلاء وفوق طبقته » ولقد كنا نفضل أن يستفاد المدلول الفني من مصطلح (طبقة) في النص الأخير .

(٦٧) توري ١٢ ، خفاجي ٢٣ .

(٦٨) وهذا مذهب قد يخالف ظاهره ماروي عن الأصمعي نفسه في غير الفحولة : « وسأل أبو حاتم الأصمعي : أبشار أشعر أم مروان ؟ فقال : بشار أشعرهما . قال له : وكيف ذاك ؟ قال : لأن مروان سلك طريقاً كثر سلاكه فلم يلحق بمن تقدمه ، وأن بشاراً سلك طريقاً لم يسلكه أحد فانفرد به ، وأحسن فيه ، وهو أكثر فنون شعر ، وأقوى على التصرف ، وأغزر وأكثر بديعاً ، ومروان آخذ بمسالك الأوائل » الموشح ص ٢٥١ ، بيد أننا نرى في هذه الموازنة انشداداً الى معايير فنية متشعبة تمنح الحكم بعداً نقدياًلانلمح مايضاهيه فيالموازنة بين الراعي وابن مقبل .

(٦٩) توري ١٩ ، خفاجي ٣٧ .

(٧٠) توري ١٠ ، خفاجي ١٧ .

(٧١) توري ١٨ ، خفاجي ٣٥ .

(٧٢) توري ١١ ، خفاجي ١٨ .

(٧٣) توري ١٥ ، خفاجي ٣٠ .

(٧٤) توري ٢٠ ، خفاجي ٣٩ .

(٧٥) توري ٢٠ ، خفاجي ٣٩ .

(٧٦) شعر زهير بن أبي سلمى تحقيق د . فخر الدين قباوة ، حلب ١٩٧٠ م ، ص ٧٤ ، وورد النص مبتوراً في ديوان زهير بن أبي سلمى طبعة دار الكتب ، ص ١٦٤ ، فليس في ديوان أوس المطبوع قصيدة كافية سوى خمسة أبيات متفرقة في المصادر جمعها المحقق ولفقها في مقطوعة واحدة وهي التي مطلعها :

زعمتم أن غولا والرجام لكم ومنعجاً فاذكروا والأمر مشترك

ديوانه تحقيق د . محمد يوسف نجم ، بيروت ١٩٦٧ م ، ص ٨٠ .

(٧٧) دلت موازنة قمت بها بين كافيتي زهير وأوس أن القافية ليست العنصر المشترك الوحيد

بينهما وإنما تتشابهان في مناخهما النفسي والأدائي والموضوعي فضلا عن أن كلتيهما من بحر واحد هو البسيط ، انظر كتابي شعر أوس بن حجر ، بغداد ١٩٧٩ م ، ص ٤١٥-٤١٦ .

(٧٨) توري ١٠ ، خفاجي ١٥ .

(٧٩) ديوانه ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، مصر ١٩٧٧ م ، ص ٥٨ ، والقصيدة ضمن القسم الذي نقله المحقق من رواية الأعلم الشنتمري عن الاصمعي .

(٨٠) انظر الهامش ٤ ص ١٥ نشرته .

(٨١) انظر الهامش ١ ص ١٠ من نشرته .

(٨٢) انظر فهرس أبيات أوس في الصفحة ٧٢-٧٣ من معجم الشعراء في لسان العرب للدكتور ياسين الأيوبي ، بيروت ١٩٨٠ م ، وقد كان رجوعي اليه لأن توري لم يشر الى نشرة اللسان التي اعتمد عليها في تخريج البيت .

(٨٣) البيت مثبت في ديوانه ، ص ١٢١ .

(٨٤) توري ١٤ ، خفاجي ٢٦ .

(٨٥) توري ١٠ ، خفاجي ١٦ .

(٨٦) توري ١٢ ، خفاجي ٢٢ .

(٨٧) توري ١٧ ، خفاجي ٣٣ .

(٨٨) توري ١٩ ، خفاجي ٣٨ .

(٨٩) توري ١٩ ، خفاجي ٣٨ وفيه غلو لعل أعدل ماقيل فيه إن سببه هجاء الفرزدق لباهلة .

(٩٠) توري ١٣ ، وفيه ترد الرواية بنواقص ولهذا نقلت الرواية كما جاءت في نشرة خفاجي ص ٢٥ .



فائت الحلبة

في

أسماء الخيل المشهورة في الجاهلية والاسلام

الدكتور
حاتم صالح الضامن

كلية الآداب — جامعة بغداد

(الهمزة)

١ — (آفِق) : فرس فُقَيْم بن جرير بن دارم .
٢ — (الأَبْجَر) : فرس عَبْدَة بن عمرو بن زِنباع بن جذيمة .
٣ — (الأَبْلَق) : فرس للنبيّ (ص) .
٤ — (أَبْهَر) : فرس أبي حَكَم القينيّ .
٥ — (أَجْدَل) : فرس جُلاس بن معد يكرب الكِنْديّ .
٦ — (أَجْدَل) : فرس مشجعة الكتائب .
٧ — (الأَجْدَل) : فرس أبي ذرّ الغفاريّ .

---

(١) ابن الكلبي ١١٤ ، الغندجاني ٣٣ ، حلية الفرسان ١٦٤ .
(٢) الغندجاني ٣٠ . (٣) حياة الحيوان ١٦٦/٢ ، رشحات المداد ١١٥ .
(٤) الغندجاني ٤٢ . (٥) الغندجاني ٣٠ ، القاموس المحيط ٣٤٦/٣ (جدل) .
(٦) الغندجاني ٤٥ ، القاموس المحيط ٣٤٦/٣ (جدل) وفيه : مشجعة الجدلي .
(٧) ابن الكلبي ٢٩ ، ابن الأعرابي ٥٣ ، الغندجاني ٣٠ .

٨ – (الأَحزَم) : فرس نُبَيْشَة بن حبيب السُّلَمِيّ .
٩ – (الأحوى) : فرس عامر بن الطفيل .
١٠– (الأحوى) : فرس قَبيصة بن ضرار الضبيّ .
١١– (الأحوى) : فرس توسعة بن تميم .
١٢– (الأحوى) : فرس عُوَيّة بن سُلْمِيّ بن ربيعة الضبيّ .
١٣– (الأَخْدَر) : فحل مشهور تنسب اليه الخيل الأخدرية .
١٤– (الأَخْرَسُ) : فرس خيبريّ بن الحصين الكلبي .
١٥– (ابن الأخرس) : فرس خيبري بن الحصين الكلبي .
١٦– (الأَدْهَم) : فرس منظور بن زبّان الفزاري .
١٧– (الأَدْهَم) : فرس هاشم بن حرملة المُرِّيّ .
١٨– (الأَدْهَم) : فرس أنس بن مرداس السُّلَميّ . وقيل : فرس معاوية بن مرداس السلمي .
١٩– (الأَدْهَم) : فرسٌ لبني بُجَيْر بن عُباد .
٢٠– (الأَدْهَم) : فرسٌ للنبي (ص) .
٢١– (الأرِن) : فرس عُمير بن جبل البَجَليّ .

---

(٨) الغندجاني ٤٤ ، القاموس المحيط ٩٦/٤ (حزم) . (٩) الغندجاني ٣٨ .
(١٠) ابن الكلبي ٥٢ ، ابن الأعرابي ٥٩ ، الغندجاني ٤١ ، المخصص ١٩٥/٦ .
(١١) الغندجاني ٤٥ . (١٢) حلية الفرسان ١٥٥ وفيه : عويد . والصواب : عوية أو غوية.
(١٣) الحيوان ١٣٩/١ ، المخصص ١٩٨/٦ ، القاموس ١٨/٢ (خدر) .
(١٤) الغندجاني ٢١٠ . (١٥) الغندجاني ١٨٧ . (١٦) الغندجاني ٣٨ .
(١٧) الغندجاني ٣٩ ، القاموس ١١٥/٤ (دهم) وفيه : هشام .
(١٨) الغندجاني ٤١ . وينظر : ابن الأعرابي ٧٢ ، القاموس ١١٥/٤ (دهم) .
(١٩) الغندجاني ٤٢ ، القاموس ١١٥/٤ (دهم) .
(٢٠) عيون الأخبار ١٥٣/٢ ، فضل الخيل ٧٨ و ١١٦ ، حياة الحيوان ١٦٦/٢ ، رشحات المداد ١٢٤ .
(٢١) الغندجاني ٣٠ ، القاموس ١٩٦/٤ (أرن) .

٢٢- (الأَزْوَر) : فرس عبدالله بن خازم السُّلَمِيّ .

٢٣- (الأسطع ذو القلادة) : فرس بكر بن وائل .

٢٤- (الأسكّ) : فرسٌ لبعض بني عبدالله بن عمرو بن كلثوم .

٢٥- (الأشقر) : فرس قتيبة بن مسلم .

٢٦- (الأشقر) : فرس لقيط بن زرارة .

٢٧- (الأشقر) : فرس النعمان بن زُرعة .

٢٨- (الأصفر) : فرس شدّاد والد عنترة .

٢٩- (الأعرابيّ) : فرس عبّاد بن زياد بن أبيه .

٣٠- (أعنق) : فرس عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان .

٣١- (الأغرّ) : فرس شدّاد بن معاوية العبسي . وقيل : فرس عنترة .

٣٢- (الأغرّ) : فرس معاوية بن ثور البَكّائي .

٣٣- (الأغرّ) : فرس ضُبيعة بن الحارث العبسي .

٣٤- (الأغرّ) : فرس عمرو بن الناسي الكناني .

٣٥- (الأغرّ) : فرس مالك بن حمار الشَمَخيّ .

٣٦- (الأغرّ) : فرس بلعاء بن قيس الكناني .

---

(٢٢) الغندجاني ٤٤ . (٢٣) الغندجاني ٣١ ، القاموس ٣٨/٣ (سطع) .

(٢٤) الغندجاني ٤٣ ، القاموس ٣٠٦/٣ (السك) .

(٢٥) الغندجاني ٣٩ ، القاموس ٦٢/٢ (شقر) .

(٢٦) الغندجاني ٤٢ ، القاموس ٦٢/٢ (شقر) . (٢٧) الغندجاني ٤٥ .

(٢٨) الأصمعي ٣٧٩ . (٢٩) ابن الكلبي ١٢٨ ، الغندجاني ٣١ ، حلية الفرسان ١٦٥.

(٣٠) ابن الأعرابي ٩٧ ، الغندجاني ٤٥ ، المخصص ١٩٧/٦ .

(٣١) ابن الأعرابي ٦٩ ، الغندجاني ٣١ .

(٣٢) الغندجاني ٣٤ ، القاموس ١٠١/٢ (غر) .

(٣٣) ابن الأعرابي ٧١ . (٣٤) الغندجاني ٣٧ ، القاموس ١٠١/٢ (غر) .

(٣٥) الغندجاني ٣٨ ، القاموس ١٠١/٢ (غر) .

(٣٦) الغندجاني ٣٩ ، القاموس ١٠١/٢ (غر) .

٣٧- (الأغرّ) : فرس يزيد بن سنان المُرّيّ .
٣٨- (الأغرّ) : فرس الأسعر الجُعْفيّ .
٣٩- (الأغرّ) : فرس عمر بن أبي ربيعة .
٤٠- (الأغنّ) : فرس أحد بني الحارث بن ذهل بن شيبان .
٤١- (أُهلوب) : فرس دهر بن عمرو بن ربيعة الكلابيّ .
٤٢- (أُهلوب) : فرس ربيعة بن عمرو بن نُفاثة .

• • •

(البـــاء)

٤٣- (البحر) : فرس للنبيّ (ص) .
٤٤- (بَذْوَة) : فرس الحُصين بن الحارث السُّلميّ .
٤٥- (بُرْجَة) : فرس سنان بن أبي حارثة المريّ .
٤٦- (بَرْزَة) : فرس العباس بن مرداس السّلميّ .
٤٧- (بَزْخاء) : فرس عوف بن الكاهن السُّلميّ .
٤٨- (البشامة) : فرس لجعدة ، وهي أم سَبَل .
٤٩- (بِشْرة) : فرس أبي كرز ماوية بن قيس الهمدانيّ .

(٣٧) الغندجاني ٤١ ، القاموس ١٠١/٢ (غر) .
(٣٨) الغندجاني ٤٢ ، القاموس ١٠١/٢ (غر) .
(٣٩) ديوانه ١٥١ ، القاموس ١٠١/٢ (غر) .
(٤٠) الغندجاني ٤٢ . (٤١) الغندجاني ٤٣ .
(٤٢) ابن الاعرابي ٧٩ ، المخصص ١٩٦/٦ ، القاموس ١٤٠/١ (هلب) .
(٤٣) فضل الخيل ١١٦ ، حياة الحيوان ١٦٦/٢ ، رشحات المداد ١١٨ .
(٤٤) الغندجاني ٥٣ . (٤٥) ابن الاعرابي ٧٠ ، الغندجاني ٥٢ .
(٤٦) الغندجاني ٥٢ ، القاموس ١٦٥/٢ (برز) .
(٤٧) الغندجاني ٥٤ ، القاموس ٢٥٧/١ (بزخ) . (٤٨) العمدة ٢٣٤/٢ .
(٤٩) الغندجاني ٥٤ ، القاموس ٣٧٣/١ (بشر) .

٥٠– (بُشْرَى) : فرس إمام بن أقرم النميريّ .
٥١– (البشير) : فرس محمد بن أبي شِحاذ الضبيّ .
٥٢– (البشير) : فرس لعبس .
٥٣– (البَعِيث) : فرس عمرو بن معد يكرب .
٥٤– (بُقَيْرة) : فرس عمرو بن صخر بن أشنع .
٥٥– (بلعاء) : فرس عبدالله بن الحارث بن مُلَيْل اليربوعيّ .
٥٦– (بلعاء) : فرس لبني سَدوس .
٥٧– (بلعاء) : فرس لأبي ثعلبة .
٥٨– (بلقاء) : فرس الأحوص بن جعفر .
٥٩– (بلقاء) : فرس قيس بن عَيْزارة .
٦٠– (البوّاب) : فرس زياد بن أبيه .

* * *

(التـــاء)

٦١– (تحجل) : فرس ، ذكره لبيد في شعره .

* * *

(الثـــاء)

٦٢– (ثادق) : فرس حاجب بن حبيب الأسدي .
٦٣– (ثـــور) : فرس العاص بن سعيد .

(٥٠) فرحة الأديب ١٣٢ . (٥١) الغندشجاني ٥٤ .
(٥٢) ابن الأعرابي ٧١ . (٥٣) الغندجاني ٥٠ ، القاموس ١٦٢/١ (بعث) .
(٥٤) القاموس ٣٧٦/١ (بقر) . (٥٥) الغندجاني ٥١ ، القاموس ٧/٣ (بلع) .
(٥٦) ابن الأعرابي ٨٩ و ٩٢ ، المخصص ١٩٧/٦ ، القاموس ٧/٣ (بلع) .
(٥٧) اللسان والتاج (بلع) . (٥٨) القاموس ٢١٥/٣ (بلق) .
(٥٩) القاموس ٢١٥/٣ (بلق) . (٦٠) ابن الكلبي ١٢٢ .
(٦١) ديوانه ٢٦٨ . (٦٢) ابن الأعرابي ٥٦ ، الصحاح (ثدق) ، المخصص ١٩٤/٦
(٦٣) القاموس ٣٨٤/١ (ثور) .

(الجيم)

٦٤- (جافل) : فرس لبني ذبيان .

٦٥- (الجُدَيْد) : فرس قيس بن ورد بن ربيعة بن جعد .

٦٦- (جُدَيْل) : فرس النعمان بن المنذر .

٦٧- (الجرادة) : فرس عامر بن الطفيل ، وأخذها سَرْح بن مالك الأرحبي .

٦٨- (الجرادة) : فرس سلامة بن نهار .

٦٩- (الجرادة) : فرس أبي قتادة الحارث بن رِبعيّ الأنصاري .

٧٠- (الجرادة) : فرس العيّار .

٧١- (الجرادة) : فرس عبدالله بن شرحبيل .

٧٢- (الجرادة) : فرس أبي سعيد المخزومي .

٧٣- (الجرداء) : فرس أبي عدي بن عامر بن عقيل .

٧٤- (الجرف) : فرس لقيط بن زرارة .

٧٥- (جِروة) : فرس قعين بن عامر النميري .

٧٦- (جِروة) : فرس أبي قتادة الأنصاري .

---

(٦٤) الفندجاني ٦٧ . وفي العمدة ٢٣٥/٢ : حافل ، بالحاء المهملة . وهو تصحيف .
(٦٥) الفندجاني ٦٧ . (٦٦) القاموس ٣٤٧/٣ (جدل) .
(٦٧) الفندجاني ٦٠ ، القاموس ٢٨٢/١ (جرد) .
(٦٨) ابن الاعرابي ٩٣ ، الفندجاني ٦٠ ، القاموس ٢٨٢/١ (جرد) .
(٦٩) فضل الخيل ١٧٥ ، القاموس ٢٨٢/١ (جرد) .
(٧٠) القاموس ٢٨٢/١ (جرد) .
(٧١) ابن الأعرابي ٧٤ ، المخصص ١٩٦/٦ . (٧٢) أمالي القالي ٢٥٩/١ .
(٧٣) الفندجاني ٦٣ . (٧٤) ينظر : ديوان جرير ٤٨٥ (هـ) .
(٧٥) الفندجاني ٦٤ .
(٧٦) ابن الأعرابي ٥٤ ، الفندجاني ٦٦ ، المخصص ١٩٦/٦ .

٧٧- (جِروة) : فرس عبيدالله بن معاوية .

٧٨- (الجريال) : فرس قيس بن زهير .

٧٩- (الجريال) : فرس العباس بن مرداس .

٨٠- (جَلْوى) : فرس عبدالرحمن بن صفوان بن قُدامة بن شيبان .

٨١- (جَلْوى) : فرس لبني عامر .

٨٢- (جَلْوى) : فرس الصُّراع بن قيس بن عديّ بن قيس .

٨٣- (الجمّازة) : فرس عبدالله بن حَنْتَم . وقيل : فرس أمية بن حَنْتَم.

٨٤- (الجَمُوح) : فرس مسلم بن عمرو الباهِليّ .

٨٥- (جَناح) : فرس لبني سُليم .

٨٦- (جَناح) : فرس حِذْلَم بن خالد بن عمرو الفقعسيّ .

٨٧- (الجَناح) : فرس محمد بن مسلمة الأنصاري .

٨٨- (جَنْبَر) : فرس جعدة بن مرداس النميريّ .

٨٩- (الجوّال) : فرس عقفان اليربوعي .

٩٠- (الجَوْن) : فرس مروان بن زِنباع العبسي .

(٧٧) المخصص ١٩٤/٦ .
(٧٨) ابن الأعرابي ٨٥ ، المخصص ١٩٧/٦ ، القاموس ٣٤٧/٣ (جرل) .
(٧٩) القاموس ٣٤٧/٣ (جرل) . (٨٠) الغندجاني ٦٥ .
(٨١) ابن الأعرابي ٨٤ ، المخصص ١٩٧/٦ . (٨٢) ابن الأعرابي ٨٨ .
(٨٣) ابن الأعرابي ٩٥ ، الغندجاني ٦٤ ، القاموس ١٧٠/٢ (جمز)
(٨٤) الغندجاني ٦٦ ، القاموس ٢١٨/١ (جمح) .
(٨٥) الغندجاني ٦٤ ، القاموس ٢١٩/١ (جنح) .
(٨٦) ابن الأعرابي ٥٦ .
(٨٧) ابن الكلبي ١٠٧ ، حلية الفرسان ١٦٣ .
(٨٨) ابن الأعرابي ٧٩ ، الغندجاني ٦٣ . وفي المخصص ١٩٦/٦ : جنبذ .
(٨٩) التكملة والذيل والصلة ٣٠٤/٥ ، التاج (جول) .
(٩٠) الغندجاني ٦٢ ، القاموس ٢١١/٤ (جون) .

٩١ـ (الجَوْن) : فرس حَسِيل بن سَحِيح الضبي .
٩٢ـ (الجَوْن) : فرس امرئ القيس بن حُجْر .
٩٣ـ (الجَوْن) : فرس قَتَب بن سُلَيْط النهديّ .
٩٤ـ (الجَوْن) : فرس معاوية بن عمرو بن الحارث بن الشريد .
٩٥ـ (الجَوْن) : فرس علقمة بن عَدِي .
٩٦ـ (الجَوْن) : فرس عبدالله بن ثور بن معاوية بن عُبادة بن البكّاء .
٩٧ـ (الجَوْن) : فرس الأعور بن بَراء الكلبيّ .
٩٨ـ (الجَوْن) : فرس الحارث بن رُدَيّ بن شريك .

* * * *

(الحــاء)

٩٩ـ (حَجْناء) : فرس معاوية بن جُلَيْميد بن عبادة بن البكّاء .
١٠٠ـ (حُدَيْرة) : فرس شراحيل بن عبدالعزى الكلبي .
١٠١ـ (حَذْفَة) : فرس صَخْر بن عمرو بن الشريد .
١٠٢ـ (حَذْفَة الحوّاء) : فرس أبي أذينة بن عامر بن قيس بن ثعلبة .
١٠٣ـ (حُذَمَة) : اسم فرس للعرب .
١٠٤ـ (الحرداء) : فرس أبي عدي بن عامر بن عقيل .
١٠٥ـ (الحرون) : فرس جَزْء بن شُريح بن الأحوص .

---

(٩١) الغندجاني ٦٤ ، القاموس ٢١١/٤ (جون) .
(٩٢) الغندجاني ٦٥ ، حلية الفرسان ١٥٩ ، القاموس ٢١١/٤ (جون) .
(٩٣) الغندجاني ٦٥ ، القاموس ٢١١/٤ (جون) .
(٩٤) الغندجاني ٦٥ . ديوان الخنساء ١٤٥ .
(٩٥) الغندجاني ٦٦ .
(٩٦) الغندجاني ٦٧ .
(٩٧) الغندجاني ٦٨ .
(٩٨) الغندجاني ٦٨ .
(٩٩) ابن الأعرابي ٨٠ ، القاموس ٢١٢/٤ (حجن) .
(١٠٠) الغندجاني ٧٨ .
(١٠١) نقد الشعر ١١٣ .
(١٠٢) الغندجاني ٨١ .
(١٠٣) المخصص ١٩٨/٦ ، القاموس ٩٤/٤ (حذم)
(١٠٤) الغندجاني ٨٠ .
(١٠٥) ابن الأعرابي ٧٧ .

١٠٦– (الحرون) : فرس عقبة بن مُدْلج .
١٠٧– (الحَرير) : فرس ميمون بن موسى المَرْئيّ .
١٠٨– (حُزْمة) : فرس أُسيلم بن الأحنف .
١٠٩– (حَزْنة) : فرس الهُمام .
١١٠– (الحُساميّة) : فرس حُمَيْد بن حُرَيْث بن بَحْدل الكلبيّ .
١١١– (الحسير) : فرس عبدالله بن حيّان بن مُرّة بن جندلة بن عمرو بن سدوس .
١١٢– (الحشّاء) : فرس عمرو بن عمرو .
١١٣– (الحصّاء) : فرس سُراقة بن مرداس بن أبي عامر السّلميّ .
١١٤– (الحَفّار) : فرس سُراقة بن مالك الكنانيّ .
١١٥– (الحَقْباء) : فرس سُراقة بن مرداس .
١١٦– (حُلْوَة) : فرس معاذ بن جبل .
١١٧– (الحُلَيْل) : فرس مِقْسَم بن كثير الأصبحي .
١١٨– (حليمة) : فرس ذي القرنين ، المنذر الملك .
١١٩– (الحِمالة) : فرس جبار بن سلمى .

(١٠٦) المخصص ١٩٥/٦ . (١٠٧) الغندجاني ٨٠ ، القاموس ٨/٢ (الحر) .
(١٠٨) الغندجاني ٧٦ ، القاموس ٩٦/٤ (حزم) .
(١٠٩) المخصص ١٩٦/٦ .
(١١٠) الغندجاني ٧٩ ، القاموس ٩٦/٤ (حسم) .
(١١١) ابن الاعرابي ٩٠ ، الغندجاني ٧٢ . (١١٢) ابن الكلبي ٤٠ ، الكنز المدفون ٨٩.
(١١٣) ابن الأعرابي ٦٣ ، الغندجاني ٧٣ .
(١١٤) الغندجاني ٧٩ ، القاموس ١٢/٢ .
(١١٥) المؤتلف والمختلف ١٩٨ ، التاج (حقب) .
(١١٦) الغندجاني ٧٥ .
(١١٧) ابن الكلبي ١١٠ ، الغندجاني ٧٢ ، حلية الفرسان ١٦٣ .
(١١٨) الغندجاني ٧٥ . (١١٩) الغندجاني ٨١ .

١٢٠- (الحِمالة) : فرس مُطَيْر بن الأَشْيَم .
١٢١- (الحِمالة) : فرس عباية بن شكس الهزّانيّ .
١٢٢- (الحمالة الصغرى) : فرس طليحة بن خويلد الأسديّ .
١٢٣- (الحمّال) : فرس أوفى بن مطر .
١٢٤- (الحمامة) : فرس إياس بن قَبيصة الطائي .
١٢٥- (الحمامة) : فرس عباية بن شكس .
١٢٦- (الحمامة) : فرس قُراد بن يزيد من بني ربيعة بن قشير .
١٢٧- (الحمامة الصغرى) : فرس طليحة بن خويلد الأسديّ .
١٢٨- (الحَموم) : فرس الحكم بن عرعرة النميريّ .
١٢٩- (الحُمَيْراء) : فرس علقمة بن مرسوع القشيريّ .
١٣٠- (الحُميراء) : فرس حميد بن عمرو بن زرارة .
١٣١- (حُمَيْل) : فرس لبني عِجْل .
١٣٢- (الحَنْفاء) : فرس حُجْر بن معاوية بن حذيفة .
١٣٣- (حَنْوَة) : فرس عامر بن الطفيل .
١٣٤- (الحوّاء) : فرس ضِرار بن الخطاب الفهري .

---

(١٢٠) القاموس ٣٦٢/٣ (حمل) .
(١٢١) ابن الأثير ٨٣ ، القاموس ٣٦٢/٣ (حمل) .
(١٢٢) ابن الكلبي ٣٧ . (١٢٣) الغندجاني ٨١ ، القاموس ٣٦٢/٣ (حمل) .
(١٢٤) الغندجاني ٧٣ ، القاموس ١٠١/٤ (حم) .
(١٢٥) الغندجاني ٧٤ . وينظر رقم (١٢١) : الحمالة .
(١٢٦) الغندجاني ٧٥ ، القاموس ١٠١/٤ (حم) .
(١٢٧) الغندجاني ٧٨ . وينظر رقم (١٢٢) : الحمالة الصغرى .
(١٢٨) ابن الكلبي ١٢٥ ، التاج (حمم) . (١٢٩) الغندجاني ٨١ .
(١٣٠) فضل الخيل ١٨٧ . (١٣١) ابن الكلبي ١٢٢ ، حلية الفرسان ١٦٥ .
(١٣٢) ابن الأعرابي ٧٠ ، المخصص ١٩٦/٦ . (١٣٣) ابن الأعرابي ٧٦ .
(١٣٤) الغندجاني ٧٤ .

١٣٥- (الحوّاء) : فرس سَلَمَة بن ذهل .

١٣٦- (الحوّاء) : فرس الأفكل الأودي .

١٣٧- (الحوّاء) : فرس عبدالله بن عجلان النهديّ .

١٣٨- (الحوّاء) : فرس لبني سُليم .

١٣٩- (الحوّاء) : فرس علقمة بن شهاب بن عوف بن الحارث بن سدوس .

١٤٠- (حيزوم) : فرس جبرائيل عليه السلام .

* * *

(الخـــاء)

١٤١- (خُبّاس) : فرس فُقَيم بن جرير بن دارم .

١٤٢- (خُـــدار) : فرس القتّال الكلابي .

١٤٣- (خِذام) : فرس حيّاش بن قيس بن الأعور بن قشير .

١٤٤- (خَذِم) : فرس مرداس بن أبي عامر السُّلميّ .

١٤٥- (خَذِم) : فرس قَطَن بن حَزْن القشيريّ .

١٤٦- (خَراجِ) : فرس جُرَيْبة بن الأَشْيَم الأسديّ .

---

(١٣٥) الغندجاني ٧٥ .

(١٣٦) الغندجاني ٧٨ .

(١٣٧) الغندجاني ٧٩ .

(١٣٨) الغندجاني ٨٠

(١٣٩) ابن الأعرابي ٩٣ ، المخصص ١٩٦/٦ .

(١٤٠) الغندجاني ٧١ ، الصحاح (حزم) ، المخصص ١٩٣/٦ ، فضل الخيل ١٥٧ .

(١٤١) ابن الكلبي ١١٤ ، الغندجاني ٨٨ ، حلية الفرسان ١٦٤ .

(١٤٢) الغندجاني ٩٤ ، القاموس ١٨/٢ (خدر) .

(١٤٣) ابن الأعرابي ٧٨ (لحاتم بن حياش) ، الغندجاني ٨٨ ، القاموس ٢٠٤/٤ (خذم) .

(١٤٤) الغندجاني ٩٢ ، القاموس ١٠٤/٤ (خذم) .

(١٤٥) الغندجاني ٩٥ .

(١٤٦) ابن الأعرابي ٥٥ ، الغندجاني ٩٤ ، المخصص ١٩٤/٦ .

١٤٧- (خِرْقة) : فرس الأسود بن قِرْدَة السّلوليّ .
١٤٨- (خِرْقة) : فرس المشمعلّ بن هُزَلة بن معتّب الغنويّ .
١٤٩- (الخَرْماء) : فرس راشد بن شمّاس المعنيّ .
١٥٠- (الخَرْماء) : فرس زيد الفوارس الضّبّيّ .
١٥١- (الخَرْماء) : فرس ابني أبي ربيعة .
١٥٢- (خَرّوب) : فرس ابن النعمان بن قريع بن حارثة بن معاوية التغلبيّ .
١٥٣- (خَصاف) : فرس قيس بن سباع .
١٥٤- (الخصيّ) : فرس بني قيس بن عتّاب بن هَرَمي بن رياح بن يربوع .
١٥٥- (الخصيّ) : فرس الأجلح بن قاسط الضّبابيّ .
١٥٦- (الخَضْراء) : فرس سالم بن عدي الشيبانيّ .
١٥٧- (الخَضْراء) : فرس قطبة بن زيد بن ثعلبة القينيّ .
١٥٨- (الخَضْراء) : فرس صُعَيْر بن غامر بن ثعلبة .
١٥٩- (الخَطّار) : فرس حنظلة بن عامر النَمَري .

(١٤٧) الغندجاني ٨٧ ، القاموس ٢٢٦/٣ (خرق) .
(١٤٨) ابن الأعرابي ٦٨ ، الغندجاني ٨٨ وفيه : بن معزلة .
(١٤٩) الغندجاني ٨٥ ، القاموس ١٠٤/٤ (خرم) .
(١٥٠) الغندجاني ٩٢ ، القاموس ١٠٤/٤ (خرم) .
(١٥١) الغندجاني ٨٩ ، المخصص ١٩٧/٦ ، القاموس ١٠٤/٤ (خرم) .
(١٥٢) الغندجاني ٩١ ، وفي القاموس ٦٠/١ (خرب) : للنعمان .
(١٥٣) المخصص ١٩٧/٦ . (١٥٤) الغندجاني ٩١ .
(١٥٥) الغندجاني ٩٣ . (١٥٦) الغندجاني ٩١ ، القاموس ٢١/٢ (خضر) .
(١٥٧) الغندجاني ٩٣ ، القاموس ٢١/٢ (خضر) .
(١٥٨) الغندجاني ٩٥ .
(١٥٩) الغندجاني ٩٢ ، القاموس ٢٢/٢ (خطر) .

١٦٠ـ (الخَطّار) : فرس بشر بن عمرو .

١٦١ـ (خُطّاف) : فرس رجلٍ يُقالُ له : ماعز .

١٦٢ـ (خَطّاف) : اسم فرس .

١٦٣ـ (الخَطّاف) : فرس عمير بن الحُباب .

١٦٤ـ (الخَفَيْدَد) : فرس الأسود بن أبي حُمران .

١٦٥ـ (خُمَيْرة) : فرس شيطان بن مُدْلج الجشمي .

١٦٦ـ (الخنذيد) : فرس عُقْفان الضِّبابيّ .

١٦٧ـ (خَيْفَق) : فرس رجل من بني ضُبَيْعَة بن أضجم بن ربيعة بن نـزار .

* * *

(الـدال)

١٦٨ـ (داعق) : فرس لبني أسد .

١٦٩ـ (دُباس) : فرس جبار بن قُرط الكلبي .

١٧٠ـ (الدَّبساء) : فرس مجاشع بن مسعود الصحابي .

١٧١ـ (الدَّخيل) : فرس الكَلَح الضبيّ .

---

(١٦٠) الغندجاني ٨٧ .   (١٦١) الغندجاني ٩٢ .

(١٦٢) القاموس ١٣٥/٣ (خطف) .   (١٦٣) الغندجاني ٨٦

(١٦٤) الغندجاني ٩٥ .

(١٦٥) ابن الكلبي ٨٦ ، الغندجاني ٩٠ . وفي الحلبة ٢٢٢ : حميزة .

(١٦٦) الغندجاني ٩٣ ، القاموس ٣٥٣/١ (خذ) .

(١٦٧) ابن الأعرابي ٨٢ ، الغندجاني ٩٣ ، المخصص ١٩٧/٦ ، القاموس ٢٢٧/٣ (خفق) .

(١٦٨) الغندجاني ٩٨ ، القاموس ٢٣١/٣ (دعق) .

(١٦٩) الغندجاني ٩٩ ، القاموس ٢١٣/٢ (دبس) .

(١٧٠) التكملة والذيل والصلة ٣٤٩/٣ ، القاموس ٢١٣/٢ (دبس) .

(١٧١) ابن الأعرابي ٩٦ ، القاموس ٣٧٥/٣ (دخل) .

١٧٢– (دَعْلَج) : فرس عبد عمرو بن شريح بن الأحوص بن جعفر ابن كلاب .

١٧٣– (الدُّمْلُج) : فرس معاذ بن عمرو بن الجَموح .

١٧٤– (دَنْقَرَة) : فرس للعرب .

١٧٥– (الدهماء) : فرس معقل بن عامر الأسديّ .

١٧٦– (الدهماء) : فرس ابن حُباشة الكنانيّ .

١٧٧– (دَوْأَب) : فرس لبني العنبر .

١٧٨– (دَوْسر) : فرس للعرب .

١٧٩– (دَيْسَق) : فرس لبني العدوية .

* * *

(الـــذال)

١٨٠– (ذات الجِلال) : فرس هلال بن قيس الأسديّ .

١٨١– (ذات الرِّقاع) : فرس بِسطام بن قيس .

١٨٢– (ذات الظُّخَم) : فرس للعرب .

١٨٣– (ذات النعال) : فرس الزبير بن العوام .

---

(١٧٢) ابن الأعرابي ٧٦ ، الغندجاني ٩٨ ، المخصص ١٩٦/٦ ، القاموس ١٨٨/١ (دعلج) .
(١٧٣) القاموس ١٨٩/١ (دملج) .
(١٧٤) القاموس ٣١/٢ (الدنقرة) .
(١٧٥) الغندجاني ٩٩ ، القاموس ١١٥/٤ (دهم) .
(١٧٦) الغندجاني ١٠٠ ، القاموس ١١٥/٤ (دهم) : فرس حباشة .
(١٧٧) الغندجاني ٩٩ ، القاموس ٦٤/١ (دأب) .
(١٧٨) القاموس ٢٩/٢ (دسر) .
(١٧٩) الغندجاني ١٠٠ ، التكملة ٤٨/٥ ، القاموس ٢٣١/٣ (دسق) .
(١٨٠) الغندجاني ١٠٧ القاموس ٣٥٠/٣ (جلل) .
(١٨١) المخصص ١٩٧/٦ . (١٨٢) ابن الكلبي ١٣١ .
(١٨٣) ابن الأعرابي ٥٣ ، الغندجاني ١٠٨ ، فضل الخيل ١٧٠ .

١٨٤– (ذَوُول) : فرس زيد الخيل الطائي .
١٨٥– (الذَّفوف) : فرس النعمان بن المنذر .
١٨٦– (ذو الخِرَق) : فرس عبّاد بن الحارث .
١٨٧– (ذو ذَيل) : فرس لرجل من بني شيبان .
١٨٨– (ذو الشِمْراخ) : فرس مالك بن عوف النصريّ .
١٨٩– (ذو طِلال) : فرس أُبَيّ بن سُلميّ الضَّبيّ .
١٩٠– (ذو العُقّال) : فرس للنبيّ (ص) .
١٩١– (ذو قصاب) : فرس مالك بن نويرة .
١٩٢– (ذو اللِّمة) : فرس للنبيّ (ص) .
١٩٣– (ذو اللِّمة) : فرس محمود بن مسلمة الأنصاري الصحابي .

• • •

(الراء)

١٩٤– (الرؤاسي) : ابن الحميراء ، فرس بشر بن مروان .
١٩٥– (الرَّبذ) : فرس هارون الرشيد .
١٩٦– (رَبْسَى) : فرس لبني العنبر .

(١٨٤) حلية الفرسان ١٥٩ .
(١٨٥) الأصمعي ٣٨١ (الدفوف ، بالدال) ، الغندجاني ١٠٤ ، القاموس ١٤٢/٣ (ذف) .
(١٨٦) القاموس ٢٢٦/٣ (خرق) .
(١٨٧) الغندجاني ١٠٧ ، القاموس ٣٨٠/٣ (الذيل) .
(١٨٨) الغندجاني ١٠٧ ، القاموس ٢٦٣/١ (الشمراخ) .
(١٨٩) الغندجاني ١٠٦ ، القاموس ٨/٤ (الطل) .
(١٩٠) فضل الخيل ١١٨ ، حياة الحيوان ١٦٦/٢ ، رشحات المداد ١٢١ .
(١٩١) المخصص ١٩٥/٦ ، القاموس ١١٧/١ (قصب) .
(١٩٢) ابن الأعرابي ٥١ ، فضل الخيل ١١٧ ، رشحات المداد ١٢١ .
(١٩٣) السيرة النبوية ٢٨٣/٢ ، فضل الخيل ١٧١ .
(١٩٤) الغندجاني ٣٩ – ٤٠ .
(١٩٥) العقد الفريد ١٦٧/١ ، نهاية الأرب ٤٢/١٠ ، حلية الفرسان ٦٤ .
(١٩٦) الغندجاني ١١٢ .

١٩٧- (الرَّحَى) : فرس الأعلم بن عوف النمري .

١٩٨- (الرُّخَيْل) : فرس لبني جعفر بن كلاب .

١٩٩- (رَضْوَى) : فرس سعد بن شجاع .

٢٠٠- (الرطل) : فرس مسلمة بن عبدالملك بن مروان .

٢٠١- (الرعشاء) : فرس هرم بن ضمضم .

٢٠٢- (رَعْشَن) : فرس سلمة بن يزيد الجعفي . وقيل : فرس لمراد .

٢٠٣- (رغوة) : فرس مالك بن عبدة .

٢٠٤- (الرَّقْعاء) : فرس عمرو بن معبد الباهليّ .

٢٠٥- (الرَّقْعاء) : فرس عامر بن الطفيل .

٢٠٦- (الرَّقيم) : فرس حِزام بن وابصة .

٢٠٧- (الركّاح) : فرس رجل من بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان .

٢٠٨- (الرِّياحيّ) : فرس للعرب .

٢٠٩- (الرِّيع) : فرس عمرو بن عُصْم .

---

(١٩٧) ابن الأعرابي ٨٥ ، الغندجاني ١١٠ ، المخصص ١٩٧/٦ .
(١٩٨) الغندجاني ١١٢ ، القاموس ٣٨٣/٣ (رخل) .
(١٩٩) ابن الأعرابي ٩٣ ، الغندجاني ١١٣ ، المخصص ١٩٧/٦ .
(٢٠٠) المنمق ٥١٧ .
(٢٠١) الغندجاني ١١٣ .
(٢٠٢) ابن الكلبي ١١٥ ، ابن الأعرابي ٩٩ ، الغندجاني ١١٤ ، المخصص ١٩٨/٦ .
(٢٠٣) ابن الاعرابي ٩٥ ، الغندجاني ١١٣ ، المخصص ١٩٧/٦ .
(٢٠٤) ابن الأعرابي ٦٧ ، الغندجاني ١١١ ، القاموس ٣١/٣ (رقع) وفيه : عامر بن معبد .
(٢٠٥) المخصص ١٩٥/٦ ، ـ التكملة ٢٦٤/٤ ،
(٢٠٦) ابن الأعرابي ٧٠ ، الغندجاني ١١٢ ، المخصص ١٩٦/٦ .
(٢٠٧) الغندجاني ١١٢ ، القاموس ٢٢٣/١ (ركح) .
(٢٠٨) أبو عبيدة ٦٨ .
(٢٠٩) ابن الأعرابي ٨١ ، المخصص ١٩٧/٦ ، التكملة ٢٦٩/٤ ، القاموس ٣٣/٣ (ربع) .

(الـــزاي)

٢١٠– (زاجل) : فرس زيد الخيل .

٢١١– (زاحل) : فرس بُجَيْر بن أوس .

٢١٢– (الزَّبِد) : فرس الحَوْفَزان الحارث بن شريك .

٢١٣– (الزرقاء) : فرس نافع بن عبد العُزَّى .

٢١٤– (الزعفران) : فرس عُمير بن الحُباب .

٢١٥– (الزُّعَيْل) : فرس قيس بن مرداس الصموتي .

٢١٦– (الزَّلوج) : فرس عبدالله بن جَحش الكِنانيّ .

٢١٧– (الزَّليف) : فرس للعرب من نسل الحرون .

٢١٨– (زَهْدَم) : فرس عنترة .

٢١٩– (زَوْبَر) : فرس الجُمَيْح بن منقذ بن الطمّاح .

٢٢٠– (زوْبر) : فرس عُرْفُطَة أخي الجُميح .

٢٢١– (زياد) : فرس أُبَيّ بن واثلة بن لأي بن عوف .

٢٢٢– (الزيت) : فرس معاوية بن سعد بن عبد سعد العِجلي .

---

(٢١٠) القاموس ٣٨٨/٣ (زجل) . (٢١١) الغندجاني ١١٩ .

(٢١٢) الغندجاني ١١٥ ، العمدة ٢٣٥/٢ وفيه : الربد . وهو تصحيف .

(٢١٣) ابن الأعرابي ٨٧ ، المخصص ١٩٧/٦ ، القاموس ٢٤٠/٣ (زرق) .

(٢١٤) ابن الأعرابي ٧١ ، الغندجاني ١٢٠ ، المخصص ١٩٦/٦ .

(٢١٥) الغندجاني ١١٩ ، القاموس ٣٨٩/٣ (زعل)

(٢١٦) الغندجاني ١١٨ ، القاموس ١٩٢/١ (زلج) .

(٢١٧) العمدة ٢٣٦/٢ .

(٢١٨) الغندجاني ١١٧ ، القاموس ١٢٧/٤ (زهدم) .

(٢١٩) القاموس ٣٧/٢ (زبر) .

(٢٢٠) القاموس ٣٧/٢ (زبر) .

(٢٢١) ابن الأعرابي ٩٢ ، المخصص ١٩٧/٦ وفيه : زيادة .

(٢٢٢) الغندجاني ١٣٨ ، القاموس ١٤٨/١ (زيت) .

٢٢٣- (الزيتية) : فرس لبيد بن عمرو الغسّاني .
٢٢٤- (زِيَم) : فرس جابر بن حُنَي التغلبيّ .

* * *

(السين)

٢٢٥- (ساطع) : فرس العباس بن الوليد بن عبدالملك .
٢٢٦- (ساهِم) : فرس لكِنْدَة .
٢٢٧- (السبحاء) : فرس للنبي (ص) .
٢٢٨- (سَبْحة) : فرس للنبي (ص) .
٢٢٩- (سَبْحة) : فرس جعفر بن أبي طالب .
٢٣٠- (السّبُوح) : فرس ربيعة بن جُشَم .
٢٣١- (سُحْمة) : فرس جَزْء بن خالد .
٢٣٢- (سراب) : فرس قيس بن زهير .
٢٣٣- (سرّاج) : فرس المُحلّق بن حَنْتَم الكلابيّ .

---

(٢٢٣) الفندجاني ١١٦ .
(٢٢٤) المخصص ١٩٧/٦ ، القاموس ١٢٧/٤ (زيم) وفيه : حيي .
(٢٢٥) الفندجاني ١٢٦ ، فضل الخيل ١٨٧ .
(٢٢٦) ابن الكلبي ٩٨ ، الفندجاني ١٢٢ ، القاموس ١٣٤/٤ (سهم) .
(٢٢٧) رشحات المداد ١١٥ .
(٢٢٨) الفندجاني ١٢٦ ، فضل الخيل ١١٦ ، القاموس ٢٢٦/١ (سبح) . وفي العمدة ٢٣٤/٢ : سحة . وقد وردت في حاشية الأصل من كتاب الحلبة ٢٣٥ .
(٢٢٩) القاموس ٢٢٦/١ (سبح) .
(٢٣٠) ابن الاعرابي ٨٥ ، التكملة ٤١/٢ ، القاموس ٢٢٧/١ (سبح) .
(٢٣١) القاموس ١٢٨/٤ (سحم) . وفي البيان والتبيين ٦٦/٣ : شحمة ، بالشين .
(٢٣٢) ابن الأعرابي ٦٩ .
(٢٣٣) الفندجاني ١٢٦ ، القاموس ٢٢٨/١ (السرج) .

٢٣٤- (السَّرْحان) : فرس محرز بن نضلة .

٢٣٥- (السَّرْحان) : فرس سالم بن أرطاة العُلَيْميّ .

٢٣٦- (السَّرْحان) : فرس للنبي (ص) .

٢٣٧- (سَكَابِ) : فرس الأجدع بن مالك .

٢٣٨- (سَكَاب) : فرس لهوازن .

٢٣٩- (السَّكْب) : فرس شبيب بن معاوية بن حُذيفة بن بدر .

٢٤٠- (سَمْحَة) : فرس جعفر بن أبي طالب .

٢٤١- (السمراء) : فرس صفوان بن أبي صُهبان .

٢٤٢- (السندي) : فرس هشام بن عبدالملك .

٢٤٣- (السهواء) : فرس للعرب .

٢٤٤- (السوسة) : فرس النعمان بن المنذر .

٢٤٥- (السيِّد) : فرس مجالد بن يثربي .

---

(٢٣٤) ابن الأعرابي ٥٤ ، الغندجاني ١٢٢ ، المخصص ١٩٤/٦ .
(٢٣٥) ابن الأعرابي ٦٧ ، الغندجاني ١٢٧ ، المخصص ١٩٥/٦ .
(٢٣٦) حياة الحيوان ١٦٦/٢ ، رشحات المداد ١٢٤ .
(٢٣٧) ابن الأعرابي ٩٩ ، القاموس ٨٣/١ (سكب) .
(٢٣٨) المخصص ١٩٨/٦ ، القاموس ٨٣/١ (سكب) .
(٢٣٩) الغندجاني ١٢٥ ، القاموس ٨٣/١ (سكب) . وعند ابن الأعرابي ٧٠ : السلب .
(٢٤٠) ابن الكلبي ١٣٢ ، الغندجاني ١٢٤ . وهي (سبحة) عند ابن الأعرابي ٥١ والقاموس ٢٢٦/١ (سبح) . وينظر رقم ٢٢٩ .
(٢٤١) القاموس ٥١/٢ (سمر) .
(٢٤٢) الغندجاني ١٢٦ ، القاموس ٣٠٤/١ (سند) .
(٢٤٣) القاموس ٣٤٦/٤ (سها) .
(٢٤٤) الغندجاني ١٢٦ ، القاموس ٢٢٢/٢ (السوس) .
(٢٤٥) ابن الأعرابي ٩٦ ، الغندجاني ١٢٧ .

(الشين)

٢٤٦- (شاغر) : فرس الهيثم بن معاوية بن سنان بن عامر المحاربي .
٢٤٧- (شاهر) : فرس لكِندة .
٢٤٨- (شِرعة) : فرس لبني كنانة .
٢٤٩- (شَعْفَر) : فرس شمير بن الحارث الضّبيّ .
٢٥٠- (شُعْلَة) : فرس قيس بن سباع .
٢٥١- (الشَعور) : فرس لحَبِطات تميم .
٢٥٢- (الشقّاء) : فرس لبني ضبيعة بن نزار .
٢٥٣- (الشقراء) : فرس الرقاد بن المنذر الضبيّ .
٢٥٤- (الشقراء) : فرس شيطان بن لاطم .
٢٥٥- (الشقراء) : فرس زياد بن حمل أو زياد بن منقذ .
٢٥٦- (الشقراء) : بنت الزيت ، فرس معاوية بن سعد .
٢٥٧- (الشقراء) : فرس طفيل بن مالك الجعفري .
٢٥٨- (الشقراء) : فرس ربيعة بن مُرّة بن الحارث بن زهير .

---

(٢٤٦) الغندجاني ١٣٤ .
(٢٤٧) ابن الكلبي ١٣٠ (بلا نسبة) ، حلية الفرسان ١٦١ .
(٢٤٨) الغندجاني ١٣٨ .
(٢٤٩) الغندجاني ١٣٨ ، القاموس ٦٠/٢ (شعر) .
(٢٥٠) ابن الأعرابي ٩٧ ، الغندجاني ١٣٩ ، القاموس ٤٠٠/٣ (شعل) .
(٢٥١) ابن الكلبي ١١٤ ، الغندجاني ١٣٢ ، حلية الفرسان ١٦٤ .
(٢٥٢) ابن الأعرابي ٨٢ ، القاموس ٢٥٠/٣ (شقة) .
(٢٥٣) ابن الكلبي ١١٤ ، الغندجاني ١٣٢ ، حلية الفرسان ١٦٤ .
(٢٥٤) الغندجاني ١٣٧ ، القاموس ٦٢/٢ (شقر) .
(٢٥٥) شرح ديوان الحماسة (م) ١٣٩٩ .
(٢٥٦) الغندجاني ١٣٨ ، القاموس ٦٢/٢ (شقر) .
(٢٥٧) الغندجاني ١٣٩ . (٢٥٨) الغندجاني ١٣٩ .

٢٥٩- (الشقراء) : فرس حوط بن ذئاب .

٢٦٠- (الشقراء) : فرس مهلهل بن ربيعة .

٢٦١- (الشقراء) : فرس ربيعة بن أُبيّ من بني ثعلبة بن سعد بن ضبة .

٢٦٢- (الشقراء) : فرس ابن غَزِيّة بن جُشَم .

٢٦٣- (الشّمْطاء) : فرس دُرَيْد بن الصِّمّة .

٢٦٤- (الشّموس) : فرس يزيد بن خَذّاق العبدي .

٢٦٥- (الشّموس) : فرس عبدالله بن عامر القرشيّ .

٢٦٦- (الشّموس) : فرس أسود بن شريك .

٢٦٧- (الشّموس) : فرس شبيب بن جراد أحد بني الوحيد .

٢٦٨- (الشّموس) : فرس المثنّى بن حارثة الشيبانيّ .

٢٦٩- (شُنْخوب) : فرس لبني أسد بن خزيمة .

٢٧٠- (الشّهْباء) : فرس القتّال البَجَلي قيس بن الحارث .

٢٧١- (الشّوْهاء) : فرس عمرو بن مالك الأوديّ أبي الأفوه الأودي الشاعر .

---

(٢٥٩) الغندجاني ١٣٩ ، القاموس ٦٢/٢ (شقر) .
(٢٦٠) القاموس ٦٢/٢ (شقر) .
(٢٦١) ابن الأعرابي ٦٠ ، المخصص ١٩٥/٦ .
(٢٦٢) الغندجاني ١٣٧ ، القاموس ٦٢/٢ (شقر) .
(٢٦٣) الغندجاني ١٣٢ . وهي الشطاء في الحيوان ٣٣٧/٦ وديوانه ٣٨ .
(٢٦٤) ابن الكلبي ٨٨ ، ابن الأعرابي ٨٣، الغندجاني ١٣٣ . وفي المخصص ١٩٧/٦ لسويد بن خذاق .
(٢٦٥) الغندجاني ١٣٣ ، القاموس ٢٢٤/٢ .
(٢٦٦) الغندجاني ١٣٨ ، القاموس ٢٢٤/٢ (شمس) .
(٢٦٧) ابن الأعرابي ٧٨ ، المخصص ١٩٦/٦ (شمس) .
(٢٦٨) فضل الخيل ١٨٣ . (٢٦٩) الغندجاني ١٣٧ .
(٢٧٠) الغندجاني ١٣٨ ، التكملة ١٧٦/١ ، القاموس ٩٠/١ (شهب) .
(٢٧١) الغندجاني ١٣٣ .

٢٧٢- (الشَّوْهاء) : فرس حاجب بن زُرارة .
٢٧٣- (الشَّيِّط) : فرس خُزز بن لوذان السدوسيّ .

• • •

(الصاد)

٢٧٤- (صابِح) : فرس المغيرة بن خليفة الجُعْفي .
٢٧٥- (الصاحِب) : فرس لغنيّ ، وهو من نسل الحرون .
٢٧٦- (صادِف) : فرس قاسط الجُشَميّ .
٢٧٧- (صادِف) : فرس عبدالله بن الحجاج الثعلبي .
٢٧٨- (صاعِد) : فرس بلعاء بن قيس الكناني .
٢٧٩- (صاعِد) : فرس صخر بن عمرو بن الحارث بن الشريد السُّلميّ .
٢٨٠- (صافِن) : فرس مالك بن حَرِيم الهمدانيّ .
٢٨١- (الصَّبْحاء) : فرس رجل من باهلة يُقال له : كَلَدَة .
٢٨٢- (الصَّبور) : فرس جبلة بن رافع الجدلي .

(٢٧٢) ابن الكلبي ٤٠ ، الغندجاني ١٣٤ ، حلية الفرسان ١٥٤ .
(٢٧٣) الأصمعي ٣٨٠ ، الغندجاني ١٣٤ .
(٢٧٤) الغندجاني ٢٥٥ .
(٢٧٥) ابن الكلبي ١٢٢ ، الغندجاني ١٤٣ ، حلية الفرسان ١٦٥ .
(٢٧٦) التكملة ٥١٠/٤ ، القاموس ١٦١/٣ (صدف) . وفي الغندجاني ١٤٧ : صادق ، بالقاف .
(٢٧٧) التكملة ٥١١/٤ ، القاموس ١٦١/٣ (صدف) . وفي الغندجاني ١٤٨ : صادق ، بالقاف .
(٢٧٨) الغندجاني ١٤٧ ، القاموس ٣٠٨/١ (صعد) .
(٢٧٩) الغندجاني ١٤٧ ، القاموس ٣٠٨/١ (صعد) .
(٢٨٠) الغندجاني ١٤٨ ، القاموس ٢٤٢/٤ (صفن) وفيه : خزيم ، بالزاي .
(٢٨١) الغندجاني ١٤٨ ، التكملة ٥٧/٢ .
(٢٨٢) الغندجاني ١٤٥ ، التكملة ٦٤/٢ ، القاموس ٦٧/٢ (صبر) .

٢٨٣– (الصَّبِيب) : فرس للعرب معروف .
٢٨٤– (الصَّبُوح) : فرس لإياد بن نزار .
٢٨٥– (الصّبيح) : فرس لبني مُعَتّب الثقفي .
٢٨٦– (الصَّحيح) : فرس أسد بن الرهيص الطائيّ .
٢٨٧– (صِدام) : فرس لقيط بن زُرارة .
٢٨٨– (صِدام) : فرس قيس بن نُشْبَة .
٢٨٩– (صِدام) : فرس زفر بن الحارث .
٢٩٠– (الصُدَيّ) : فرس النعمان بن قيس بن قُطرة بن سلمة بن مُرَّة.
٢٩١– (الصَّريح) : فرس لِلَخْم ، من نسل الديناريّ .
٢٩٢– (الصَّريح) : فرس عبد يغوث بن حرب .
٢٩٣– (صَعْدة) : فرس ذؤيب بن هلال الخُزاعي .
٢٩٤– (الصَّغا) : فرس مجاشع بن مسعود السُّلميّ .
٢٩٥– (صَفا) : فرس للعرب .
٢٩٦– (الصَّفْراء) : فرس الحارث الأضجم .

---

(٢٨٣) اللسان (صبب) . (٢٨٤) ابن الأعرابي ٩٩ .
(٢٨٥) الغندجاني ١٤٣ ، التكملة ٥٧/٢ . (٢٨٦) القاموس ٢٣٣/١ (صح) .
(٢٨٧) ابن الأعرابي ٦٦ ، الغندجاني ١٤٥ ، المخصص ١٩٥/٦ ، القاموس ١٣٨/٤ (صدم)
(٢٨٨) ابن الأعرابي ٧٣ ، الغندجاني ١٤٨ وفيه : نشبة ، القاموس ١٣٨/٤ (نشب) .
(٢٨٩) ابن الأعرابي ٨٠ ، القاموس ١٣٨/٤ (صدم) .
(٢٩٠) الغندجاني ١٤٧ .
(٢٩١) ابن الكلبي ١١٣ ، ابن الأعرابي ٩٩ ، الغندجاني ١٤٣ .
(٢٩٢) ابن الأعرابي ٨٦ ، المخصص ١٩٧/٦ ، القاموس ٢٤٣/١ (صرح) .
(٢٩٣) ابن الكلبي ١٠٥ ، الغندجاني ١٤٩ ، حلية الفرسان ١٦٣ ، القاموس ٣٠٧/١ (صعد) .
(٢٩٤) ابن الكلبي ١١٦ ، حلية الفرسان ١٦٤ .
(٢٩٥) ابن الكلبي ١٣٢ .
(٢٩٦) ابن الاعرابي ٨١ . وفي المخصص ١٩٧/٦ : الأصم ، وفي القاموس ٧٠/٢ (صفر) : الأصحم أو الأضخم .

٢٩٧- (الصَّفراء) : فرس مجاشع السُّلميّ .

٢٩٨- (الصَّلَتان) : فرس المغيرة بن خليفة الجُعفي .

٢٩٩- (صَمْعَر) : فرس يزيد بن خَذّاق العبديّ .

٣٠٠- (صَمْعَر) : فرس الجرّاح بن أوفى الغطفانيّ .

٣٠١- (الصَّموت) : فرس العباس بن مرداس السُّلمي .

٣٠٢- (الصُّنيب) : فرس شيبان النهدي .

٣٠٣- (الصَّنيع) : فرس باعث بن حُوَيص الطائيّ .

٣٠٤- (الصهّال) : فرس رجل من غطفان يُقال له : أُنيفُ الذئب .

٣٠٥- (صَهْوَى) : فرس حاجز بن عوف الأزْديّ .

٣٠٦- (صُهَيّ) : فرس النّمر بن تَوْلَب .

٣٠٧- (صَوْبَة) : فرس العباس بن مرداس السُّلميّ .

٣٠٨- (صَوْبَة) : فرس مُرَّة بن حَيّان بن مُرَّة بن جَنْدَلة بن عمرو بن سَدوس .

٣٠٩- (الصَّيُّود) : فرس العباس بن مرداس .

---

(٢٩٧) القاموس ٧٠/٢ (صفر) . (٢٩٨) الغندجاني ٢٥٥ .

(٢٩٩) ابن الأعرابي ٨٣ ، الغندجاني ١٤٥ . وفي المخصص ١٩٧/٦ والقاموس ٧٢/٢ (صمعر) : فرس يزيد بن خذاف ، بالفاء .

(٣٠٠) الغندجاني ١٤٦ ، القاموس ٧٢/٢ (صمعر) .

(٣٠١) ابن الأعرابي ٧٢ ، الغندجاني ١٤٤ .

(٣٠٢) القاموس ٩٣/١ (صنب) . (٣٠٣) القاموس ٥٢/٣ (صنع) .

(٣٠٤) الغندجاني ١٤٩ . (٣٠٥) الغندجاني ١٤٩ .

(٣٦) القاموس ٣٥٤/٤ (الصهوة) .

(٣٠٧) ابن الكلبي ٧١ ، ابن الأعرابي ٧٢ ، الغندجاني ١٤٦ ، المخصص ١٩٦/٢ .

(٣٠٨) ابن الأعرابي ٨٩ ، الغندجاني ١٤٦ ، القاموس ٩٤/١ (صوب) وفيه حسان بدل : حيان .

(٣٠٩) ابن الكلبي ٧٥ . وبلا نسبة في الغندجاني ١٤٤ وحلية الفرسان ١٥٧ والقاموس ٣٠٩/١ (صاد) .

(الضـــاد)

٣١٠- (الضَّبوب) : فرس جُمانة بن ربيعة الحارثي .

٣١١- (الضُّبيب) : فرس حضرميّ بن عامر الأسديّ .

٣١٢- (الضُّبَيْح) : فرس الحُصَيْن بن الحُمام السَّهميّ .

٣١٣- (الضَّبِيح) : فرس الرَّيْب بن شَريق .

٣١٤- (الضَّبِيح) : فرس الحَصْف بن معبد العجلي .

٣١٥- (الضَّبِيح) : فرس الشويعر محمد بن حُمران الجُعْفيّ .

٣١٦- (الضَّبِيح) : فرس داوود بن متمم بن نويرة .

٣١٧- (الضَّبِيح) : فرس الحازوق الحنفي الخارجي .

٣١٨- (الضَّبِيح) : فرس الأسعر بن مالك الجُعفيّ .

٣١٩- (الضخم) : فرس رحضة بن مؤمّل السُلميّ .

٣٢٠- (الضَّرير) : فرس للنبي (ص) .

٣٢١- (الضَّيْف) : فرس لبني تغلب . من نسل الحرون .

---

(٣١٠) التكملة ١٨٩/١ ، القاموس ٩٥/١ (ضب) .

(٣١١) الغندجاني ١٥٥ ، القاموس ٩٥/١ (ضب) .

(٣١٢) الغندجاني ١٥٣ ، القاموس ٢٣٦/١ (ضج) .

(٣١٣)الغندجاني ١٥٤ ، القاموس ٢٣٦/١ (ضج) .

(٣١٤) الغندجاني ١٥٥ .

(٣١٥) الغندجاني ١٥٥ ، القاموس ٢٣٦/١ .

(٣١٦) ابن الأعرابي ٦٤ ، المخصص ١٩٥/٦ ، القاموس ٢٣٦/١ (ضج) .

(٣١٧) التكملة ٦٨/٢ ، القاموس ٢٣٦/١ (ضج) .

(٣١٨) ابن الأعرابي ٩٩ ، التكملة ٦٨/٢ ، القاموس ٢٣٦/١ (ضج) .

(٣١٩) رلية الفرسان ١٥٧ .

(٣٢٠) حياة الحيوان ١٦٦/٢ ، رشحات المداد ١١٥ .

(٣٢١) أبو عبيدة ٦٧ ، الغندجاني ١٥٤ ، العمدة ٢٣٥/٢ ، حلية الفرسان ١٦٥ .

(الطاء)

٣٢٢- (الطائر) : فرس عمرو بن النحار .

٣٢٣- (الطائر) : فرس قتادة بن حَريز بن إساف بن ثعلبة بن سَدوس .

٣٢٤- (الطافي) : فرس عمرو بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة .

٣٢٥- (الطِرْف) : فرس للنبيّ (ص) .

٣٢٦- (طريق) : فرس الجنيد بن ثُمامة .

٣٢٧- (الطُّفَيْل) : فرس للعرب مشهور .

٣٢٨- (طِمْلال) : فرس لبني الحارث بن ثعلبة بن دُودان بن أسد بن خُزيمة .

٣٢٩- (طُوالة) : فرس لبني ضُبيعة بن نزار .

* * *

(الظـــاء)

٣٣٠- (ظَبْيَة) : فرس قُمامة المُزَني التي استعارها منه أبو المهوِّش الأسدي .

٣٣١- (الظلّ) : فرس مَسْلَمة بن عبدالملك .

(٣٢٢) الغندجاني ١٥٩ .
(٣٢٣) ابن الأعرابي ٩٣ . وفي المخصص ١٩٧/٦ والقاموس ٨٠/٢ (طير) ؛ قتادة بن جرير
(٣٢٤) ابن الأعرابي ٩٥ ، المخصص ١٩٧/٦ .
(٣٢٥) حياة الحيوان ١٦٦/٢ ، رشحات المداد ١١٨ .
(٣٢٦) الغندجاني ١٥٩ .
(٣٢٧) الاشتقاق ٨٤ .
(٣٢٨) الغندجاني ١٥٨ .
(٣٢٩) القاموس ٩/٤(طال)
(٣٣٠) ابن الكلبي ٣٧ ، الغندجاني ١٦١ ، حلية الفرسان ١٥٤ . وهي (طيبة) بالطاء في الحلبة ٢٤١ . .
(٣٣١) ابن الأعرابي ٥٤ ، المخصص ١٩٤/٦ ، القاموس ١٠/٤ (ظل) .

٣٣٢- (الظّليم) : فرس عبدالله بن عمر بن الخطاب .
٣٣٣- (الظّليم) : فرس مؤرِّج السدوسي .
٣٣٤- (الظّليم) : فرس فَضالة بن هند بن شريك الأسديّ .

* * *

(العين)

٣٣٥- (العارم) : فرس المنذر بن الأعلم الخَوْلاني .
٣٣٦- (العالية) : فرس عمرو بن مِلقط الطائي .
٣٣٧- (العباية) : فرس حَرِّيّ بن ضمرة النهشلي .
٣٣٨- (عُجْرَة) : فرس نافع بن خليفة الغنوي .
٣٣٩- (عَجْلَى) : فرس يزيد بن مرداس السُّلميّ .
٣٤٠- (عَجْلَى) : فرس دريد بن الصِّمّة .
٣٤١- (عَجْلَى) : فرس ثعلبة بن أم حزنة .
٣٤٢- (العَذَبات) : فرس يزيد بن سُبَيْع بن حَنيف بن مالك .
٣٤٣- (عذّاب) : فرس البدّاء بن قيس .

---

(٣٣٢) القاموس ١٤٦/٤ (ظلم) .
(٣٣٣) ابن الأعرابي ٩١ ، القاموس ١٤٦/٤ (ظلم) .
(٣٣٤) ابن الكلبي ٣٦ ، ابن الأعرابي ٥٥ ، المخصص١٩٤/٦ ، القاموس ١٤٦/٤ (ظلم) .
(٣٣٥) ابن الكلبي ١٠٢ ، الغندجاني ١٧٥ ، حلية الفرسان ١٦٢ ، القاموس ١٤٩/٤(عرم).
(٣٣٦) الغندجاني ١٦٤ . (٣٣٧) الغندجاني ١٦٤ . وفي العمدة ٢٣٥/٢ : العباءة .
(٣٣٨) الغندجاني ١٧٤ ، القاموس ٨٥/٢ (عجر) .
(٣٣٩) الغندجاني ١٧٤ ، القاموس ١٣/٤ (عجل) .
(٣٤٠) ابن الأعرابي ٧٧ ، المخصص ١٩٦/٦ ، القاموس ١٣/٤ (عجل) .
(٣٤١) ابن الأعرابي ٨٤ ، المخصص ١٩٧/٦ ، القاموس ١٣/٤ (عجل) .
(٣٤٢) الغندجاني ١٦٥ ، القاموس ١٠٢/١ (عذب) .
(٣٤٣) القاموس ١٠٢/١ (عذب) .

٣٤٤- (العَرَادة) : فرس أبي دُواد الإيادي .

٣٤٥- (العَرَادة) : فرس الربيع بن زياد الكلبيّ .

٣٤٦- (عرّاد) : فرس ماعز بن مجالد بن ثور البكائي .

٣٤٧- (العَرَقة) : فرس زهير بن مسعود الضَّبِّيّ .

٣٤٨- (عُرقوب) : فرس زيد الفوارس الضبيّ .

٣٤٩- (العَرِن) : فرس عدي بن أمية الضبيّ .

٣٥٠- (العَرِن) : فرس عُمير بن جبل البجليّ .

٣٥١- (العَروض) : فرس قُرَّة بن الأحنف بن نمير بن والبة الأسديّ .

٣٥٢- (عَريب) : فرس ثعلبة بن أم حَزْنَة العبدي .

٣٥٣- (العَزْلاء) : فرس لبني جعفر بن كلاب .

٣٥٤- (العصا) : فرس شبيب بن عمرو بن كُرَيْب الطائي .

٣٥٥- (العصا) : فرس عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب .

٣٥٦- (العصا) : فرس سعد بن مُشَمِّت من بني ضُبيعة بن نزار .

٣٥٧- (العصا) : فرس قصير بن سعد اللخميّ .

---

(٣٤٤) ابن الكلبي ٧٦ ، ابن الأعرابي ٩٩ ، الغندجاني ١٦٦ . وفي المخصص ١٦/١٩٨ بتشديد الراء .
(٣٤٥) الغندجاني ١٦٦ ، القاموس ١/٣١٣ (عرد) .
(٣٤٦) الغندجاني ١٧٥ ، القاموس ١/٣١٣ (عرد) .
(٣٤٧) الغندجاني ١٧٦ .
(٣٤٨) ابن الأعرابي ٥٨ ، الغندجاني ١٧٣ ، المخصص ٦/١٩٥ .
(٣٤٩) الغندجاني ١٦٦ ، القاموس ٤/٢٤٧ (عرن) .
(٣٥٠) ابن الكلبي ١٠٢ ، حلية الفرسان ١٦٢ ، القاموس ٤/٢٤٧ (عرن) .
(٣٥١) الغندجاني ١٦٧ ، القاموس ٢/٣٣٤ (عروض) .
(٣٥٢) الغندجاني ١٧٥ .
(٣٥٣) الغندجاني ١٧٢ ، القاموس ٤/١٥ (عزل) .
(٣٥٤) الغندجاني ١٦٨ . وفي البيان والتبيين ٣/٩٦ : لشبيب بن كعب الطائي .
(٣٥٥) ابن الأعرابي ٨٠ ، البيان والتبيين ٣/٦٦ ، الغندجاني ١٦٨ ، المخصص ٦/١٩٦ .
(٣٥٦) ابن الأعرابي ٨٢ ، الغندجاني ١٧٤ .
(٣٥٧) المخصص ٦/١٩٦ ، اللسان (عصا) .

٣٥٨- (العُصْفُري) : فرس محمد بن يوسف أخي الحجاج . من نَسل الحرون .

٣٥٩- (العَصْماء) : فرس لبني تميم .

٣٦٠- (العُصَيّة) : فرس لإياد . وهي أم العصا التي هي فرس جَذيمة .

٣٦١- (العَضْواء) : فرس عمرو بن معد يكرب .

٣٦٢- (العضوض) : فرس عامر بن الحارث بن سُبَيْع بن معاوية .

٣٦٣- (العطّار) : فرس سالم بن وابِصة الأسديّ .

٣٦٤-(العطّاس) : فرس عبدالله بن عبدالمَدان الحارثيّ .

٣٦٥- (العطّاف) : فرس عمرو بن معد يكرب .

٣٦٦- (عَفْزَر) : فرس سالم بن عامر .

٣٦٧- (العُفَيْر) : فرس لجُهَينة .

٣٦٨- (العُقاب) : فرس حُمَيْضة بن سيّار الفزاريّ .

٣٦٩- (العُقاب) : فرس مرداس بن جَعْوَنة .

٣٧٠- (عقرب) : فرس عتبة بن رَحْضة الغفاريّ .

---

(٣٥٨) ابن الكلبي ١٢٣ ، الغندجاني ١٦٩ ، القاموس ٩١/٢ (عصفر) .

(٣٥٩) الغندجاني ١٧١ . (٣٦٠) ابن الكلبي ٩٤ ، الغندجاني ١٦٩ ، القاموس ٣٦٣/٤ (العصا) . (٣٦١) الغندجاني ١٧٧ .

(٣٦٢) ابن الأعرابي ٦٨ ، الغندجاني ١٧٦ ، المخصص ١٩٦/٦ .

(٣٦٣) الغندجاني ١٧٠ ، القاموس ٩١/٢ (عطر) .

(٣٦٤) ابن الكلبي ٩٤ ، حلية الفرسان ١٥٩ . وفي الغندجاني ١٦٩ والتكملة ٣٨٩/٣ : يزيد بن عبد المدان .

(٣٦٥) ابن الكلبي ٩٣ ، التكملة ٥٣٢/٤ ، حلية الفرسان ١٥٩ ، القاموس ١٧٦/٣(عطف)

(٣٦٦) القاموس ٩٣/٢ (عفر) .

(٣٦٧) الغندجاني ١٧٠ ، التكملة ١٢٢/٣ ، القاموس ٩٣/٢ (عفر) .

(٣٦٨) الغندجاني ١٧٣ ، القاموس ١٠٦/١ (عقب) .

(٣٦٩) ابن الأعرابي ٩٤ ، المخصص ١٩٧/٦ .

(٣٧٠) الغندجاني ١٧٢ ، القاموس ١٠٧/١ (عقرب) .

٣٧١- (العَلاة) : فرس الحارث بن التؤام .

٣٧٢- (العَلاة) : فرس عمرو بن جبلة اليشكريّ .

٣٧٣- (العِلاوة) : فرس للعرب .

٣٧٤- (العَلْهاء) : فرس للعرب .

٣٧٥- (عَلْوَى) : فرس خُفاف بن نُدْبة .

٣٧٦- (عَلْوَى) : فرس الرَّيْب بن شُريق السعديّ .

٣٧٧- (العمرّد) : فرس وَعْلَة بن شَراحيل .

٣٧٨- (عُمَيْر) : فرس حنظلة بن سيّار العِجْليّ .

٣٧٩- (العُناب) : فرس مالك بن نويرة .

٣٨٠- (العَناق) : فرس مسلم بن عمرو الباهليّ .

٣٨١- (العَوْحاء) : فرس عامر بن جُوَيْن الطائيّ .

٣٨٢- (العَوْد) : فرس أُبي بن خلف الجُمحيّ .

٣٨٣- (العَوْد) : فرس أبي ربيعة بن ذُهل .

٣٨٤- (العَوْد) : فرس الأسود بن يعفر .

---

(٣٧١) الغندجاني ١٧٢ . (٣٧٢) ابن الأعرابي ٨٧ ، المخصص ١٩٧/٦ ، اللسان (علا) . (٣٧٣) القاموس ٣٦٥/٤ (علو) .

(٣٧٤) القاموس ٢٨٨/٤ (عله) .

(٣٧٥) ابن الأعرابي ٧٤ ، الغندجاني ١٧٢ ، المخصص ١٩٦/٦ .

(٣٧٦) الغندجاني ١٧٤ . وبلا نسبة في القاموس ٣٦٦/٤ (علو) .

(٣٧٧) ابن الأعرابي ٩٧ ، الغندجاني ١٧٦ .

(٣٧٨) ابن الأعرابي ٩٧ ، القاموس ٩٦/٢ (عمر) .

(٣٧٩) ابن الأعرابي ٦٣ ، الغندجاني ١٧٠ . وعند ابن الكلبي ٤٩ : العباب ، بالباء .والروايتان في القاموس ٩٩/١ (عب) وفيه : وصوابه عناب بالنون .

(٣٨٠) الغندجاني ١٧٥ ، القاموس ٢٦٩/٣ (عنق) .

(٣٨١) الغندجاني ١٧٧ ، القاموس ٢٠١/١ (عوج) .

(٣٨٢) ابن الأعرابي ٥٣ ، الغندجاني ١٧١ ، المخصص ١٩٣/٦ ، القاموس ٣١٨/١ (عود)

(٣٨٣) الغندجاني ١٧٣ ، القاموس ٣١٨/١ (عود) . (٣٨٤) الغندجاني ١٧٧ .

٣٨٥- (العَوْد) : فرس سُراقة بن مالك المُدْلجيّ .
٣٨٦- (عَوْسَج) : فرس طفيل بن شُعَيْب الكلبيّ .
٣٨٧- (العَوِيج) : فرس عروة بن الورد .
٣٨٨- (العيّار) : فرس خالد بن الوليد .

* * *

(الغين)

٣٨٩- (الغَبْراء) : فرس قُدامة بن مَصَاد الكلبي .
٣٩٠- (الغَدِير) : فرس شُرَيح بن الأحوص .
٣٩١- (الغرّاء) : فرس ابنة هشام بن عبدالملك .
٣٩٢- (الغرّاء) : فرس شيبة بن عبدالله بن خُلَيد الأسدي .
٣٩٣- (الغرّاء) : فرس بُرج بن مُسْهِر الطائيّ .
٣٩٤- (الغُراب) : فرس عمرو بن مِلْقَط الطائيّ .
٣٩٥- (الغَرّاف) : فرس خُزَز بن لَوْذان بن عوف بن سَدوس .
٣٩٦- (الغريب) : فرس زيد الفوارس بن حُصين بن ضرار الضبيّ .
٣٩٧- (الغزالة) : فرس مُحَطِّم بن الأرقم الخَوْلانيّ .

---

(٣٨٥) ابن الأعرابي ٥٣ ، المخصص ١٩٤/٦ .
(٣٨٦) الغندجاني ١٧٣ ، القاموس ١٩٩/١ (غسج) وفيه : طفيل بن شعيث .
(٣٨٧) التكملة ٤٧٣/١ ، التاج (عوج) .
(٣٨٨) الغندجاني ١٧١ ، التكملة ١٣٣/٣ ، فضل الخيل ١٨١ ، القاموس ٩٨/٢ (عير) .
(٣٨٩) الغندجاني ١٨٦ ، التكملة ١٣٤/٣ ، القاموس ٩٩/٢(غبر) .
(٣٩٠) البيان والتبيين ٦٦/٣ . (٣٩١) الغندجاني ١٨٣ ، القاموس ١٠١/٢(غرر)
(٣٩٢) الغندجاني ١٨٨ . (٣٩٣) الغندجاني ١٨٩ . (٣٩٤) الغندجاني ١٨٨ .
(٣٩٥) الغندجاني ١٨٩ ، المخصص ١٩٧/٦ . (٣٩٦) الغندجاني ١٨٤ .
(٣٩٧) ابن الكلبي ١٠٥ ، القاموس ٢٤/٤ (غزل) . وعند الغندجاني ١٨٨ :محطم بكسر الميم وسكون الحاء .

٣٩٨- (الغَشواء) : فرس حسان بن مَسْلمة بن الخُزَز بن لوذان .
٣٩٩- (غَضْبَى) : فرس خيبريّ بن الحُصين الكلبيّ .
٤٠٠- (غَضْوَر) : فرس جوّاس بن القعطل الكلبيّ .
٤٠١- (غُطَيْف) : فرس عبدالعزيز بن حاتم الباهليّ .
٤٠٢- (غُطَيْف) : فرس النعمان بن عمرو الباهليّ .
٤٠٣- (الغُطَيْفي) : فرس لبني غُطَيف ، كان لهم في الإسلام .
٤٠٤- (الغمامة) : فرس بعض آل المنذر بن ماء السماء .
٤٠٥- (الغَمْر) : فرس جحّاف بن حكيم السُّلَميّ .
٤٠٦- (الغَيَد) : فرس لبني تغاب .
٤٠٧- (غَيْرَة) : فرس الحارث بن يزيد الهَمْدانيّ .

• • •

(الفــاء)

٤٠٨- (الفُطَيْر) : فرس كان لقيس بن ضرار فوهبه للرُّقاد بن المنذر الضبيّ .
٤٠٩- (الفَهْدة) : فرس عُبيد بن مالك النهشليّ .

---

(٣٩٨) ابن الأعرابي ٩٢ .
(٣٩٩) الغندجاني ١٨٧ ، القاموس ١١١/١ (غضب) .
(٤٠٠) الغندجاني ١٨٧ .
(٤٠١) ابن الكلبي ١٢٣ ، الغندجاني ١٨٦ ، القاموس ١٨١/٣ (غطف) .
(٤٠٢) الغندجاني ١٨٨ .
(٤٠٣) الغندجاني ١٨٥ ، القاموس ١٨١/٣ (غطف) .
(٤٠٤) ابن الكلبي ١١٣ ، ابن الأعرابي ٩٩ ، حلية الفرسان ١٦٤ ، وفي الغندجاني ١٨٦ لأبي دواد .
(٤٠٥) الغندجاني ١٨٧ ، فضل الخيل ١٦٩ ، القاموس ١٠٤/٢ (غمر) .
(٤٠٦) جواب السائل ٣٠ .
(٤٠٧) الغندجاني ١٨٧ ، القاموس ١٠٦/٢ (غير) .
(٤٠٨) الغندجاني ١٩٢ ، القاموس ١١٠/٢ (فطر) .
(٤٠٩) ابن الأعرابي ٦٦ ، القاموس ٣٢٤/١ (فهد) . وعند الغندجاني ١٩٢ : الفهد .

٤١٠– (فهد) : فرس للمغيرة بن خليفة الجُعْفيّ .

٤١١– (الفَيْض) : فرس عُتْبَة بن أبي سفيان .

٤١٢– (الفَيْض) : فرس لبني ضُبَيْعة بن نزار .

٤١٣– (الفَيْنان) : فرس لبني ضبّة : قُرابة بن هِقْرام الضبيّ أو قُرَيْبَة بن عُوَيّة الضبي أو قُرابة بن غُوَيّة .

* * *

(القـــاف)

٤١٤– (قادم) : فرس لرجل من بني نصر بن معاوية .

٤١٥– (القتادة) : فرس لبكر بن وائل .

٤١٦– (القتاديّ) : فرس للخزرج في الإسلام .

٤١٧– (قَدام ِ) : فرس عبدالله بن العجلان النهديّ .

٤١٨– (قَدام ِ) : فرس عروة بن سنان العبديّ .

٤١٩– (القِدْح) : فرس لغنيّ ، من نسل الحرون .

٤٢٠– (قُدَيْد) : فرس عبس بن حُذار .

---

(٤١٠) الفندجاني ٢٥٥ . (٤١١) الفندجاني ١٩١ ، القاموس ٣٤١/٢ (فاض) .

(٤١٢) التكملة ٨٥/٤ ، القاموس ٣٤١/٢ (فاض) .

(٤١٣) ابن الكلبي ٤٦ ، ابن الأعرابي ٥٧ ، الفندجاني ١٩٢ ، المخصص ١٩٥/٦ ، القاموس ٢٥٧/٤ (فان) .

(٤١٤) الفندجاني ١٩٩ .

(٤١٥) الفندجاني ١٩٤ ، القاموس ٣٢٥/١ (القتاد) .

(٤١٦) ابن الكلبي ١١٧ ، الفندجاني ١٩٤ ، القاموس ٣٢٥/١ (القتاد) .

(٤١٧) الفندجاني ٢٠٠ ، المخصص ١٩٧/٦ ، القاموس ١٦٢/٤ (قدم) .

(٤١٨) ابن الأعرابي ٨٤ ، المخصص ١٩٧/٦ ، القاموس ١٦٢/٤ (قدم) .

(٤١٩) ابن الكلبي ١٢٢ ، الفندجاني ١٩٤ ، القاموس ٢٤١/١ (قدح) .

(٤٢٠) ابن الأعرابي ٨٠ . وفي المخصص ١٩٦/٦ واللسان (قدد) : جدان .

٤٢١– (قُدَيْد) : فرس قيس بن عبدالله الغاضريّ .

٤٢٢– (القراع) : فرس ربيعة بن غزالة السّكوني .

٤٢٣– (القُراقر) : فرس أشجع بن ريث بن غطفان .

٤٢٤– (القُراقر) : فرس عامر بن قيس بن جُنْدَب الأشجعيّ .

٤٢٥– (أبو قِربة) : فرس عبيد بن أزهر .

٤٢٦– (القَرْحاء) : فرس عقبة بن مكرم .

٤٢٧– (القَرْحاء) : فرس عاصم بن أبي عمرو بن حصين بن الأعور بن قشير .

٤٢٨– (قُرْزُح) : فرس للعرب .

٤٢٩– (قُرْزُل): فرس حذيفة بن بدر .

٤٣٠– (القَرْمَل) : فرس عروة بن الورد .

٤٣١– (القُرَيْط) : فرس لبني سُلَيم .

٤٣٢– (القُرَيْط) : فرس لكِنْدَة .

---

(٤٢١) التكملة ٣١٧/٢ ، القاموس ٣٢٦/١ (قدد) .

(٤٢٢) ابن الكلبي ١٠٤ ، الغندجاني ١٩٥ .

(٤٢٣) الغندجاني ١٩٥ ، القاموس ١١٦/٢ (قر) .

(٤٢٤) الغندجاني ٢٠١ ، المخصص ١٩٦/٦ ، القاموس ١١٦/٢ (قر) . وعند ابن الأعرابي ٦٨ : الفرافر ، بالفاء .

(٤٢٥) ابن الأعرابي ٦٧ ، المخصص ١٩٥/٦ .

(٤٢٦) الغندجاني ٢٠١ . وبلا نسبة في القاموس ٢٤٣/١ (قرح) .

(٤٢٧) الغندجاني ٢٠٠ ، التكملة ٨٤/٢ ، فضل الخيل ١٨٧ .

(٤٢٨) المخصص ١٩٨/٦ ، التكملة ٨٧/٢ ، القاموس ٢٤٣/١ (قرزح) .

(٤٢٩) الغندجاني ١٩٥ ، العمدة ٢٣٥/٢ ، القاموس ٣٦/٤ (القرزل) .

(٤٣٠) ديوانه ٩٨ ، القاموس ٣٧/٤ (القرمل) .

(٤٣١) ابن الأعرابي ٧٢ ، الغندجاني ١٩٥ ، حلية الفرسان ١٥٣ . وعند ابن الكلبي ٢٧ : القربظ ، بالظاء .

(٤٣٢) ابن الكلبي ٩٨ ، حلية الفرسان ١٦١ ، القاموس ٣٧٩/٢ (قرط) .

٤٣٣- (قَسامِ) : فرس سويد بن شداد العبشميّ .
٤٣٤- (قَسامة) : فرس لبني جعدة .
٤٣٥- (القِصاف) : فرس لبني قُشَيْر .
٤٣٦- (القَطِران) : فرس عبّاد بن زياد بن أبيه .
٤٣٧- (القَطِران) : فرس عمرو بن عبّاد العدويّ .
٤٣٨- (القَطوف) : فرس جبّار بن مالك بن حمار الشمخيّ .
٤٣٩- (القَعْساء) : فرس معاذ النهري .
٤٤٠- (القُوَيْس) : فرس سَلَمَة بن الحارث العبسيّ . وقيل : فرس سَلَمَة بن الخُرشُب الأنماريّ .
٤٤١- (قيّار) : فرس ضابئ بن الحارث البُرْجُميّ .
٤٤٢- (قَيْد) : فرس للملوك بني ماء السماء .

* * *

(الكــاف)

٤٤٣- (كامل) : فرس الرُّقاد بن المنذر الضَّبّيّ .
٤٤٤- (كامل) : فرس الهِلقام الكلبيّ .

---

(٤٣٣) الغندجاني ٢٠٠ ، القاموس ١٦٥/٤ (قسم) .
(٤٣٤) أبو عبيدة ٦٧ ، ابن الكلبي ١٥ . (٤٣٥) ابن الكلبي ٧٣ ، الغندجاني ١٩٦ .
(٤٣٦) الغندجاني ١٩٦ ، القاموس ١١٩/٢ (قطر) . وعند ابن الكلبي ١٢٧ : القطراني .
(٤٣٧) الغندجاني ٢٠١ ، القاموس ١١٩/٢ (قطر) .
(٤٣٨) الغندجاني ١٩٩ ، القاموس ١٨٦/٣ (قطف) .
(٤٣٩) الغندجاني ١٩٧ ، القاموس ٢٤١/٢ (قعس) وفيه : النهدي ، بالدال .
(٤٤٠) ابن الكلبي ٧٩ ، الغندجاني ١٩٧ ، حلية الفرسان ١٥٧ ، القاموس ٢٤٣/٢ (قوس).
(٤٤١) الغندجاني ١٩٩ ، فرحة الأديب ٨٧ ، المخصص ١٩٨/٦ ، القاموس ٣٢٦/٤ (قير).
(٤٤٢) ابن الكلبي ١١٣. ، حلية الفرسان ١٦٤ .
(٤٤٣) ابن الأعرابي ٥٨ ، الغندجاني ٢٠٤ ، المخصص ١٩٥/٦ ، القاموس ٤٦/٤ (كمل) .
(٤٤٤) الغندجاني ٢٠٨ ، القاموس ٤٦/٤ (كمل) .

٤٤٥- (كامل) : فرس لبني امرئ القيس .

٤٤٦- (كامل) : فرس زيد الفوارس الضبيّ .

٤٤٧- (كامل) : فرس زيد الخيل الطائيّ .

٤٤٨- (كامل) : فرس شيبان النهديّ .

٤٤٩- (الكامل) : فرس ميمون بن موسى المرائي .

٤٥٠- (الكامل) : فرس سنان بن أبي حارثة المُرِّيّ .

٤٥١- (الكامل) : فرس بجير بن أوس .

٤٥٢- (الكاملة) : فرس عمرو بن معد يكرب .

٤٥٣- (الكاملة) : فرس يزيد بن قَنان الحارثيّ .

٤٥٤- (الكِبْكِب) : فرس قيس بن الغوث .

٤٥٥- (الكُراع) : فرس للعرب .

٤٥٦- (الكَرْشاء) : فرس بسطام بن قيس الشيبانيّ .

٤٥٧- (كَزازِ) : فرس الحصين بن علقمة السُّلَميّ .

---

(٤٤٥) المخصص ٦/١٩٨ .
(٤٤٦) ابن الكلبي ٥٢ ، القاموس ٤/٤٦ (كمل) .
(٤٤٧) العمدة ٢/٢٣٥ ، المخصص ٦/١٩٨ ، حلية الفرسان ١٥٩ .
(٤٤٨) القاموس ٤/٤٦ (كمل) .
(٤٤٩) الغندجاني ٢٠٤ ، القاموس ٤/٤٦ (كمل) وفيه : المري .
(٤٥٠) الغندجاني ٢١٠ ، القاموس ٤/٤٦ (كمل) .
(٤٥١) الغندجاني ٢١١ .
(٤٥٢) الغندجاني ٢٠٥ ، القاموس ٤/٤٦ (كمل) .
(٤٥٣) الغندجاني ٢١٠ ، القاموس ٤/٤٦ (كمل) .
(٤٥٤) القاموس ١/١٢١ (كب) .
(٤٥٥) ابن الأعرابي ٦٢ ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٢١٠ .
(٤٥٦) ابن الأعرابي ٥٩ ، القاموس ٢/٢٨٦ (كرش) .
(٤٥٧) ابن الأعرابي ٧٣ ، الغندجاني ٢٠٨ ، المخصص ٦/١٩٦ .

٤٥٨- (الكَفِيت) : فرس حيّان بن قتادة .
٤٥٩- (الكَلْب) : فرس عامر بن الطفيل .
٤٦٠- (الكَلْب) : فرس خيبريّ بن الحصين الكلبي .
٤٦١- (الكُمَيْت) : فرس عمرو بن الرحال بن النعمان الشيبانيّ .
٤٦٢- (الكُمَيْت) : فرس لبني العنبر .
٤٦٣- (الكُمَيْت) : فرس الأجدع بن مالك الهَمْداني .
٤٦٤- (الكُمَيْت) : بنت الزيت ، فرس معاوية بن سعد العجليّ .
٤٦٥- (الكُمَيْت) : فرس المُعْجَب بن شُيَيْم الضبيّ .
٤٦٦- (الكُمَيْت) : فرس لبني نمير .
٤٦٧- (الكُمَيْت) : فرس لابن الخِمّة الكلبيّ .
٤٦٨- (الكُمَيْت) : فرس مالك بن حَرِيم الهَمْدانيّ .
٤٦٩- (الكُمَيْت) : فرس النابغة الذبيانيّ .
٤٧٠- (الكميْت) : فرس زيد الخيل الطائيّ .
٤٧١- (الكُمَيْت) : فرس يزيد بن الطثرية .
٤٧٢- (الكُمَيْت) : فرس دَيْسَم بن رومي الباهليّ .
٤٧٣- (كَهْمَس) : فرس خيبريّ بن الحصين الكلبيّ .
٤٧٤- (كَوْكَب) : فرس رجل كان في زمن عمر بن الخطاب (رض) .

تمّ فائت الحلبة والحمد لله أولا وآخراً وهو حسبنا ونعم الوكيل

---

(٤٥٨) ابن الأعرابي ٩٤ ، المخصص ١٩٧/٦ ، القاموس ١٥٦/١ (كفت) .
(٤٥٩) ابن الأعرابي ٧٦ ، الغندجاني ٢٠٦ ، العمدة ٢٣٥/٢ . وينظر الأصمعي ٣٧٩ .
(٤٦٠) الغندجاني ٢١٠ . (٤٦١) الغندجاني ٢٠٧ . (٤٦٢) الغندجاني ٢٠٧ .
(٤٦٣) الغندجاني ٢٠٧ . (٤٦٤) الغندجاني ٢٠٨ .
(٤٦٥) ابن الأعرابي ٥٩ ، الغندجاني ٢٠٨ ، المخصص ١٩٥/٦ .
(٤٦٦) الغندجاني ٢٠٩ . (٤٦٧) الغندجاني ٢٠٩ .
(٤٦٨) الغندجاني ٢١٠ . (٤٦٩) الغندجاني ٢١١ ، ديوانه ٢٦٤ .
(٤٧٠) حلية الفرسان ١٥٩ . (٤٧١) ابن الأعرابي ٧٩ ، شعره : ٤٩ .
(٤٧٢) ابن الأعرابي ٦٧ . (٤٧٣) الغندجاني ٢١٠ . (٤٧٤) اللسان (كوكب) .

الأسماك

في كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري

الدكتور جليل ابو الحب

قسم الحشرات — ابو غريب

ان كتاب حياة الحيوان الكبرى لمؤلفه كمال الدين الدميري من الكتب العربية الكلاسيكية المهمة ، وقد مضى على تأليفه حوالى ستة قرون وربع من السنين (إذ فرغ المؤلف من مسوداته عام ٧٧٣ هـ) وقد يكون هذا الكتاب هو الوحيد من بين كتب التراث العربي الاسلامي في الحيوان الذي يطابق مضمونه اسمه تقريبا . وان غيره من كتب الحيوان الاخرى ، مثل كتاب الحيوان للجاحظ ، بعيدة كثيراً عن الحيوان وقد لاتشتمل ولا تضم الا القليل عن الحيوان فعلاً ، فكتاب الجاحظ لايشكل ماقاله عن الحيوان أكثر من نصف جزء من أجزائه السبعة المنشورة . كما ان من اراد الاطلاع على ما يحويه عن الحيوان يضيع في متاهات من التفصيل في الاسلوب الجاحظي والشعر والأدب والرجز والتأريخ قبل ان يتمكن من معرفة شيء عن الحيوان . اما كتاب الدميري فقد رتبه مؤلفه على اسماء الحيوانات وتسلسلها ابجدياً ، ابتداءاً بالأسد وانتهاءً باليعسوب . قد يدخل الدميري ايضاً في تفصيلات واضافات كثيرة ولكنها تهم الحيوان الذي يتكلم عنه من الناحية الفقهيه والاهمية الطبية وذكره في القرآن والحديث والشعر وغير ذلك .

سبق وان درس الكاتب ماجاء في هذا الكتاب عن حيوانات مفصلية الارجل والثدييات والبرمائيات والزواحف مبيناً فيها ماهو علمي وصحيح ومقبول حسب معلوماتنا الآن في علم الحيوان الحديث وكذلك ماكان غير علمي ومن باب الاساطير والخرافات. وفي هذا البحث ندرس ما جاء في الكتاب عن الاسماك ، متعبين نفس المنهج مؤشرين على ماهو علمي وصحيح وماهو اسطوري غير صيحح وخرافي . ان الدميري غير ملوم على الاساطير والخرافات التي وردت في كتابه إذ ان عصره كان مليئاً بهذه الاعتقادات ثم انه اعتمد على كتابات الاقدمين مثل ارسطو والتي كانت محشوة بالاساطير . يجمع الدميري تحت اسم الحيوان ـ وهنا الاسماك ـ حيوانات بعيدة عن الاسماك مثل الحيتان والفقمة والاطوم وفرس الماء ، وكل مايجمع بين هذه والاسماك هو السباحة ومعيشتها المائية . اما ماورد عن الاسماك فعلا فلم يتعدّ ٣٦ سمكة أو مجموعة اسماك واحياناً فانه يكرر السمكة الواحدة تحت اسمين ، وقد جاء قسم كبير منها بدون توضيح أو صفات تساعد على تشخيصها أو ان الصفات جاءت مختلطة لنوعين تحت نوع واحد . وفيما يلي من الصفحات دراسات عن الاسماك التي ذكرها الدميري في كتابه بعد الاستعانة بالمصادر الحديثة أو القديمة التي تبحث في التراث أو الاسماك . لقد حاول الكاتب جهده ان يوضح ماذكره الدميري من الامور غير الصحيحة والتي ليس لها اساس علمي ، كما انه ترك جانباً ماذكره الدميري من الآيات القرآنية والاحاديث الشريفة والاقوال المأثورة والشعر وامور الفقه أو الخواص الطبية والسحرية وتأويل الاحلام حيث ان هذه الامور تخرج عن مايهمنا من الدراسة العلمية في علم الحيوان ، وقد يتمكن المختصون من التحقق منها مستقبلاً .

١ـ الانكليس :

يقول الدميري « سمك شبيه بالحيّات رديء الغذاء وهو الذي يسمى

الجرّي » ويشير الى ان الزمخشري يسميه الشلق ، وان ابن سيده يصفه « على انه على هيئة سمك صغير له رجلان عند ذنبه كرجل الضفدع ولا يد له . يكون في أنهار البصرة ولفظه ليس عربياً » يظهر بوضوح ان الجماة الاولى هي فقط الصحيحة والبقية تسربت لها الاخطاء . يسميه د . زين الدين « أييل » ويعطيه الاسم العلمي Anguilla anguilla وهو الانكليس الاوربي . في الحقيقة قد لايعنى نوعاً واحداً كما ذهب زين الدين ولكنه عدة أنواع حيث لها صفات الطول والجسم الاسطواني وتكون مضغوطة الجانبين وهي في حركتها تشبه الثعابين ، تعود هذه الاسماك الى رتبة عديمة الاطراف من السمك Apodes وهو الاسم القديم وتوجد هناك رتبتان أخريان لهذه الاسماك هي :

(Gulper ecds) Lyomeri , (Spiny ecls) Heteromi

يوجد نوع من هذه الرتبة يصل طوله مترين ويوجد في الخايج العربي وشط العرب ، تعود هذه الانواع الى الرتبة Anguilliformes والصفة المميزة لها هي عدم وجود الزعانف الحوضية والصدرية وهي اما صغيرة او مفقودة والزعنفة الذنبية مفقودة احياناً . من كل هذه الصفات جاء اسم الرتبة القديم (عديمة الاطراف) تفقس البيوض عن يرقات متميزة صغيرة تسمى Leptocephali وهي مسطحة الجانبين وشفافة تماماً ، تعيش على سطح الماء بين المواد العائمة ثم تتحول الى البالغات الصغيرة يعدد الدهام (١٩٧٧) اربع عوائل في هذه الرتبة من اسماك العراق والخليج العربي وتسمى محلياً ناجوت وناجوج .

ان الانكليس الاوربي يعيش في الماء الحلو والبحيرات بصورة مؤقتة لمدة سبع سنوات (الذكر) و ١٢ سنة (الانثى) قبل ان تهاجر الى البحر عندما تقرب من النضوج الجنسي . اما الشلق الذي اعتبره الزمخشري هو

الانكليس فانه يعــود لرتبة الشــبوطيات Cyprini Formes وعائــلة الشــبوطيات Cyprinidae ويكــون مستطيل الجسم مضغوط الجانبين ، وتكون الزعنفة الظهرية قصيرة بدون الاشعة ، اما الزعنفة المخرجية فتكون طويلة .

٢ـ ايلس :

ينقل الدميري بعض المعلومات عن هذا السمك عن القزويني وعنــد الرجوع الى القزويني ظهر ان الاسم هناك هو اليس ، والغريب ان هذه الغلطة مكررة في ثلاث طبقات من كتاب الدميري اطلعت عليها .

ان المعلومات التي يعطيها الدميري لاتساعد في الكشف عن هذا السمك أو التعرف عليه ولم يتطرق الباحثون السابقون له مثل العزي وزين الدين .

ينقل الدميري خرافة من انه اذا أكل خصمان من اللحم المشوي لهــذا السمك تبدلت خصومتهما الى ألفة ، ليس هناك من اساس علمي لهذا الكلام .

يوجد في نهر النيل نوع من السمك يسمى لبيس من الشبوطيات قد يكون ذا علاقة بهذا النوع .

٣ـ البطس :

يقول الدميري انه انواع من السمك لها مرارات وينقل عن أحد المصادر القول ان هذه المرارات تستعمل للكتابة اذ أنه يكتب بها الكتب فاذا جفت قُرِئت في الظلام كما تُقرأ بالنهار وفي ضوء الشمس .

بعد مراجعة عدة كتب عامة بالحيوان او خاصة عن الاسماك لم توجد اية اشارة لمثل هذا الكلام ، ثم انه من المعروف ان الاخطبوط والحبّار هي من النواعم او الرخويات التي تفرز مادة سوداء تسمى الحبر للتغطية أو التمويه ضد الاعداء لتساعدها على الهرب .

٤- البهار :

يقول الدميري « حوت أبيض طيب من حيتان البحر » يقول د . زين الدين انه سماك واسـمه العلمي Lutianus bohar ويعـود للعائلة Lutianidae والاسم العـام لـه Diacope . لا تتنـاقض تسمـية الدميري الحوت مع اسم السمك فقديماً كان السمك يدعى حوت ابيض، وقد ورد ذلك في القرآن الكريم . يظهر ان هذا الاسم لايزال بعد يستعمل في مصر اذ ان الدكتور القُفل يذكر عن وجوده في البحار المصرية . اما د . الـدهام ود . نادر فلم يذكرا العائلة بين اسـماك العراق والخليج العربي . تعيش اسماك هذه العائلة في المياه الضحلة في البحار الاستوائية . اكثرها ذات ألوان لماعة وتشكل مادة غذائية في كثير من انحاء العالم ولكن في بعض المناطق يعتبرها السكان سامة ، يصل طولها احياناً حوالي قدم (٣٠ سم) .

تعـود العائلة الى الرتبة Pereomorphi والتي تضم عـدداً كبيراً من الاسماك المعروفة كل انواعها ذات سلسلة من زعانف شعاعية شوكية امام الزعانف الظهرية والمخرجية ، تضم الرتبة حوالي ٨٠ عائلة تنتشر في العالم وبعض انواعها تعيش في المياه الحلوة ، قد تكون الزعانف الشعاعية الشوكية هي التي اوحت بفكرة كونها سامـة .

٥- البينيب :

لايزيد الدميري عن القول بانه « سمك معروف عند أهل البحر » ويقرر د . زين الدين انه النوع Euthymus pelamis امـا القُفل فيـذكر النـوع بالاسم Katsuwonus pelamis ويسميه كتاب اسـماك العالم Euthymus pelamis وهـو احـدث المصـادر الثـلاثة ويسـميه القُفل الثونة المخططة ، ويعـود للعائلة Seombridae ، وانواع هـذه العائلة ذات قابلية كبيرة على السباحة ، زعانف الذنب صلبة وواسعة مما يساعدها

على الهجرة ، يوجد نوع من هذه العائلة في شط العرب والخليج العربي قد يصل طوله متراً واحداً ، اما بقية الانواع فانها توجد في جميع البحار الاستوائية وشبه الاستوائية وقيل انه يزيد في طوله على الثلاثة اقدام (٩٠ سم). حراشفه صغيرة وغالباً ماتوجد في منطقة الرأس والسطح الاسفل فقط ، ان سمك السردين المشهور يقارب هذا النوع من السمك ، يصطاد السماكون حوالي ١٠٠ مليون باون من اسماك هذه العائلة سنوياً في الولايات المتحدة الامريكية وحدها ، وقد بدأ مؤخراً يصل اسواقنا العراقية ، وهو يطرح في السوق مع الاسماك البحرية الاخرى ولكن الطلب يكون أقل عليه . لم يذكر الدهام هذا السمك من جملة اسماك الخليج العربي .

٦ـ البياح :

يذكره الدميري على اساس انه ضرب من السمك . يذكر القُفل عائلة الـ Mugilidae ويقول انها عائلة البوري او البياح ، وفي العراق يسميه د . نادر بالخشني وهو النوع Mugila abu وهو من الاسماك ذوات الزعنفتين الظهريتين وبدون شوارب ومن الاسماك النهرية ولكن توجد بعض انواع العائلة في البحار الاستوائية ايضاً اكثر الانواع صغيرة الحجم لاتزيد عن ١٢ـ٢٠ إنج] أي ٣٠ـ٥٠ سم] ولكن بعضها مثل البورى المخطط قد يصل الى ٣٦ إنج (٩٠ سم) يوجد في النيل ستة انواع من هذا الجنس كما انه يوجد في كل المياه العذبة في العراق .

٧ـ جراد البحر :

يقول الدميري عن الشريف انه « حيوان له رأس وله مما يلي الرأس صدف خزفي ونصفه الثاني لاخزف عليه وله في كلا الجانبين عشر ايدي طوال شبيهة بأيدي العناكب الاّ انها كبيرة جداً ، منها ماهو قدر الرغيف ومنها ماهو دون ذلك . يكثر في ساحل البحر ببلاد العرب . .» الخ . يقول العزي

(١٩٧٧) انه من الاسماك الطائرة ، ولايزال يسمى كذلك في البحر الاحمر والعراق والامارات العربية ، الاّ ان الوصف الذي ذكره الدميري من الشريف واضح جداً ويدل على انه من القشريات وقد يكون الروبيان . وان الدميري ذكر السمك الطائر بهذا الاسم فيما بعـد .

٨- الجريث :

يصفه الدميري « بأنه يشبه الثعبان » الا ان الدميري يخلط بينه وبين عدة انواع اخرى هي المار ماهي والجري وثعبان الماء وينقل عن الجاحظ انـه يأكل الجرذان ، قد يكون الجريث اسماً اخراً لثعبان الماء ، او قد يكون الجريث من الاسماك الرئوية والتي تتمكن من المعيشة على اليابسة وهذه لايعرف عنها انها تأكل الجرذان . يقول الملكي ان من اسماء ثعبان الماء الجريث ويقول انها تهاجم الفئران ، وعلى هذا الاساس يكون قول الجاحظ صحيحاً .

٩- جلكي :

يقول الدميري « نوع متولد بين الحية والسمك ، اذا ذبح لايخرج منه دم ، عظمه رخو ، يؤكل مع لحمه ، يسمّن النساء اذا أُكل » . هذا الحيوان من الحبليات الواطئة ، حتى انه يكون اوطأ كثيراً من الاسماك ، يعود الى صنف مستديرة الفم من مجموعة عديمة الفكوك من الحبليات ، وكما يدل عليه اسم صنفه فانه عديم الفكوك وفمه مستدير ، وقد يكون مزوداً بأسنان ، ثم انه له لسان مغطى بغضاريف تجعله يشبه المبرد ، يعيش عيشة طفيلية على الاسماك وغيرها من الحيوانات البحرية بامتصاص دمها فقط . اما قوله متولد بين الحية والسمك فانه غير صحيح علمياً ولكن سببه لاشك يعود لكون هذه الحيوانات مستطيلة الجسم ، اسطوانية ، ملساء ، بدون زعانف جانبية وعلى الظهر توجد زعنفة طويلة تصل نهاية الجسم والذنب مضغوط الجانبين ، يصل بطوله الى المتر أحياناً ، منه انواع كثيرة ، منها مايعيش في المياه العذبة ومنها

بحرية ، اما عدم خروج الدم فهو ايضاً غير صحيح لان لهذه الحيوانات دماً وكريات دم حمراء قرصية ذات نوايات ، كذلك عدم خروج الدم عند بعض الانواع قد يكون بسبب قلته اولاً وزيادة اللمف ثانياً ، كما ان ترتيب الاوعية الدموية قد يبعدها عن محلات الذبح مع العلم انه بدون مخروط شرياني والاوعية الودجية موجودة ، عظمه رخو (وهذا صحيح) لان الهيكل العظمي يتكون من الحبل الظهري الذي هو غضروفي ، كما ان الجمجمة وبقية العظام كلها غضروفية مما يجعلها رخوة وسهاة المضغ مع اللحم ، اما انه يسمّن النساء فكل الأغذية تسمّن اذا كانت كربوهيدرات وقد يكون في لحم الحيوان شحوم كثيرة .

يوجد اللمبري في المحيط الاطلسي ويهاجر ليضع بيوضه في المياه العذبة ، تمتد مدة اليرقة الى حوالي ثلاث سنوات في المياه الحلوة ، وفي هذا الدور تتغذى على الدقائق العضوية في الطين حيث توجد مدفونة .

١٠ـ الجواف :

يقول عنه الدميري انه « ضرب من السمك وليس من جيده » ويضرب برخصه المثل ، ليس من السهل معرفة هذا النوع ، قد يكون هذا السمك هو النـوع Anodontostoma chocumdra والـذي يذكـر الدهـام ان احد اسمائه المحلية جوافة وينتشر في الخليج العربي والبحر العربي والمحيط الهنـدي وهو من العائلة Clupeidae ومن جملة انواع هذه العائلة سماك السردين والصبورة وهي ليست من الاسماك الجيدة .

يذكر القزويني نوعاً يسميه الجراف (بالراء) ولعله هو الجواف عند الدميري ـ مع العلم انه لم يذكر الجراف ـ ولم يذكر القزويني كمصدر

لهذا النوع ، يقول العزي (١٩٧٧) ان الجراف قد يكــون هو النباش Barbus schiench ولكن د.نادر يذكر ان النباش هوBarbus barbulus ويسميه الدهام ابو براطم مع العلم ان د . نادر والدهام لم يذكرا النــوع الذي ذكره العزي .

١١ـ الحساس :

ان الوصف الذي يعطيه الدميري لايساعد على التشخيص ولكن د . زين الدين يقول انه من الجنس Atherina اذ يقول « جنس من السمك صغــار وهو الهف » والذي يعــود للعائلة Atherinidae عائلة السمك فضيّ الجــانب ويصفها الدهام انها اسماك صغيرة الحجم تعيش في المناطق الحارة والمعتدلة ، معظم الانواع بحرية ولكن يوجد منها مايعيش في المياه العذبة ، وهي مفترسة ، يعتبر الدهام الحساس هو الجنس Allaneta واليه يعود النــوع A. doudecimolis يسمى في العراق الحساس وفي الكويت متجوس وفي الامارات جسجوس ومن اسمه يدل على انه يصل الى ١٢ سم طولاً يظهر ان اسم الجنس الاصح هو Atherina . لايذكر د . نادر وجــود هذه العائلة في العراق والخليج العربي بالرغم من انه يذكر الرتبة ، ان اسماك هذه العائلة ذات زعنفتين ظهريتين .

١٢ـ الحوت :

يقول الدميري ان الحوت هو السمك ، وهذا الاسم يستعمل للسمك ولا يزال لحد الآن وجاء ذكر ذلك في القرآن الكريم [اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم] و [نسيَ حوتَهُ] وكل مايقوله الدميري يدل على انه يقصد السمك وليس الحوت اللبون ، يفسر الدميري مجيء الحوت يوم السبت على اساس المعجزات والغيبيات واللاهوتيات . قد يكون القول ان الحوت يأتي

يوم السبت لانهم اعتادوا اكلهُ يوم السبت ويجري عرضه في السوق ذلك اليوم بكميات كبيرة ، ولوقت قريب كان الناس في العراق يفضلون أكل السمك يوم الاربعاء ، وفي الولايات المتحدة يخصص الكاثوليك أكل السمك بيوم معين في الاسبوع وذلك للتقليل من أكل لحم الأغنام والماشية حفظاً لها .

اما الحديث الذي ذكره الدميري . . . مامن دابة الا وهي مصيخة .. قد يعني ان يوم الجمعة يوم راحة العرب والمسلمين ويتبع ذلك حيواناتهم التي يستعملونها في الحمل والسفر فهي تقف في مرابطها هادئة ساكنة تظهر عليها صفة او سمة المصيخة اما الخبر المروي عن ابن عباس بالنسبة للعالم النافع والعالم البخيل فهو خير دليل على نظرة الاسلام الى العلم والعلماء الذين يعلمون غيرهم واولئك الذين يبخلون بعلمهم .

وقصة يونس والحوت قصة من التوراة ذكرها القرآن بعدة اماكن وقصة الخضر او الياس ايضاً من القصص الشائعة والتي تلائم ذلك العصر والتي قد تكون دخلت الفكر الاسلامي عن طريق بعض من اسلم من اليهود . يقول الدميري « ارسل الله الى سليمان حوتاً واحداً من البحر فأكل جميع ما جمعه سليمان في تلك المدة الطويلة ثم استزاده . . . الخ » انها قصة طريفة تشير الى ان الحوت يأكل كثيراً وفي الحقيقة بعض انواع الحوت هي أكبر حيوان في الدنيا فلا غرابة اذا أكلت هذه الكميات من الغذاء :

١٣ــ حوت موسى ويوشع :

ينقل الدميري وصف هذا السمك عن ابي حامد الأندلسي الذي يقول « سمكة طولها أكثر من ذراع وعرضها شبر واحد في جانبها شوك وعظام وجلد رقيق على احشائها ولها عين ونصف رأس » . هذا الحوت من الاسماك من الرتبة Heterosomata واشهر عوائلها العائلة Bothidae والعائلة Soleidae والعائلة Pleuronectidae وكلها من الاسماك المسطحة

(سمك موسى والسمك المتعثر والبلايص والترسْ والداب) وليست متناظرة جانبياً . الجسم مضغوط جداً ولذا فان العينين تتقاربان بحيث تظهران وكأنها عين واحدة وهذا ينطبق بصورة واضحــة على انواع العائلة Bothidae وهذه الاسماك مهمة تجارياً ومطلوبة كثيراً لانها غذاء جيد وهي اسماك بحرية عادة تعيش في قاع المياه الساحلية . الزعانف الظهرية والشرجية طويلة بحيث تحيط بالجسم . وحسب دراسة د . نادر يوجد في الخليج العربي ومصب شـــط العـــرب نـــوع يســـمى Pseudorhombus arsius والاسم العام له هو مزلاق البحر ، عيناه على الجهة اليسرى وكأنهما عين واحدة ، يصل بطوله حوالي ٣٧ سم ، الدهام لم يذكر هذا النوع ، صغار هذه الاسماك ثنائية التناظر ولكنها سرعان ماتضطجع على جهة واحدة ويحدث في الجسم عدم التناظر ، فالخطم يستدير والفم ملتوي وتظهر وكأن احد الجانبين بدون رأس ، كل ذلك لانها تكيف للمعيشة في ارض وقاع البحر . يوجد في بحـــار مصر نوع يســـمى Sopea blecheri ويســـمى سمك موسى . هذه الانواع من السمك لاتعيش على اليابسة كما رواه الدميري عن الكلبي ، كما ان الانواع هذه توجد في مناطق مختلفة من بحار العالم . بحر الاردن (البحر الميت) وبحر القلزم (البحر الاحمر) [لايلتقيان] . وبحر فارس (الخليج العربي) وبحر الروم (الابيض المتوسط) [لايلتقيان] وماجاء من حديث تحت هذا النوع من السماك كلها من سرديات الدميري. اما وصف ابن حامد للسمكة فانه صحيح وعلمي كما جاء بنا اعلاه .

١٤- الخرشقلا :

وقد اعطاها الدميري ايضاً الاسم الذي لايزال يستعمل وهو السمك البلطي وهو من الاســماك النهرية ، يذكـــر القُفل انها من العائلة اا Cichalidae وله زعنفة ظهرية واحدة تبدأ فوق الزعنفة الصدرية او قبلها وتوجد فيها

الزعنفتان البطنية والشرجية ، يذكر القُفل ثلاثة اجناس لهذه العائلة ويعطينا المؤلف دراسات كثيرة عن اسماك هذه العائلة ، من اراد يرجع اليها . لانواع هذه العائلة عادات ارضية ترتبط كثيراً مع التباين الجنسي في اللون والمغازلة في التزاوج . قسم منها تضع البيوض في منخفضات ضحلة ثم تجمعها بالفم ثم تبقى تحرك البيوض لتعريضها للهــواء . الصغار الحديثة تبقى بفم الكبار حتى تستهلك كيس المح، ومن هذه الانواع الغريبة النوع Haplochromis multicolor لم يذكره القُفل ، يوجـــد في اســـفل النيل وكل افريقيا الشرقية كما ان هناك انواعاً كثيرة من اسماك الزينة تعود لهذه العائلة ، هناك قول يذكره الدميري « لولا الخرشقة لوجدت اوراق الحنّة في ماء النيل» قد يعني ان هذه الاسماك تأكل كل ما تقع عليه من النباتات والاوراق في الماء .

١٥ـ الخطّاف :

يقول الدميري « سمكة لها جناحان على ظهرها اسودان تخرج من الماء وتطير في الهواء ثم تعود الى البحر ان مصدر القزويني والدميري عن هذا السمك هو واحد . وهو أبو حامد الأندلسي . حدث في هذا السمك الذي يعود الى العائلـــة Exoeacaridae اختـــزال في حجم الفكوك وزيادة في حجم الزعانف الصدرية ، اما القول انها اسماك تطير كما يقول الدميري ، ففيه شيء من المبالغة . تبقى الزعانف اثناء الطيران منتشرة وثابتة ولايظهر عليها الخفق او الرفيف كما هي الحالة في الطيور والحشرات ، تتمكن هذه الاسماك ان تتزحلق بسباحة سريعة وقوية تحت المـــاء قبل ان تقفز فوقه وهذه العملية تساعدها على الخلاص من حوت الدلفين الذي يفترسها .

١٦ـ الخمل :

لم يمكن تشخيصه من قول الدميري فانه لايزيد عن القول « انه ضرب من السمك »

١٧– رفرف :

يذكره عندما يتكلم عن الطائر الرفراف ، ضرب من السمك لم يمكن التعرف عليه ويذكره الدميري انه ضرب من السمك .

١٨– الزامور :

يصفه الدميري عن التوحيدي على انه حوت صغير ، يألف ويستأنس لسماع اصوات الناس ، ويتبع السفن ويدخل اذن الحوت الكبير ولايخرج منه حتى يموت . يقول د . زين الدين انه النــوع Naucrater ductor وما يطلق عليه اسم السمك المرشد Pilot Fish ، قــد تكون صفة السمك المرشد هي دلالة على الألفة والاستئناس التي يذكرها الدميري ، يقول عنه قاموس المورد : سمك بحري صغير مزرق كثيراً مايرافق الأقراش والسفن . وكأنه يرشدها . هذه الاسماك زرقاء عليها خطوط طويلة داكنة ، توجد في البحار الدافئة ، اما مايذكره الدميري من انها تدخل آذان الحوت الكبير فهذا خيال وخرافة لانه لايوجد صيوان اذن ظاهر لافي السمك القرشي ولا في الحيتان . معروف ان بعض اسماك الكشاف او المرشد تختبئ تحت الزعانف الصدرية العريضة او بين القرنين في القرش المعروف بالشيطان فكثيراً مايرى هذا القرش وقد حط على قرنيه هذا السمك الصغير ليقوم له بوظيفة المرشد ، فعندما يرى الفريسة يضغط السمك على القرنين ، فينطلق القرش الشيطان نحوها والسماك الصغير يأكل من فتات المائدة بعدئذ . يمكن الاشارة ، بالمناسبة ، ان هناك نوعاً من السمك يسمى ابو الزمير لان له شوكات او لوامس على فمه تكون طويلة ولكنه يتواجد في المياه العذبة وليس بحرياً وهناك نوعان منه يعودان الى الجنس Mystw والعائلة Bagridae ورتبة الجري .

١٩– السمك :

يقول الدميري « السمك انواع كثيرة ولكل نوع اسم خاص » وهذا

صحيح وبداية حسنة لعلم التصنيف والتسمية العلمية ، ثم يقول « من انواع السمك مالايدرك الطرف اولها وآخرها لكبرها ومالايدركها الطرف لصغرها » هذا القول مبالغ فيه ، ويقول « كل يأوي الماء ويستنشقه كما يستنشق بنو آدم وحيوان البر الهواء » هناك مجموعة من الاسماك الرئوية تتمكن ان تعيش في اليابسة وتتنفس برئة ، ثم يقول « إلاّ ان الحيوان يستنشق الهواء بالأنوف ويصل بذلك الى قصبة الرئة والسمك يستنشق باصدافه» وهذا علمي وصحيح اذا كان المقصود بالاصداغ الخياشيم او الغـلاصم ، ثم يقول « فيقـوم له الماء في تولد الروح الحيواني في قلبه مقام الهواء » الماء لايقوم بذلك بل ان الاوكسجين المذاب هو الذي يقوم بالعملية وكلمة الروح هي الاوكسجين ثم يستمر « انما استُغنِي عن الهواء في اقامة الحياة ولم نستغنِ نحن وما اشبهنا من الحيوان عنه لانه من عالم الماء والارض دون عالم الهواء ونحن من عالم الارض والماء والهواء » كل هذه اقوال فلسفية ولكنها ليست علمية . ثم يقول « السمك يأكل بعضه بعضاً » وهذا صحيح ، ثم يصف السمك بقوله « معدته قريبة من فمه » وهذا صحيح لان المريء قصير ، ويستمر في القول « انه ليس له عنق ولا صوت » الجملة الاولى صحيحة ولكن ثبت مؤخراً انه للاسماك صوت يُسجّل ، ويقول « لايدخل الى جوفه هواء البتة » من المعروف انه في أكثر الاسماك العظمية توجد اكياس هوائية تساعدها على الغطس والعوم ، ثم يقول « يقول بعضهم ان السماك لا رئة له » توجد اسماك رئوية ، ويقول « صغار السمك تحترس من كباره لذلك تطلب ماء الشطوط والماء القليل الذي لايحمل الكبير . وهو شديد الحركة لان قوته المحركة للارادة تجري في سلك واحد لاتنقسم في عضو خاص » . كل هذا القول صحيح اذا اخذنا بنظر الاعتبار ترتيب العضلات المخططة في الجسم . ثم يقول « ومن السمك مايتولد بسفاد وهذا صحيح بالنسبة للقروش ولكن في الاسماك العظمية لايسفد الذكر الانثى بل يفرغ الحيامن في الماء حيث توجد البيوض

ثم يقول « ومنه مايتولد بغيره اما من الطين او من الرمل ، وهو الغالب في انواعه والغالب يتولد من العفونات » هذه الجملة كلها خطأ وهي تدل على اخذ القوم برأي ارسطو بالتولد الذاتي ويقول « بيض السمك ليس له بياض ولا صفرة وانما هو لون واحد » وهذا صحيح ، وينقل عن الجاحظ قوله « ومن السمك القواطع والاوابد كما في الطير ، فرب سمكة تأتي في بعض الفصول من السنة وتنقطع عن بعضها » هذا القول صحيح وعلمي لان الهجرة معروفة بين انواع كثيرة من الاسماك ، اشهرها السمك السليماني ، كما ينقل عن الجاحظ بعض انواع السماك والتي يقع في خطأ تسميته بعض البرمائيات والزواحف سمكاً ، ولكن ينقل عنه « ومن انواعه السمكة الرعّادة وهي صغيرة ، اذا وقعت في الشبكة والصياد ممسك حبالها ارتعدت يد الصياد ، والصيادون يعرفون ذلك فاذا احسوا بها شدّوا حبل الشبكة في وتد او شجرة حتى تموت السمكة فاذا ماتت بطلت خاصيتها » هذا القول كله صحيح اذا ان السمك الرعّاد من الاسماك القوابع ، سميكة الجذع مدورة يوجد عليها تركيبات على الناحية الباطنية وواحد على كل جانب . كل تكوين له شكل الكلية وهو في الحقيقة مولد الكهرباء والبطارية فهذه القوابع قادرة على توليد الكهرباء .

تستخدم الاسماك هذه المولدات للاصطياد والافتراس او الدفاع عن النفس . . قد تصل الصدمة الكهربائية التي تولدها السمكة الكبيرة ولاول مرة الى حد ١٠٠ فولت ولكن السمكة تتعب ولاتتمكن من توليد الكهرباء بصورة مستمرة لمدة طويلة . وينقل عن ابن سيده قوله « الرعّادة اذا قربت من رأس المصدوع وهي حية نفعته » وهذا صحيح ويذكرنا بعلاج الرجّات الكهربائية . ثم يستمر الدميري بذكر بعض الاسماك وبعض الاساطير معها والتي ليست علمية مثل سمك القلب والأبراميس والبوري ، ثم انه يعدد خواص طبية لانواع الاسماك ولحومها قد لا يكون من السهل التثبت منها .

٢٠- الشبوط :

يقول الدميري « ضرب من السمك ، دقيق الذنب ، عريض الوسط ، لين المس ، صغير الرأس قليل الاناث كثير الذكور » بعض الجملة صحيح في الوصف ولكن النسبة الجنسية ليست صحيحة . يطاق اسم الشبوط على انواع كثيرة من السمك يوجد في العراق سبعة انواع من الشبوط تعود الانواع النهرية منها الى الجنس Barbus ، كل الصفات التي يذكرها الدميري لاتستعمل في التشخيص الحديث وليست مفيدة في التصنيف فهو لم يلتفت الى الزعانف ولا الى الصدف او الرأس . يكثر الشبوط الاعتيادي في نهر دجلة كمـا يقول الدميري وهـو النـوع المعروف Barbus grypus ، يظهر انه غير موجود في مصر اذ لايذكره القُفل ، ويعطيه د . زين الدين الاسم Carp وهو اسم عـام جداً يعطي لكل انواع العائلـة Cyprinidae والتي تشمل ايضاً البني والقطّان والبرس والحمري بالاضافة الى الشبوط .

٢١- الشوط :

لم يكن تعريفه من وصف الدميري اذ يقول انه ضرب من السمك فقط ويؤكد انه ليس من الشبوط .

٢٢- الشيم :

ضرب من السمك ويسمى Scad . يقـول د . زين الدين انه Horse macharel وهذا من مجموعة اسماك العائلة Carangidae وهي اسماك تنتشـر في مناطق عـديدة بحرية اسـتوائية ومعتدلـة ، اسم النـوع Trachurus trachurus .

٢٣- الصرصران :

يقول الدميري « سمك املس معروف» هذا الوصف لايكون للتشخيص ، هناك العـديد من الانواع تعـود للمجموعة Telcastei كلها مستطيلـة

وعديمة الاطراف . النوع المعروف في العراق Muraenesox sincreus وهو من الاسماك الثعبانية الملساء .

٢٤- الصلنباج :

يقول الدميري « سمك طويل دقيق » ان هذا الوصف ليس كافياً للتشخيص ، قد يكون هو الانكليس او انه قد يعود للعائلة Belonidae (عائلة السمك المُخيَط والتي تضم انواعاً تسمى محلياً مُخيَط النبي او الحالول والنوع المعروف في العراق هو Strongy lura strongylura . ان هذا الاسم قد يعني نوعاً آخر من اسماك المياه الداخلية تعرف في العراق باسم سلبوح السيان حسب تسمية د . نادر وهو المعروف علمياً باسم Mata cembelus halepensis ويسميه العزّي M. mata ، يصل بطوله الى ٥٠ سم وقد يسمى احياناً السمك الثعباني الشوكي ، ولكنه ليس من هذه المجموعة ، يتميز بوجود اشواك على طول الظهر الجسم طويل ودقيق ، الرأس طويل بخطم واضح وبدون زعانف حوضية .

٢٥- الصير :

يقول الدميري « انه سمك صغير » مشهور في مصر وتعمل منه أكلة خاصة تسمى الصحناة والمرّيء كما يعملون منه بعض المخللّات والصلصات . يقول د . زين الدين انه Engraulis boelema ويعود الى العائلة Engraulidae وهي اسماك صغيرة عادةً أقل من ١٥ سم بالطول فمها كبير وفكها الاسفل قصير فتظهر وكأنها بدون حنك . ان هذه المجموعة عبارة عن اسماك بحرية ، يسميها الدّهام اسماك البلم ويقول انها صغيرة عظيمة الاهمية في تغذية الاسماك البحرية المفترسة والطيور بعضها يدخل المياه العذبة ، يوجد من هذه العائلة في الخليج العربي والعراق جنسان يضمان تسعة انواع ، احدها يسمى سمك مفجّج اطوالها لاتتعدى ١٠ سم وانواع اخرى تسمى سمك شيفة او ابو نجيح قد تصل باطوالها الى ١٥ سم .

٢٦- الطرسوج :

يسميه الدميري حوت بحري وقد يقصد به سمك . يقول اذا أُدمِنَ على أكله اورث العين غشاوة ، قد يكون هذا السمك ساماً اذ ان من المعروف ان هناك كثيراً من الاسماك سامة ولكن ليس بلحمها بل بسبب غدد تقع تحت اشواكها او بسبب دمها .

٢٧- القرش :

هو مانسميه في العراق الكوسج . ان الكواسج كثيرة الانواع وتشكل بحد ذاتها مجموعة تقع تحت صنف يسمى الاسماك الغضروفية ، وتختلف بحجومها منها الصغير ومنها الكبير ، وبعضها يكون كبيراً جداً مثل قرش الحوت Rhincodos typus يصل بطوله الى ١٥ م ويزن ١٢ طن عنـدما يكون طوله ٦ر١١ م ، لذا فهو قد يكون خطراً على السفن خصوصاً في الازمان القديمة عندما كانت السفن صغيرة نسبياً وهو معروف في البحر العربي والخليج العربي . يقول الدميري « انه دابّة عظيمة من دواب البحر تمنع السفن من السير في البحر وتدفع السفينة فتقلبها وتضربها فتكسرها » وينقل عـن ابن سيده « انها دابّة في البحر لاتدع دابّة الا أكلتها ، فجميع الدواب تخافها » ونقل عن المطرزي « انها سيدة الدواب البحرية واشدها . . » فكل ما ذكره الدميري وماستشهد به من غيره عن خطورة هذا النوع من الكواسج ليس بالامر الغريب وليس مبالغاً فيه كثيراً ، فقد ذكر الدكتور الدهام مايلي : هناك انواع متعددة من القرشيات تهاجم الانسان عندما يكون في الماء وخصوصاً عندما يكون جريحاً اذ ان خروج الدم يثير غريزة الجوع بدرجة كبيرة وتعتبر القروش الكبيرة الحجم أكثرها خطراً . هناك قصص مدونة كثيرة في بقاع مختلفة من العالم حول مهاجمة القروش للانسان يستنتج منها ان هناك خطراً على السبّاحين والبحارة من هذه الحيوانات وخصوصاً في المناطق الدافئة

من العالم ومنها مياه شط العرب ومياه الخليج العربي وذلك لوجود عدد من الانواع المعروفة بشراستها ومهاجمتها للانسان ، وذكر د . رجب سعد السيد ان احد القروش الوطواطية ارتطم بحبل مرساة لقارب في محطة تجارب الغردقة فالتف الحبل حوله او اشتبك به بشكل ما فلما فرّ هارباً سحب القارب الى مسافة بعيدة .

٢٨ـ القطّا :

قد يكون من الكواسج او من الحيتان وذلك لان عظم الضلع « يتخذ منه قنطرة » على حد قول الدميري وعلى الاكثر انه من الحيتان لان الضلوع هنا تكون اقل عدداً ولكنها أكبر واضخم ثم وجود شحم فيها ايضاً يدل على انها من الحيتان اذ ان من المعروف ان الحوت يتجمع فيه الشحم بكثرة . يذكر الدميري عن القزويني « انه سمكة عظيمة وان عظم ضلعها يتّخذ منه قنطرة يعبر عليها الناس » .

٢٩ـ القنفذ البحري :

ينقل الدميري الوصف عن القزويني » مقدمه يشبه مقدم القنفذ البري ومؤخره يشبه السمك ، طيب اللحم جداً » ثم ينقل عن ابن زهر من ان ريشه لين يشبه الشعر .

لهذه التسمية وجهان ، فهناك مجموعة من الحيوانات تعود الى شعبة شوكيـة الجلـد Echinodermata تسـمى قنافـذ البحر Urchins . اما الوجه الثاني فان هناك اسماكاً تسمى قنافذ البحر ، وما اثبته الدميري من الوصف يدل على انه يقصد السمك وليس الحيوانات شوكية الجلد . يقول العزّي (١٩٧٧) انه السمك المعروف بالشيهم البحري (أي القنفذ البحري ويعود للعائلة Diodontidae وهو معروف بقابليتـه على الانتفاخ . هذه الاسـماك ذات اجسام مختلفة مستـديرة او كروية فكوكها قصيرة ،

قوية ، قواطعها قوية ، صدفها شوكي او عظمي وهذا ينطبق على قول ابن زهر من ان ريشها يشبه الشعر ، تكثر هذه الاسماك في المياه الحارة .

٣٠- قوقى :

يقول الدميري « انه صنف من الاسماك عجيب جداً ، على رأسه شوكة قوية يضرب بها » . يعتبر العزّي (١٩٧٧) و د . زين الدين (١٩٦٥) ان قوقي من الحيتان ، ولكن يظهر ان الدميري يتكلم عن شئ آخر غير الذي عناه الاستاذان ، فالعزّي يقول ان هذا الحوت يعيش في القطب ، فكيف اذن صار مألوفاً للملاحين في المناطق الحارة ؟ قد يكون القوقي سمكة او كوسج ابو سيف او سـمكة ام رمح من العائلة Xiphiidae التي تعيش انواعها في المناطق الاستوائية والمعتدلة ، تصل بوزنها حوالي ٥٠٠ كغم وبطولها ٥ م ، معروف عنها انها تنطح السفن وهذا قريب مما نقله الدميري ، لايعرف كثيراً عن حياتها . ينقل الدميري قصة يأخذها من الملاحين تقول « ان هذه السمكة اذا جاعت رمت نفسها الى شيء من الحيوان فيبتاعها ثم انها تضرب بشوكتها احشاءه حتى تهلكه وربما تخرج من شق بطنه تتغذى منه ، واذا قصدها قاصد بالماء تضربه بالشوكة فيهلك . ولعلها تضرب السفينة بالشوكة فتخرقها وتغرق اهلها وتأكل منهم ، والملاحون يعرفون ذلك فيجعلون على السفينة جلد تلك السمكة فأنها لاتعمل شوكتها فيها » :

ان في هذا القول شيئاً من القصص غير العلمي ، لم يذكر الدميري حجم السمكة كي يساعدنا على تفهم دخولها في بطون الحيوانات ، اما انها تضرب السفن وتضرب من يقصدها فهذا ليس بالشئ الغريب ، وقوله ان جلدها لاتنفذ فيها شوكة، امر فيه شك لاننا في الحقيقة لا نعرفها جيداً .

٣١- الكنعد :

يقول الدميري انه ضرب من السمك ، هذا لايكفي للتشخيص ، ولكن

يوجد سمك في الخليج العربي ويباع في المنطقة وقد أكلتُ منه بالرياض وكان لذيذ اللحم وغالي الثمن ويباع بالقطع . لم يذكر د . زين الدين اسماً انكليزياً او علمياً لهذا النوع .

٣٢– الكندارة :

يقول الدميري انها سمكة لها سنام ، معروفة عند أهل البحر . يقول د . زين الدين انها النوع المعروف باسم Cartharus lineatus .

٣٣– الكوسج :

يقول الدميري « سمكة في البحر لها خرطوم كالمنشار ، تفترس وربما التقمت ابن آدم وقصمته نصفين وهي القرش . . . ويقال انها اذا صيدت بالليل وجدوا في جوفها شحمة طيبة وان صيدت نهاراً لم يجدوها » ثم ينقل عن القزويني « الكوسج نوع من السمك وهو في الماء أشر من الاسد في البر . يقطــع الحيوان في الماء بأسنانه كما يقطــع السيف الماضي . . . . رأيته وهو سمكة مقدار ذراع او ذراعين واسنانه كأسنان الناس تنفر منه الحيوانات وله اوانٌ معين يكثر بدجلة البصرة .

يسمي الدهام هذه الكواسج بالقوبعيات وهي تشكل رتبة من الاسماك الغضروفية قائمة بذاتها وكذلك يتعمق بتصنيفها فيرجعها الى رتبة القوبعيات المنشــارية الثانوية Pristoidei شــكلها اقرب الى القرشيات منها الى القوبعيات ، الخطم ممتد الى الامام بشكل نصل طويل مسطح ومزود باسنان قوية على الجانبين ويشــبه المنشار . يوجد الجنس Pristis في العراق والخليج العربي وانواعه مستطيلة الجسم والخطم طويل جداً ، يصل الى ستة أمتار ، تدخل احياناً المياه العذبة ، يضم هذا الجنس ثلاثة انواع في العراق والخليج العربي .

ان الدميري يتكلم عن القوبعيات ذات المنشـــار ولكنه عندما ينقل عن القزويني فانه يبدأ يتكلم عن القروش لانه لا يعيد ذكر المنشار . فهو يقول اولاً ان الكواسج سمكة في البحر لها خرطوم كالمنشار تفترس وربما التقمت ابن آدم وقسمته نصفين وهي القرش ويقال لها اللخم . . . » ثم ينقل عن القزويني فيقول « الكوسج نوع من السماك وهو في الماء شر من الاسد في البر ، يقطع الحيوانات في الماء باسنانه كما يقطع السيف الماضي . . . وهو سمكة مقدار ذراع او ذراعين واسنانه كأسنان الناس تنفر منه الحيوانات البحرية وله اوان معين يكثر فيه بدجلة البصرة » . فهذا القول المنقول عن القزويني لا يذكر الخطم والمنشار وينطبق على كل الكواسج فهي شرسة ومفترسة وقوية . . . الخ وليس فقط القوبعيات .

ان القوبعيات في الخليج العربي والعراق تسمى كوسج ابو منشار ، وفي الكويت ســيافة وبالامارات ابو سيــف او سيافة . القوبــع المنشاري المدبب Pristis Guspiclatus يدخـــل مصب شـــط العرب وهـــو ما يسميه الدميري دجله البصرة ، النوعان الآخران نادران في الخليج العربي ويكثر في البحر العربي ووراءه . . لحوم هذه الانواع صالحة للأكل وللاستهلاك البشري وتؤكل في كثير من الاقطار ولكن ليس في بلدان الخليج العربي . ان الدميري يذكر اخطار هذا الكوسج وما يقوله صحيح فهي مزودة بسلاح حاد هو المنشار المسنن الجانبين ويستطيع بواسطته ان يضرب جانبياً بقوة كبيرة ، لذا يجب معاملة هذا الحيوان بخبرة اثناء الاقتراب منه واثناء الصيد مهما كان حجمه وكثيراً ما رأى الكاتب المنشار عند الدراويش الذين كانوا يؤمون كربلاء في ايام شهر محرم فيعرضونها في التكايا .

يقول الدميري « انها اذا صيدت في الليل وجدوا في جوفها شحمة طيبة وان صيدت نهاراً لم يجدوها (اي الشحمة) » ليس هناك اساس لهذا القول عدا ان جميع اللحم صالح للاكل كما يقول الدكتور الدهام .

٣٤ ـ اللياء :

يقول الدميري « سمكة في البحر يُتّخذ من جلدها التّرسة فلا يُحيك منها شيء ولا تقطع » هناك كثير من الاسماك والكواسج والقروش والحيتان تكون ذات جلود قوية وبعد الدبغ والمعاملات الكيماوية تستعمل في صناعة الحقائب والاحذية ، فليس غريباً ان يكون جلـد هذا النوع من السمك قوياً بحيث يستعمل بشكل ترس ، ولكن لا يمكن الاهتداء الى نوع السمك من هذا الوصف .

٣٥ ـ المنشار :

يقول الدميري « تدخل في عموم السمك » وينقل وصفها عن القزويني « سمكة في بحر الزنج كالجبل العظيم ، من رأسها الى ذنبها مثل اسنان المنشار من عظام اسود كالابنوس ، كل سن فيها كذراعين وعند رأسها عظمان طويلان كل عظم بمقدار عشرة اذرع ، تضرب بالعظمين ماء البحر يميناً وشمالاً فيسمع له صوت هائل . يخرج الماء من فيها وأنفها فيصعد نحو السماء ثم يعود الى المركب رشاشة كالمطر اذا دخلت تحت سـفينة كسـرتها » . يعتبرها د . زين الدين النوع Pristis antiguorum ، لكن وصف الدميري لهـا لا يدل على انهـا من هذا الجنس . . . يضع الدميري الخرطوم او المنشار على الظهر من الرأس حتى الذنب ، فهـو ليس اذن منشـار كما جاء وصفـه في الجنس Pristis قد يكون هذا المنشار هو القرش ابو عباءة Manta – Ray والمعروف بالاسم Manta ehrenbergi وهـو قرشـس كبير الحجم يعيش عـلى سـطح الماء ويسمى أيضاً شيطان البحر الكبير ويسمى في العراق والكويت لخمة (والتي يعتبرها الدميري نوع من القروش) وفي الامارات يسمى قرش . في هذا القرش تكون الزعانف الرأسية بارزة الى الامام ، يصل عرض القرش ستة أمتار ويزيد على ما يزيد عن الطن بالوزن . . . فقول الدميري ان المنشار سمكة في بحر الزنج كالجبل العظيم ، من رأسها الى ذنبها مثل اسنان المنشار من عظام

سود (فهي ليست منشاراً بالمعنى الذي مرّ في القوبعيات) وعند رأسها عظمان طويلان ، قد تكون هذه هي الزعانف الرأسية البارزة الى الامام ، يقول الدميري انه يوجد في بحر الزنج وبالفعل فهو معروف بوجوده في البحر الاحمر ، اما ان الماء يخرج من الفم والانف فهذا القول قد يكون صحيحاً لان بعض القروش مثل القرش الملاك تتنفس بأخذ الماء من الخياشيم وتخرجه من الانف في المقدمة.

٣٦ ـ الهرهير :

يقول الدميري « نه نوع من السماك » فايس من السهل التعرف عليه . ينقل عن المبرد انه مركب من السلحفاة ومن اسود سالخ . وهذا الكلام ليس صحيحاً . . ثم يستنتج الدميري انه مشترك بين الحية والسمك ، قد يكون هذا الكلام صحيحاً لو تزاوجا ، ولكن شكلاً ، اذ قد يكون من السمك الثعباني ، حيث شكله مثل الثعبان ولكنه من الاسماك وليس ساماً . وقد يكون هو الجلكي وهو من الحبليات مستديرة الفم ، عظمه اقل رخاوة من الغضروف والدم غير كامل .

٣٧ ـ الهف :

يقول الدميري « انه جنس من السمك الصغار » ويقول « انه هو الحساس » وقد مرّ ذكره .



نــعـــي

العضوين العاملين الاستاذ طه باقر والدكتور فخري محمد صالح

فقد المجمع العلمي العراقي في اوائل سنة ١٩٨٤ عضويه العاملين الاستاذ طه باقر النائب الاول لرئيس المجمع ، والدكتور فخري محمد صالح الدباغ ، وكان لفقدانهما وقع اليم في نفوس اعضاء المجمع ومعارفهم لما تحايا به من خلق قويم ، وجدية في العمل ، ودماثة في التصرف ؛ وفقد الفكر العربي بوفاتهما علمين اغنياه بأبحاثهما الرصينة ، وانتاجهما الثر ، مما سيعرف منه المعاصرون والاجيال القادمة ، وسيبقى ذكرهم حياً خالداً على مر الزمن .

وقد نعت رئاسة المجمع الفقيدين الكريمين للجهات المجمعية والعلمية في ارجاء الوطن العربي ، ووصلت الى الرئاسة رسائل عزاء يعبر فيها مرسلوها عن تقديرهم لكل من الفقيدين ، وأساهُم للخسارة بوفاتهما ، وعزائهم للمجمع ولأسرتيهما .

وعقد المجلس جلسة تأبين لكل منهما ، القى فيها رئيس المجمع وبعض اعضائه كلمات اشادوا فيها بالفقيدين ، وبينوا الخسارة التي حلت بفقدهما .
وننشر هنا ماقيل في كل من الجلستين .

كلمة رئيس المجمع الدكتور صالح احمد العلي

في جلسة مجلس المجمع التأبينية للاستاذ طه باقر

يعزّ عليّ ان اقف مؤبناً للزميل العضو العامل ونائب الرئيس في المجمع العلمي العراقي المرحوم الاستاذ طه باقر الذي وافاه الاجل المحتوم يوم الثلاثاء المصادف ٢٨ - ٢ - ١٩٨٤ بعد مرض عضال اقعده عن العمل اشهراً ، وبوفاته ختمت لعضو فاضل حياة كانت غنية بإسهاماتها في خدمة ثقافة الامة والدراسات العلمية التي كشفت عن كثير من المطمور ، وعرّفت كثيراً من المجهول ، ووضحت كثيراً من الغامض من تاريخ امتنا وانجازاتها في الماضي البعيد مما كان له الأثر الاكبر في تطور البشرية وتقدم الانسانية عموماً ، وفي تعزيز وحدتنا وانماء حضارتنا وثقافتنا واغناء حياتنا .

ولد الفقيد الاستاذ طه باقر في سنة ١٩١٢ في الحلة الفيحاء على مشارف اطلال بابل ، وفي منطقة كانت منذ اقدم الأزمنة موطن استقرار ومهد حضارة ، وقواعد مدن اتخذتها معظم الدول الكبيرة مقراً لها ، فكانت مركزاً فيه نما العمران وازدهر الفن والفكر ، ونشطت التيارات السياسية التي لم ينحصر اثرها في اقليم ضيق، وانما امتد إلى ارجاء واسعة من العراق والبلاد الأخرى.

أتمّ المرحوم الاستاذ طه باقر دراسته الابتدائية والثانوية في مدينة الحلة ، ثم ارسل ببعثة حكومية إلى جامعة شيكاغو في الولايات المتحدة الامريكية والتحق بالمعهد الشرقي ، وهو من ابرز مراكز دراسة تاريخ الحضارات القديمة ، فدرس في هذا المعهد لغات اهل العراق القدماء وكتاباتهم ومعالم حضاراتهم ، ونهل العلم من جهابذته المختصين الذين يضمهم ذلك المعهد ، وحصل على شهادة الماجستير في سنة ١٩٣٨ ؛ ثمّ عاد الى العراق ليعمل في مديرية الآثار القديمة ، وفي المتحف العراقي بالذات خبيراً فنياً (١٩٣٨ - ١٩٤١) ثم اميناً للمتحف (١٩٤١ - ١٩٥٣) ثم معاوناً لمدير الآثار العامة (١٩٥٣ - ١٩٥٨) فمديراً للآثار العامة (١٩٥٨ - ١٩٦٣) .

وانتقل في عمله بعد ذلك الى ليبيا حيث قضى فيها اربع سنوات (١٩٦٣ - ١٩٦٧) خبيراً ومستشاراً لحكومتها في الآثار ، ومشرفاً على التنقيبات ، ومنظماً لمتحفها .

لم يقصر الفقيد المرحوم عمله على الآثار ودراستها وانما امتد نشاطه الى الحياة الجامعية والانتاج العلمي ، فكان عضواً في المجلس التأسيسي لجامعة بغداد (١٩٥٧ - ١٩٥٨) ثم عضواً في مجلس الجامعة (١٩٥٩ - ١٩٦٣) ونائباً لرئيسها (١٩٦٠ - ١٩٦٣) وقام بتدريس تاريخ وحضارة العراق القديم في دار المعلمين العالية وكلية التربية قرابة العشرين سنة ، كما درّس في قسم الآثار لكلية الآداب منذ تأسيسه في سنة ١٩٥١ الى سنة ١٩٦٣ ؛ ثم تابع التدريس في جامعة بغداد بعد عودته من ليبيا في سنة ١٩٦٧ حيث أُعيد تعيينه في كلية الآداب فكان يدرّس في قسم الآثار ويشرف على اعداد بعض الطلاب رسائلهم للماجستير ؛ وظلت صلته الوثيقة بذلك القسم واعماله الى ان اقعده المرض عن الحركة .

وكان طوال عمله في العراق يحظى بتقـــدير الجهات المعنية بشؤون الثقافة ، فكان عضواً في عدد من اللجان التي تؤلفها وزارة الثقافة لدراسة او انجاز مايتعلق بأبحاث تاريخ العراق القديم .

وشارك خلال عمله في مديرية الآثار بالتنقيبات الآثارية في تلول الدير وعقرقوف وحرمل والضباعي ، وفي واسط ، ودوكان ، وشهرزور . ونشر تقارير عن حفريات تلول الدير وعقرقوف وحرمل كما نشر نصوصاً مسمارية من مكتشفات هذه الحفريات ؛ وزوّد مجلة سومر بعدد من المقالات منها تراجم نصوص سومرية ، ومنها دراسات في جوانب من حضارة تاريخ العراق القديم .

ونقل الى العربية عدداً من الكتب منها كتاب « الرافدان » لسيتون لويد ، وموجز كتاب « بحث في التاريخ » لارنولد توينبي ، و « من الواح سومر »

لكرايمر ، كما ترجم فصولاً من كتاب « تاريخ العلم » لجورج سارتون وشارك في تأليف سلسلة النشرات التاريخية التي اصدرتها مديرية الآثار العامة بعنوان « المرشد الى مواطن الآثار والحضارة » . ويظهر كتابه « مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة » مجمل علمه الواسع ونظرته الشاملة الى التاريخ القديم للعراق والاقاليم المجاورة ؛ كما يتجلى في كتابه الذي طبعه المجمع بعنوان « من تراثنا اللغوي » واهتمامه بما لحضارة العراق القديم من آثار حية تتجلى في المفردات اللغوية التي كان عدد من الناس يعتقدها دخيلة على العربية ، ومن اصول اعجمية .

ان اعضاء المجمع العلمي العراقي يقدّرون ماتميز به زميلهم الفقيد الاستاذ طه باقر من الدماثة والتواضع ، والحرص على اداء الواجب ، والاخلاص في التعاون ، وهي صفات تعزز ماعرف عنه من اطلاع واسع وعلم غزير وتفكير سليم ؛ وان وفاته خسارة للعلم وللمجمع ولا يخفف من وقعها الاليم غير مانشر من ابحاث وما ألّف من كتب .

رحم الله الاستاذ طه باقر وأنزله فسيح جناته « يا ايها النفس المطمئنة ارجعي الى ربكِ راضية مرضية ، فادخلي في عبادي وادخلي جنتي » صدق الله العظيم .



كلمة الدكتور جميل الملائكة

في تابين الاستاذ طه باقر

رحم الله الاستاذ طه باقر .. كانت وفاته صدمة شديدة الوقع على نفوسنا، وكانت خسارتنا به كبيرة عرفته منذ اكثر من عشرين عاما ، وزاملته في اروقة الجامعة والمجمع ، فوجدت فيه مثال التواضع ، والحلم ، والخلق الدمث ، ورحابة الصدر ، وحسن المعاشرة .

وكان مولعا بموضوع اختصاصه فكانت حياته حافلة بالمثابرة والبحث الدؤوب والتنقيب والتدريس ، ولم يعرف في دراساته ومتابعاته الكلل .

وقد عرفه هذا العصر في الذروة بين المؤرخين والآثاريين في العراق والبلاد العربية ، فكان دقيقاً في ابحاثه التي اتبع فيها الطرق العلمية فلم يبحث في موضوع الا توخى فيه التمحيص والشمول والاحاطة . ويعد نتاجه مما تعتز به مكتبتنا العربية، وفيه كل الدلائل على سعة الاطلاع وعمق البحث والاستقصاء.

كان ابو حامد من الاعضاء النشطين في لجنتين للعلوم والحضارة كنت زاملته فيهما أمدا طويلاً ، وما كان ينقطع عن جلسات المجمع او لجانه ، الا في الآونة الاخيرة التي اقعده فيها المرض .

ولم يكن من طبعه التكلف او التزمت في تقديم آرائه ، ولا ارادة تعقيد الامور او إثارة الجدل . وفي كل ذلك كانت روح المرح والفكاهة تلازمه فكان ظريف الحديث يلطف جو الاجتماعات بين الفينة والفينة ببعض ملحه . وقد اسهم في مؤتمرات عالمية للآثار والتاريخ حضرها المختصون من العرب والمستشرقين فكان مبرزا فيها ويعد حجة في اختصاصه . ومثل ذلك يقال في الجمعيات والهيئات العلمية التي شارك فيها أو نال عضويتها .

وللاستاذ طه باقر ابحاث اصيلة نشر الكثير منها في مجلة « سومر » التي تعد من المجلات الآثارية المهمة ، وكان يتقن اللغة الانكليزية متمكنا في

الترجمة العلمية فترجم عددا من الكتب التاريخية والآثارية المهمة الى اللغة العربية ، وكذلك نشر ترجمات لنصوص ادبية في اللغات القديمة ، وقدم كل ذلك بلغة عربية سلسة وعبارة سهلة واضحة .

اما مؤلفاته فقد زودنا منها بذخيرة نفيسة من المادة التاريخية وسار في التعريف بتراثنا القديم شوطا بعيدا وأضفى عليه من جهوده ومتابعاته الخاصة ، وأسهم في تصحيح الكثير من المفاهيم عن تأريخنا القديم ، وربط بين نشأة العلوم والمعارف في المدنيات القديمة وأثرها في العلوم الحديثة .

ولعلي اكتفي بالاشارة الى واحد فقط من مؤلفاته وهو المعنون « مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة » ، فقد بذل في اعداد هذا الكتاب جهودا رائعة ، ولم يكن يكلّ من الاطلاع على ما يستجد من الكشوف والمعلومات الآثارية او المساهمة في التنقيبات والتحريات التي كان يؤمن بها ايمانا جازما لحل الكثير من القضايا والمسائل الغامضة التي تكتنف تاريخ حضارة عراقنا القديم .

ومن هنا كانت اعادته النظر في هذا الكتاب الذي اصدر طبعته الاولى عام ١٩٥١ ، ونقحها عام ١٩٥٥ ، واصدر الطبعة الثالثة ، الاخيرة عام١٩٧٤. ولم يأل جهدا في التوثيق والاستشهاد بالمراجع والمظانّ الكثيرة التي لم تكد تخلو صفحة في الكتاب من الاشارة اليها . فبات سفرا جليلا لا يستغني عنه الباحثون والدارسون لهذا الموضوع فضلا عن عامة المثقفين .

لقد حرم العراق من عِلم عَلَم من أعلام الآثار وهو احوج ما يكون اليه . وبات مكان الاستاذ طه باقر قفراً موحشاً بين زملائه ومحبيه ، ولكن عزاءنا فيه بما ترك من آثار ومن ذكرى طيبة باقية من بعده .

نسأله تعالى ان يجزيه خير الجزاء على ما احسن من عمل ، وان يتغمده بواسع رحمته ويلهم اسرته واصدقاءه ومحبيه جميل الصبر .

كلمة الاستاذ كوركيس عواد

في تأبين الاستاذ طـه باقر

سيدي الرئيس الجليل

السادة الزملاء الكرام

يعز عليّ كثيراً ، ان اقف هذا الموقف ، لأُورد نبذة عن حياة زميلنا الراحل الاستاذ العلامة طه باقر ، الذي وافاه الاجل في الثامن والعشرين من شباط ١٩٨٤ .

كان طه باقر ، من اعلام البحث والتحقيق في العراق : امضى شطراً حسنا من حياته في التأليف والتدريس والتنقيب عن الآثار . وكان من اعضاء مجمعنا العاملين . وانتخب نائباً لرئيس المجمع .

ولكنه منذ نحو من سنتين ، ابتلي بمرض عضال ، حال بينه وبين ما كان منوطاً به من اعمال . فلم يعد يقوى على حضور جلسات المجمع ، والمشاركة في لجانه منذ اوائل العام الماضي .

ولد طه باقر في مدينة الحلة سنة ١٩١٢ . وتلقى دراسته الابتدائية والثانوية فيها . ثم اوفدته وزارة المعارف في بعثة لدراسة « علم الآثار » في الولايات المتحدة . فرحل اليها يتلقى هذا العلم على اساتذة المعهد الشرقي في جامعة شيكاغو ولبث هنالك بضعة اعوام ، نال خلالها حظاً حسناً من الوقوف على اللغتين السومرية والأكدية ؛ وتمكن من معرفة تاريخ العراق القديم ، ومن تتبع نتائج التنقيبات الأثرية التي جرت في سائر انحائه .

وعاد من بعد ذلك الى العراق سنة ١٩٣٨ ، متزوداً بفيض من ذلك العلم الذي لم يكن شائعاً في ذلك الزمان بين الدارسين والمثقفين من أبناء العراق .

ولما عاد الى العراق ، عُيّن في مديرية الآثار العامة ، ولبث فيها نحواً من ربع قرن من الزمان . فكان اولا ملاحظاً فنياً ، فأميناً للمتحف العراقي ،

ثم مديراً عاماً للآثار . ودرس التاريخ القديم والآثار في جامعة بغداد ، فتخرج على يديه عدد من الآثاريين العراقيين الذين برزوا في هذا الميدان العلمي .

وتولى شؤون الحفر والتنقيب في جملة مواضع أثرية في العراق ، ولا سيما في تل حرمل ، وعقرقوف .

وله في حقل التأليف سهم صائب . فصنّف كتباً ورسائل ونشرات كثيرة ، تتناول بالبحث موضوعات اثرية وتأريخية وحضاريّة ، يعدّ بعضها بكراً في اللغة العربية .

وله في المجلات دراسات ومباحث جليلة الشأن . فقد نشر في مجلة « سومر » و « مجلة المجمع العلمي العراقي » و « مجلة آفاق عربية » وفي غيرها .

ويتعذّر عليّ في مثل هذا المقام ، سرد اسماء مؤلفاته ، بعد ان سبق لي التنويه بمعظمها في كتاب « معجم المؤلفين العراقيين » (٢ بغداد ١٩٦٩) (ص١٧٣ — ١٧٤) وتحسن الآشارة الى ان بعض هذه الكتب من تأليفه ، وبعضها مما نقله من الانكليزية الى العربية .

وكان السيد رئيس المجمع العلمي العراقي ، قد عهد اليه ، منذ اكثر من سنتين بترجمة كتاب ألفه العالم الاثاري الشـــهير كامبل تومسن ، بعنوان
Thompson (C.) , Dictonary of Asstrian Botany
فلقي هذا التكليف منه رغبة صادقة ، واغلب الظن عندي ، ان صحته المتردية اقعدته عن النهوض بنقله الى العربية .

ولابد لي من الاشارة في هذه العجالة ، الى امر يستحق الوقوف عنده في حياة الاستاذ طه باقر .

فحين عاد سنة ١٩٣٨ من دراسته علم الآثار في اميركة ، على ماسبقت الاشارة اليه ، كنت يومذاك اميناً لمكتبة المتحف العراقي . فوجدت فيه مطالعاً عظيماً ، ولا اغالي في القول انه من اصدق اصدقاء مكتبة المتحف ، فاطلع على كثير مما تزخر به من امهات المجلات والكتب الاجنبية المتصلة بعلم الآثار .

كانت مكتبة المتحف في ذلك الحين ، تضم جملة لابأس بها من المصادر المتعلقة بالآثار العراقية . ثم حظيت بهدية سنية نادرة ، قوامها مكتبتان نفيستان للغاية تعودان الى اثنين من كبار علماء الآثار العراقية في اميركة : احدهما موريس جاسترو (Morris Jastrow (1861 - 1921) ، وثانيهما وليم هيس وارد (William Hayes Ward (1835 - 1616) وتضم هاتان المكتبتان بضعة آلاف من المجلدات النادرة الباحثة في الآثار السومرية والبابلية والآشورية وغيرها .

أقبل طه باقر على هذا المعين الصافي ، وصار ينهل منه . وقد كان يتصف بمزايا فائقة تعينه في هذا المضمار العلمي . فكان يطالع كثيراً ويهضم مايقرأ ، ويدوّن المقتبسات والنصوص باسلوب يعينه حين يبتغي البحث والكتابة .

ولن اختم كلمتي دون القول ان مجال الحديث عن الفقيد الراحل الاستاذ طه باقر ، متسع الجوانب ، وماذكرته في هذه النبذة ، انما هو لمحات خاطفة عنه .



كلمات رثاء الدكتور فخري محمد صالح

في الجلســة التأبينية لمجلس المجمــع

كلمة الدكتور صــالح احمد العلي رئيس المجمع

بقلب مفعم بالحزن والاسى ، وبمشاعر يعجز اللسان عن التعبير عنها انعي الزميل الفاضل والعضو العامل الدكتور فخري محمد صالح الدباغ الذي اختطفته يد المنون اثر حادث مفجع أودى بحياته وهو في طريق عودته من اجتماعات المجمع الى الموصل،مساء يوم الاربعاء المصادف ١٨ – ١ – ١٩٨٤، وبوفاته فقد المجمع عضواً نشطاً خادم العلم والثقافة ، وخسر عالماً منتجاً وهو في غمرة الاغناء والعطاء .

ولد الفقيد سنة ١٩٢٩ في الموصل حيث قضى سنى حياته الاولى ، وأتمّ منها شهادة البكالوريوس في الطب والجراحة ، واكمل بعدها الاختصاص في انكلترة ، فحصل في ذلك على دبلوم في الطب النفساني ، وعلى عضوية وزمالة الكلية الملكية للاطباء النفسانيين في انكلترة .

وقد مارس عملــه الطبي في عدد من المستشفيات ثم استــقر في كلية الطب بجامعة الموصل فعمل في التدريس والادارة .

وكان معاوناً للعميد ، ومساعداً لرئيس الجامعة ، وعميداً لكلية الطب ووكيلاً لرئيس الجامعة فيها ، ثم عمل فترة في وزارة التعليم العالي والبحث العلمي مديراً عاماً لمركز التعريب ، عاد بعـــدها الى جامعة الموصل ليعمل استاذاً للطب النفساني ورئيساً لشعبة الموضوع في كلية الطب .

وكان عضواً في عـــدد من الجمعيات العلمية في العــراق ، وفي بعض الجمعيات العلمية في العلوم النفسية في انكلترة .

وأسهم في الانتاج الفكري في ميدان اختصاصه ، فنشر ثلاثة عشر كتاباً بالعربية ، وثلاثين مقالاً معظمها بالعربية ، وبعضها بالانكليزية ،وأعد للنشر مقداراً كبيراً من الابحاث نرجو ان يتم نشرها في القريب .

ان العمل العلمي للفقيد الدكتور فخري الدباغ لم يقتصر على البحث والتأليف ، وانما امتد الى ميادين التدريس والادارة والتوجيه ، وكان في كل اعماله حريصاً على الامانة في البحث والدقة في التعبير ، والعناية بتحقيق المستوى الرفيع في معالجة الجوانب الجديرة بالبحث في ميدان اختصاصه .

تم اختيار المرحوم الدكتور فخري الى المجمع العلمي العراقي عضواً عاملاً فيه في سنة ١٩٧٨ واظهر حرصاً على العمل لتحقيق اهدافه ، وشارك في مناقشات مجلســه ، وفي اعمــال بعض لجــانه ؛ والقى ابحاثاً عن الطب الروحاني في لجنة التراث العلمي العربي ، وكان له دور متميز في اعداد مصطلحات علم النفس ، بالاضافة الى مساهمته في اعداد مصطلحات علم الحيوان . ويذكر زملاؤه له الحرص على الانتاج العلمي ، والعناية بالتدقيق ، والايمان بالعروبة وقدرة لغتها على مواكبة التقدم العلمي الحديث ، مع طبع هادئ ، وروح سمحة ، وخلق رضي ، وحب للخير .

ان وفاة الدكتور فخري خسارة للمجمع وللعلم في العالم العربي ، ووقعها اليم في نفوس زملائه واخوانه ، رحمه الله واسكنه فسيح جناته وإنا لله وإنا اليه راجعون .



كلمة الدكتور نوري حمودي القيسي

بســم الله الرحمن الرحيم

السادة الأفاضل . .

الحمد على آلائه وقضائه وحسن بلائه وبعد :

من الصعب على الانسان — وهو المؤمن بسنة الحياة ، والمُقرّ بما كتب الله على البشر — ان يتصور الحقائق وهي تجابهه وجها لوجه ، وتفاجؤه احياناً بما يُذهبُ عنه كلّ صورة مما يعتقد وهي اشــدّ الحالات مقاومة ، واكبرُها وجوماً ، واصعبُها مجابهةً ، لأنه يقع في دائرة أوهام تختل في حدودها اطراف المعادلة التي ظلت متوازنة في المعيــار التصوري والمنطقي . ولعلّ حقيقة الموت هي المسألة التي ظل الانسان حائراً أمامها وهي تطوي قوافل الأمم ، وتُنهي عصورَ الدول ، وتمسح عن وجه الأرض سلطانَ الملوك وتبقى الحقيقة الماثلة للعيان هي وجهُ الله الذي لاإلـه الا هو . ويبقى معه العمل الخالد الذي يظل شاهداً على كرامة الانسان وبُعد نظره وتقدير حكمته ..

واذا كنا في هذا اليوم نستذكر فقيداً عزيزاً وعضواً مجمعياً كريماً ، وعالماً متميزاً من علمائنا الافاضل فان الذكرى تثير في نفوسنا حَيرة الانسان الذي ترك هذه القاعة ، وهو بأتمّ صحة وافضل نشــاط على أمل العودة في اجتماع آخر وقد شارك بنشاط العمل وأســهم في مجال اللجان الأخرى وقد ارتسمت في ذهنه صورة العمل الجديد الذي يمكن أن يُهيَّأ لجلسة قادمة ان الحيرة تتمثل في حالة الفقدان التي تقطع هذه السلسلة ، وتحجب الأنسان عن كل ما كان يحلم به ، وتتمثل في حالة الاخفاق التي تنتاب كل واحد منا وهو يتابع العمل وينتظر اللحظة التي التقت عندها مطامح الجميع ولكنها وبارادة الله التي لا تعلوهــا إرادة تتوقف الحركــة لتبدأ مطامح جديدة ، ويُباشر بتصور جديد ...

انها صورة الدكتور فخري الدباغ الذي ظل وجهاً يبعث على الراحة ، وابتسامة لاتنطفىء ، وروحاً تملأ المجلس الذي يحلّ به فرحاً وزهواً وحياة ، انها لوحة الدكتور فخري الذي عرفناه عالماً متواضعاً ، وصديقاً يحمل الودّ لكل الناس ، وقلباً يضمّ كل الأحبة ، انها طاعة الدكتور فخري التي تظلُ مُشرقةً طيبة ، عطاؤها الوفاء ، وخيرُها الحبُ والتضحية وعزّها شرف المواطنة وكرم المشاركة ، ونبلُ الخلق ..

فإلى ديار الخلد يا أخا الجميع ، والى جنات الرضوان ياصاحب القلب الكبير ، وعظّم الله أجر محبيك ، وأسكنك فسيح جناته .. إنما يُوفّى الصابرون أجرَهُمْ بغير حساب .

السادة اعضاء المجمع . . .

إذا كانت كلمات الرثاء قد حققت بعض ما في نفسي وأنا أقف في موقف الوفاء فان ابياتاً شعرية جدت بها وانا أسمع النبأ كانت حالةً أخرى من حالاتي التي أحسُ بِدَيْنِها لأخٍ احببت فيه ما جعلني أحسُ وانا التقي به في كل مرة . وفي الشعر صورة أخرى من صور الرثاء . .

الاخ الدكتور فخري :

أرقْتُ فهزتني إليك الفضائلُ ... وثُبتُ فشاقتني اليك الشمائل

ورحتُ مع الساعينُ ألتمسُ الرجا ... وقد غرّ ميسورٌ وروّع قائل

وضاقَ على العُوّادِ دفْع حِمامِه ... وقد سكتت بالناطقين الثواكل

اُناشد عنه الليل في خفقة الدجى ... وأسألُ عنه الفجرَ والفجرُ راحلُ

وأطوي ضلوعاً ألهبتها خوافق ... تُلوّعها في كل آنٍ مخايل

واسترجعُ الصوت الذي حَمَلَ الندا ... واذكرُ يوماً صوتُهُ بَعْدُ ما ثل

وكان حديثاً لم يزلْ عزُّ فخرهِ ... على شفتينا ـ اخضرَ العودِ ـ ناهل

يُرقّقه عند الحديث ببسمةٍ ... وتُكبرُهُ منه خصال كوامل

وتُشفِعُهُ مما طواه سريرة ... مناقبها في كُلّ عزّ أماثل
قضيناه لم نحسبْ لغدر منيةٍ ... وجزناه والأيام غِرٌ مَقاتل

* * *

عجبت لغدر الدهر يَطوي فخارَه ... وكان بها في المكرُمات يصاول
فما كان يوماً يُرتجى ، بل منيّةٌ ... تهاوت بها عند الوداع معاقل
فشقّ على خير النفوس مُصابُها ... وعَزّت على فيض الدموع نواهل
بكتك عيونٌ روّعتها مصيبةٌ ... وريعتْ قُلوبٌ أثقلتها نوازل
ستذكُرك الأيام وهي كريمةٌ ... وتعلو بكم في الخالدين منازل
وتُروى على كَرّ الليالي محامدٌ ... يَطيبُ بها ذكرٌ وتسمو محافل
فتى تُرتجى افعالُهُ في مضائه ... ويُحمد منه في المكارم نائل
فتىً لم تروّعْهُ الليالي ، وهذه ... مآثره في كلّ سمع مواثل
فقدناك حتى لم يَعُدْ بعدُ مرتجى ... وناءت بنا مما نروم الكواهل
ولولا الحيا يا اطيبَ الناسَ طلعةً ... وصبرُ الليالي أن تغول الغوائل
لصغتُ لك الغُرّ الغوالي فرائداً ... وبحتُ بها لما تقول الثواكل

* * *

أخي وسبيلُ الموت حقٌّ على الفتى ... وأيامُنا في الراحلين مراحلُ
نشدُّ بها عزم الحياة قوافلاً ... وتَسكُنُ منا في الدروب قوافلُ
فَمن صَلُحتْ أيامه كان ركبُه ... حميداً وعند الله ترجى الحمائل
ثويت فكنت العزّ فضلاً وحكمةً ... وحُقّ لارض أن تُصان الفواضل
فيا قبرَه في المُكرُمات تحيةً ... ترددها في مَدْمَعَيّ الهوامل
سقاك الحيا واستودعتك مرابع ... وطابت نفوس اكرمتها الشمائل

كلمة الدكتور يوسف حبي

لم أتهيأ لأقف في موقف كهذا ، ولم يكن في مقدوري أن أفعل ، فمنذ أن بلغني النبأ المؤلم ، وانا لاأهدأ .

كان ، رحمه الله ، طيباً نافعاً ، وخير الناس من نفع الناس . وقد حكى لي الكثيرون في هذه الايام بأنه قد نفعهم كثيراً ، ومجاناً .

وكان عالماً جليلاً ، بدأ نشاطه العلمي منذ سني الدراسة ، وله عدد كبير من المقالات والابحاث ، عدا العديد من الكتب المنهجية والعلمية والأدبية المعروفة . وكانت نصب عينيه مشاريع وبحوث كثيرة . وكان انساناً بكل ما في هذه الكلمة من معانٍ . لم يتعرّف عليه أحد الا وامتدحهُ ، وأثنى على أخلاقه ، والناس أخلاق . وكان ، رحمه الله ، طيباً طيباً طيباً . . .

كان مؤمناً بالله والانسان ، وكان مؤمناً بالعلم والتقدم ، وكان مؤمناً بالعمل الجماعي ، تشهد بذلك بحوثه المشتركة وعمله في المجمع كعضو نشط محبوب .

فلتبق ذكراه خالدة ، وألهم ذويه الصبر والسلوان ، وعهد علينا أن نعمل مافي وسعنا لاحياء ذكرى عالم وصديق وانسان عظيم .



كلمة الدكتور نجيب خروفة

بســم‌الله الرحمن الرحيم

قرأت آخر مقال للمرحوم الدكتور فخري الدباغ في الدفاع عن تعريب العلوم الطبية في عدد كانون الأول من مجلة آفاق عربية قبيل سماعي بخبر النعى المفجع ، فهزني النعي وأثار في نفسي الحزن والأسى .

فقد قضى المرحوم وهو في ريعان النشاط وقمة الإفادة والعطاء ولكنها ارادة الله الذي لا راد لقضائه .

عرفت المرحوم فخري الدباغ استاذاً في كلية الطب وزميلاً في جامعة الموصل وعرفته فيها عميداً كما عرفته زميلاً لدى انتقاله الى وزارة التعليم العالي مديراً عاماً لمركز التعريب فيها ومن ثم زميلاً في عضوية هذا المجمع .

وقد كان المرحوم خلال هذه المدة كلها مثالاً يحتذى في سعة الصدر وطيب الخلق وحسن العشرة وكانت نظرته للحياة شاملة يتصل فيها تخصصه بعلم النفس الطبي بمجتمعه . وفي مجتمعه هذا كان التراث وكانت اللغة العربية والتمسك بها والدفاع عنها .

وانطلاقاً من هذه النظرة كانت كتاباته وبحوثه التي قرأناها في مختلف المنشورات تتصل بحياة الفرد المباشرة وعلاقته بالمجتمع والتراث واللغة العربية والدفاع عن التعريب الذي كان هو نفسه أحد دعائمه .

رحم الله الفقيد فقد كان صديقاً نعتز بصداقته وزميلاً لاتنسى زمالته . تغمده الله بواسع رحمته واسكنه فسيح جناته .



الجلسة التأبينية للمرحوم الدكتور سليم النعيمي

اختـــار الله الى جواره يوم الجمعـــة المصادف٢ ـ ٣ ـ ١٩٨٤ المرحوم الدكتور سليم النعيمي اثر نوبة مفاجئة لم تمهله طويلاً ، فختمت بوفاته حياة علَم أسهم في عمل المجمع وفي البحث والدراسة والتدريس ، كما شارك بنطاق واسع في مايتصل بتوجيهات الامة العربية في ميادين السياسة والعمل العام .

كان الفقيد الدكتور سليم النعيمي عضواً في المجمع العلمي العراقي لاكثر من خمسة عشر سنة ، ثم تابع مشاركته في اعمال المجمع عن طريق الاسهام في اللجان خبيراً ، وتقديراً لجهود الفقيد ، ووفاءاً لخدماته خصص المجلس لتأبينه جلسة ألقى فيها رئيس المجمع الدكتور صالح احمد العلي والدكتور نوري حمودي والدكتور احمد عبدالستار الجواري والدكتور احمد ناجي القيسي ، وننشر هنا الكلمات التي القيت .



كلمة الدكتور صالح احمد العلي

رئيس المجمع العلمي العراقي

الدكتور سليم النعيمي في ذمة الخلود

بقلب مكلوم ونفس حزينة اقف مؤبناً الزميل الفاضل الدكتور سليم النعيمي وقد اختاره الله الى جواره يوم الجمعة المصادف ٢ – ٣ – ١٩٨٤ اثر نوبة مفاجئة لم تمهله طويلة ، فختمت حياه علم اسهم في عمل المجمع ، وفي البحث والدراسة والتدريس ، كما شارك بنطاق واسع في مايتصل بتوجهات الامة العربية والعراق في ميادين السياسة والعمل العام .

ولد الفقيد الدكتور سليم النعيمي في الاعظمية ببغداد سنة ١٩١١ وبعد اكماله الدراسات الاولية التحق بكلية آل البيت وكانت المعهد الرسمي لدراسة علوم العربية والدين في بغداد . ثم ارسل ببعثة علمية الى كلية دار العلوم بمصر ، وانتقل منها الى باريس حيث اكمل في جامعة السوربون دراسته العالية وأعد رسالته للدكتوراه عن أدب الخوارج ، وقدمها للجامعة ، وكوّن خلال دراسته علاقات وثيقة مع العاملين في بناء وتعزيز القومية العربية ، من أبناء العراق والاقطار العربية الاخرى ، وخاصة ابناء الشمال الافريقي ممن قاموا بدور كبير في توطيد القومية العربية ، وايقاظ الشعور الوطني ، ومقارعة الاستعمار الغربي .

وعندما اعلنت الحرب العالمية الثانية وتوقفت الدراسة في جامعات فرنسا ، عاد إلى العراق سنة ١٩٣٩ حيث قام بتدريس الأدب العربي في دار المعلمين العالية ، وتولى رئاسة قسم اللغة العربية ، كما تولى عمادة كلية التربية لمدة سنة .

وأسهم بعد عودته من فرنسا في النشاط السياسي القومي الذي استقطب مده في حركة رشيد عالي ، فلما انتكست تلك الحركة واعاد الانكليز هيمنتهم على مقاليد العراق وناصبوا القوميين العداء ، اصاب المرحوم الدكتور سليم الاقصاء عن الوظيفة ، ثم السجن والابعاد عن بغداد ؛ وعندما سمح له بالعودة

إلى بغداد . ظل زمناً بعيداً عن التدريس ، فلما انتهت الحرب العالمية الثانية اعيد إلى كلية التربية حيث تابع تدريس الأدب العربي في تلك الكلية وفي كلية الآداب ، وولي عمادة كلية التجارة ، كما كان عضواً مجلس التعليم العالي حيث أسهم في الادارة والتوجيه العلمي ؛ وأظهر في عمله خبرة وصراحة واتزاناً اكسبته مكانة متميزة ويسرت الاعتدال في تلك الظروف التي طالما انتابها التوتر . وعندما استقرت الامور بعيد ثورة الرابع عشر من تموز اصابه لفح من شواظها فقضى اشهراً في الكوت مبعداً عن العمل العلمي ، ولكنه احتفظ بعقيدته وجرأته وصراحته ، وأسهم بعد عودته في اعادة الامور إلى نصابها والى سيرها بمجراها الطبيعي ، ثم انتقل الى العمل في السلك الخارجي ، فعُين سفيراً في تونس ثم في ليبيا ثم في جدة ، وأُحيل إلى التقاعد سنة ١٩٧٢ .

اتصل الفقيد الدكتور سليم النعيمي بالعمل المجمعي منذ أن عُين عضواً عاملاً في المجمع في سنة ١٩٦٣ ، فأسهم في توجيه اعماله ، وشارك في انجازاته ، وكان عضواً في ديوان الرئاسة فيه مدة من الزمن ، ونائباً للرئيس ومسوولاً عن اصدار المجلة ، بالاضافة الى اسهام واسع وبناء في اعمال لجانه وتثبيت المصطلحات بالعربية . وتم إختياره خبيراً في لجنة الاصول عند تكونها في المجمع الحالي ، فكان يواظب الحضور في اجتماعاتها ، ويشارك في اعمالها ، ويسهم في انجازاتها ، ويقدم لها ثمار اطلاعه الواسع وخبراته الغنية وبصيرته النفاذة وادراكه السليم .

وكان للفقيد اسهامات في ميدان الترجمة والتحقيق والتأليف ، فنقل إلى العربية « اعمدة الحكمة السبعة » للورنس . و « تعريف الاشتراكية » لاميل دركهايم وحقق كتاب « الاشـتقاق » للاصمعي ، و « التبصير في الدين » للاسفراييني ، و« الروض النضر » ونشـر بالاضافة إلى عدد غير قليل من المقالات والابحاث التي نشرها في مجلة كلية التربية ، ومجلة المجمع العلمي العراقي .

كلمة الدكتور احمد عبدالستار الجواري

في تابين الفقيد الدكتور سـليم النعيمي

بسـم الله الرحمن الرحيم

(كل من عـليها فان ويبقى وجـهُ ربكَ ذو الجـلالِ والاكرام)

أجل ايها السادة ان هذه الدار دار فناء لابد ان يمر بها الاحياء الى دار البقاء ، دار الخلود التي يلقى فيها المحسن جزاء احسانه وينعم فيها المؤمن برحمة الله التي وسعت كل شيء .

وليس اشق على المتلبّث في هذه الدار دار الحياة الدنيا من شهود من يألف ومن يود ، وهم يغادرون واحداً بعد واحد وحبيباً إثرحبيب ويتلفت يتحسس مواضعهم فلا يجد الا ذكريات وعبرات وغصصاً يغص بها صدره وينقبض بها فؤاده ، وحسرات تتردد بين حناياه . ولقد كان ابو خلدون رحمه الله واحداً من هؤلاء الاحبة قضى الله ان يقضي من غير وداع وان يغيب على حين غفلة من اخوته واحبائه .

ذلك قضاء الله ولا راد لقضائه .

عاش رحمه الله حياة حفلت بالكثير من العمل والأثر المحمود فقد اشتغل بالعلم والتعليم ثلث قرن او يزيد وتخرج على يديه اجيال من ابناء هذا البلد بل البلاد العربية تعرف له فضله وتدين له بالكثيرمن المحبة والمودة وعرفان الجميل .

كان يتقن من علوم العربية اسسها ويعلم منها ما يستمد منه في درسه حين يدرّس وفي بحثه حين يبحث لانه اخذ ذلك عن شيوخ اجلاء في معهد من أجل معاهد العلم في هذا البلد هو كلية الامام الاعظم التي اتسعت في ما بعد حتى اصبحت جامعة آل البيت ، وهي لو استمرت لكان لها في العراق وفي الوطن العربي شأنٌ عظيم .

وعندما قيض له ان يواصل دراسة عليا في اوربا اجتمع له من اصول البحث في جامعاتها ما اعانه على عمله العلمي ومافتح له من ابواب في الدرس وفي التدريس .

ولم يكن في عمله العلمي منقطع الصلة عما يجري في المجتمع ، بل لقد كان له في الحياة الاجتماعية والنشاط الوطني مشاركة فعالة . فلقد عمل في صفوف الحزب العربي الذي كان جُمّاع الحركة القومية في بلاد المشرق العربي وبشر بمبادئه وأسهم في تنظيم صفوفه ،حتى اذا قامت الثورة الوطنية القومية في عام واحد واربعين وتسعمائة والف كان رحمه الله مجاهداً في صفوفها مكافحاً بين مكافحيها بيده وقلمه وبلسانه . فكان اميناً لكتائب الشباب التي اهتمت بحماية ظهر القوى المسلحة وأدت في ايام المجد الثوري خدمات ومآثر خالدات في ضمير هذا الشعب .

وبعدما آل امر الحركة الوطنية الى ماآل اليه اصاب ابا خلدون ما اصاب اخوانه ورفاق كفاحه من أذى . ثم عاد بعد ان تحمل ماتحمل من السجن وشحة الرزق عاد يعمل لايكل ولا ييأس حتى قدرت له الثورة القومية الوطنية في ١٤ رمضان تلك التضحيات وتلك المواقف المشرفة فأسندت اليه من المناصب الرفيعة منصب السفير والعميد فقام بها احسن قيام .

وكان رحمه الله في هذا المجمع وافر النشاط جم العطاء ، فلقد اغنى المجمع بأبحاثه القيمة وتحقيقاته العلمية الدقيقة ، ومثل المجمع العلمي العراقي في ندوات ومؤتمرات علمية منها ندوة اصلاح الكتابة العربية والمؤتمر المشترك بين مجمعي بغداد والقاهرة ، وكان في كل ذلك مثال الجد والاحاطة والاقتدار.

تلك لمحة من حياة هذا الفقيد الكريم واشارة الى ما قدم لوطنه وللعلم من خدمة جليلة .

اما ابو خلدون في وفائه ومودته وصادق شعوره فان اللسان ليرتد حسيراً حين يذكر عمق مودته ونبيل عاطفته وسروره بكل مايسر اخوانه واحباءه وحرصه على التعبير عن مشاركتهم في ماينالهم من احداث هذه الحياة .

رحمه الله واجزل له المثوبة وانزله منزل الكرام البررة في الدار الباقية وانا لله وانا اليه راجعون .

كلمة الدكتور نوري حمودي القيسي

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد رئيس المجمع العلمي السادة الأعضاء :

وماذا تراني عساني اقول	وفي كلّ يوم لنا راحل
نحدثه في التماع الصباح	ونأمل ما يرتجى الآمل
ونحزم من امرنا عزمة	لها في ضمير الرؤى شاغل
ونطوي بها ما يضم الرجا	وما يبتغيه به السائل
تطول بأمالنا الذاهبات	ويعجز عن سرد ها القائل
وعند جنوح الاصيل الغريب	هناك يموت الرجا القابل
وتلك الليالي على عزها	يروّعها الغائب المائل

الفقيد حالة مؤلمة ، والفراق هاجس مرعب ، والبعاد صوت يخافه الانسان ، ويتحاماه بما وهب من صبر ، وجبل عليه من جلد ، وتعوّد عليه من عادات . وهي حالات كتب على الانسان ان يراها او يعيشها او يكون طرفاً فيها لأن ناموس الحياة ، وطبيعة الاقدار ، وارادة الله . هي التي تحكم حياة البشر ، فالناس لا ينفكون من المصايب ومن لم يثكل اخاه ثكله اخوه ، ومن لم يعدم نفيساً كان هو المعدوم دون النفيس ، وحق الانسان الصبر على النوائب . فالدنيا دار فراق ودار بوار لا دار استواء وعلى فراق المألوف حرقة لا تدفع ولوعة لا ترد . ومن حدث نفسه بالبقاء ولم يوطنها على المصايب فهو عاجز فالموت حتم واجب على العباد . تساوى فيه الضعيف والقوي وفي قوله تبارك وتعالى ــ كل نفس ذائقة الموت ــ عبرة . .

تشهد هذه القاعة ضروبا من الوفاء وهي تذكر اساتذة اجلاء اسهموا في تقديم عصارة فكرهم ، واجهدوا انفسهم في احياء مآثر هذه الامة . وكان نصيبهم من الدنيا اكثر حظا ولكنهم كانوا من السابقين الذين انعم الله عليهم بنعمته

واظلهم برحمته وفي كل مرة نقف اجلالاً لفقيد عزّ علينا فقده واخ صعبت علينا فرقته فتضيق بنا الدنيا على سعتها ، وتصغر الحياة بكل ابعادها فلم نجد غير العزاء سلوة والصبر عونا وتنتهي بانتهائها ما حرصنا عليه من متاعها . .

وكنا كندمانيّ جذيمة حقبــة من الدهر حتى قيل لن يتصــدعا
فلما تفرقنا كأني ومــا لكاً لطول اجتماع لم نبت ليلة معــاً

انها الصورة التي تتكرر في كل يوم ، والحالة التي تلازمنا عند كل مظهر . ويظل الانسان الضعيف حائرا في لغز الحياة وسرها ويشــاء القدر ان يكون الدكتور النعيمي حاضراً قبل ان ينتقل الى الرفيق الاعلى بأيام قليلة ، وقد وجد في نفسه قدرة على العمل وأملا في المتابعة وحياة في البحث فاجتمع مع اخوته من الافاضل وانتحى جانبا بعد انتهاء الاجتماع وهو يتحدث عن بعض ما كان يدور في نفسه ببساطته التي عرفناها طلبة وعشناها سنين في رفقته ، وقد انصرف في سنواته الاخيرة للبحث والتحقيق والترجمة فكان عطاؤه خصبا وانتاجه غزيرا ، ان صلتي بالدكتور النعيمي تمتد الى اكثر من ثلاثين عاما وانا طالب في الصف الاول في كلية الأداب وكان المرحوم النعيمي يدرس الادب العربي قبل الاسلام وفي السنة الثانية درسنا ادب الخوارج واحتفظت له بذكريات طريفة . هي ذكريات الطالب لاستاذه والتقاطات الشاب الذي يتوسم في دراساته بعض ما يتمناه . وكانت الاحداث قاسية عام ١٩٥٢ ولكن المواقف الجليلة تذكر للرجال وهم يدفعون عن طلبتهم الاذى والشرور ويرفعون عنهم اعياء الترصد والمراقبة ، ويشعرون بمسؤوليتهم وهم المربون الاوفياء والاساتذة الاجلاء .

وبقيت صلتي باســتاذي حيّة ونابضة ، على الرغم من ابتعاده عن التعليم وانصرافه الى اعمال اخرى ولكن تشاء الصدف ان التقي به ثانية في المملكة العربية السعودية وانا ادرس في كلية الشريعة والتربية بمكة المكرمة واستاذي سفير للعراق في جدة ويجمعنا الحرم المكي مرات عديدة وقد استغرق في اجواء موحية ، تحركها مواكب الطائفين وقوافل السعاة وقد استجابوا لنداء العمرة

وغمرتهم سعادة التبرك بالحجر الاسود فاندفعوا بهمم العقيدة وتوافدوا بقلوب المؤمنين وتجمعني باستاذي على مقربة من الكعبة جلسة وديعة ويطول بنا حديث خالص ادرك فيه سماحة استاذي النعيمي ، وبساطته التي لم أدركها في مرحلة الطلبة . .

واعود ثالثة لألتقي به في رحاب العلم والمعرفة في اروقة المجمع العلمي وهو يواكب العمل ويسعى في دروب التحقيق وازداد اعجابا بتواصله في العمل وحرصه على الحضور ومتابعته لما يبدأ به . .

وتتوقف رحلة الحياة في طريق الاستاذ النعيمي ويكتب له ان يكون في عداد الرجال الذين خدموا الامة وتراثها واسهموا في بناء المسيرة الثقافية لعراقنا المعطاء فرحم الله استاذنا الفاضل واحسن مثواه والهم ذويه الصبر والسلوان وانا لله وانا اليه راجعون .



الفهرس

مجلـــة
المجمع العلمـي العراقي

انشئت سنة ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م

تصدر اربعة اجزاء في السنة

سعر النسخة دينار ونصف
وتضاف اليها اجرة البريـد



توجه الرسائل والبحوث الى الامين العام للمجمع

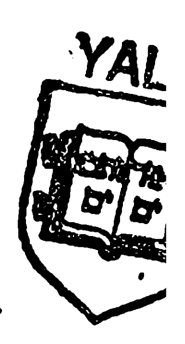
- البحوث والمصطلحات التي ينشرها الكتاب في هذه المجلة تعبر عن آرائهم الشخصية .
- البحوث والمقالات التي لا تنشر ، لا ترد الى اصحابها .

(العنوان : بغداد / الوزيرية / ص.ب. ٤٠٢٣)

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٦٧٦ لسنة ١٩٨٣

مطبعة المجمع العلمي العراقي ٤٠٠٠ / ١٩٨٣

JOURNAL
of the
IRAQ ACADEMY



VOLUME 34

Part (4)

PUBLISHED BY

THE IRAQ ACADEMY

BAGHDAD

1983